al-Daljī, Aḥmad ibn ʿAlī

al-Falākah



تأليف الامام العالم العلامة الورع الزاهد
خاتمة الحفاظ والمحدثين مولانا شهاب
الملة والدين احمد ابن على
الدلجى طاب ثراه
آمين

﴿ طبع على نفقة مكتبة ومطبعة الشعب ﴾

﴿ حقوق الطبع محفوظة لها ﴾

مطبعة الشعب بشارع محمد على بمصر

سنة ١٣٢٢ هجرية

Digitized by Google

Digitized by Google


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 020101745



كلمة للناشر

ترتاح القلوب الموجعة والنفوس الابية التى سحقها الدهر بهمومه لسماع انباء امثالهم ممن جافاهم الحظ وصادقهم النكد وسئمت منهم الايام اذ تجد فى ذلك عزاء لمصابهم وتسلية لافئدتهم وقد قيل فى المثل الذى سار سائره اذا عمت المصيبة هانت فصبت نفسى لنشر كتاب في هذا الباب ترتاح اليه النفوس المنكودة وتجد فيه عزاءها الجميل اذ جمع من نكبهم الفقر المدقع من اماجد الاكارم وافاضل العلماء ونوابغ الحكماء الذين كانوا غرة فى جبين الدهر وشموساً يستضاء بها في غياهب الجهل وبقيت مآثرهم على مدى الازمان تنطق بما نشروه من العلوم والفنون

وقد عثرنا على هذا الكتاب في مكتبة العلامة الفاضل المرحوم الشيخ احمد الزرقاني وراجعناه على نسخة اخرى من مكتبة صديقي الفاضل احمد

(RECAP)

Digitized by Google

بك تيمور وصححه العلامة الفاضل الشيخ عطيه البشارى احد اساتذة المدارس الاميرية والنابغة الفاضل الشيخ نصر العادلى احد مصححي المطبعة الاميرية واضافا عليه بعض شروح في المواضع التى يصعب فهمها فأصبح بحمد الله يختال فى ثوب قشيب من الصحة وبهاء الطبع وجودة الورق

وهذا الكتاب الذي وسمه صاحبه بهذا الاسم الفارسى (الفلاكة والمفلوكون) اي الفقر والفقراء وحيد فى بابه ولم ينسج على منواله حلل فيه الفقر وذويه تحليلا دقيقا اذ بحث فيه عن معناه واسبابه وعلله وذويه وحالتهم واورد فيه اشهر من عضهم الفقر بنابه واناخ عليهم الدهر بكلكله وما قالوه من رقيق النظم في هذا المعنى مع ترتيبه ترتيبا لطيفا والكتاب يخبر عن طول باع واضعه فى الانشاء والفلسفة والجدل ودقة البحث وسلامة الذوق

وسنزف لاهل العلم والادب غيره من غرر الكتب وسنوالى طبعها بدون توان عسانى اخطو كغيرى خطوة في خدمة العلم واعلاء شأنه والله اسال ان يمهد لى السبيل ويشجعنى باقبال اهل العلم على اقتناء ما اظهره لهم من جليل الكتب والله يهدي لأقوم سبيل

خليل صادق



Digitized by Google

فهرست كتاب الفلاكة والمفلوكين

صحيفة

Digitized by Google

صحيفة

Digitized by Google

صحيفة

Digitized by Google

صحيفة

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن يستحق الحمد لذاته وهويته . ويستوجب الشكر لكمال الاهيته . وتتقاصر الاوهام عن دقائق اقداره وأقضيته . وتتحير الافهام في لطائف آلائه ورأفته . وتدهش العقول فى كمال مصنوعاته وحكمته . وتقف الافكار حيرى في كبريائه وقاهريته . الخلق مقهورون محجوجون بساطع حجته . والقلوب في تصرفه يقلبها كيف يشاء على وفق مشيئته . ما من شيء الا وفي خزائنه غير معدوم . وما ننزله الا بقدر معلوم . «ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين» . على علمه الخير والشر . والنفع والضر . والحركات والسكون . والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كل فى فلك يسبحون . جعل لكل أجل كتابا . وللمسببات اسباباً . وربط المسببات بالاسباب وهو خالق الاسباب والمسببات . وأوقع الشبع عقيب الاكل دائمًا على العادة وهو غني عن العادات . وهب العقل فيسر به سواء السبيل . وركب الخرق(١) فنقص به الحظ من التحصيل . ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها انه على صراط مستقيم . «انما امره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون» . اغنى واقنى . واضحك وابكى . وامات واحيا . «لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون» . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن وهو العليم الحكيم . يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين اعد لهم أشد عذاب اليم . واشهد ان محمداً عبده ورسوله الهادى باذنه الى صراط مستقيم . «عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف

---

(١) الخرق بالضم الحمق وان لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الامور . اه من القاموس

Digitized by Google

رحيم • صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وذويه ، وسائر أتباعه وأوليائه ومحبيه . وسلم تسليما كثيراً

(وبعد) فقد منحتكم يا معشر اخوانى المفاليك كتاباً بديع المثال . منسوجاً على غير منوال . مخترعاً من غير سابقة مثال . مسلاة(١) وتمثلا . وحكمة وعللا . تتخذونه مفاكهة وامثالا . وتتصرفون به في ظنونكم رداً واعمالا . وتنزعون به ايديكم من ربقة التقليد انتزاعاً . وترفعون به نحو الاغراض والمقاصد شراعا . وكان المحرك لهذه الكتابة أن سائلا سأل عن السبب في علية الفلاكة والاهمال على نوع الانسان . فصادف مني نشاطاً للكلام في ذلك نفثة مصدور . وضربة موتور . وناراً ساكنة ألقمها حطباً . ودعوة وافقت ارادة ومطلبا . وانا اعتذر عما لا يوافق الغرض ولا يصيب الغرض . وعن استبدال الجوهر بالعرض . بان استكشاف اسرار الدقائق . واستشفاف انوار الحقائق . مما يتعذر او يتعسر مع العوائق البدنية . والصوارف النفسانية . ولو كان الخاطر صقيلا باتراً . ومواد الكلام بحراً زاخراً . فكيف اذا كانت الفكرة كليلة . والبضاعة من العلم قليلة . والصوارف متناصرة . والبواعث متقاصرة . والشواغل الى حد المنع من معاودة التنقيح والتهذيب . والوقت ضيق عن اختيار الالفاظ وجودة الترتيب . والكتب مفقودة أو مستعارة . والهموم تشن غارة بعد غارة . هذا مع ان المخترعات التي لم تسبق بتصنيف ولا بتدوين وترصيف . لا تبلغ بها الفائدة نصابها . وتفتح للمعاذير ابوابها . ومن الله استمد العصمة من وصمة الغلط . وغوائل الاوهام وبوادر السقط . وان يوفقنا لاخلاص النية . واحسان الطوية * ورتبت مقصود هذا الجمع في فصول — الفصل الاول — فى تحقيق معنى المفلوك الذي قصر عليه هذا الكتاب — الفصل الثانى — فى خلق الاعمال وبيان ان لا حجة للمفلوك فى التعلق بالقضاء والقدر — الفصل الثالث — فى ان التوكل لا ينافى التعلق بالاسباب وان الزهد لا ينافى كون المال فى اليدين — الفصل الرابع — فى الآفات التي تنشأ من الفلاكة وتستلزمها الفلاكة وتقتضيها — الفصل الخامس —

---

(١) هو مفعله من السلوان اى يسليك عن الالتفات الى متاعب هذه الحياة وقوله وتمثلا في القاموس تمثل بالشيء ضربه مثلا والى هذا المعنى والذى قبله يشير قوله تتخذونه الخ

Digitized by Google

فى ان الفلاكة والاهمال ألصق باهل العلم وألزم لهم من غيرهم وبيان السبب في ذلك — الفصل السادس — في مصير العلوم كمالات نفسانية وطاعة ليس الا بعد كونها صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف وبيان السبب فى ذلك — الفصل السابع — فى علية الفلاكة والاهمال والاملاق على نوع الانسان وبيان السبب فى ذلك — الفصل الثامن — فى ان الفلاكة المالية تستلزم الفلاكة الحالية - الفصل التاسع فى ان التملق والخضوع وبسط اعذار الناس والمبالغة فى الاعتذار اليهم واظهار حبهم ومناصحتهم من احسن احوال المفلوكين واليق الصفات بهم وافضى الطرق بهم الى مقاصدهم وبيان الدليل على ذلك — الفصل العاشر — فى تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم ولم يحظوا منها بطائل — الفصل الحادى عشر — في مباحث تتعلق بالفصل قبله ومن المباحث النكبات الحاصلة للاعيان — الفصل الثاني عشر — فى اشعار المفلوكين أو من فى معناهم وما فيها من مقاصد شتى وبيان ان الحامل عليها انما هو الفلاكة — الفصل الثالث عشر — في وصايا يستضاء بها فى ظلمات الفلاكة نختم به الكتاب

الفصل الاول

فى تحقيق معنى المفلوك

هذه اللفظة تلقيناها من افاضل العجم و يريدون بها بشهادة مواقع الاستعمال الرجل الغير المحظوظ المهمل في الناس لاملاقه وفقره وليس فى صحاح الجوهرى ولا فى القاموس المحيط فى هذه المادة مايصلح لهذا المعنى الا قول صاحب القاموس فلك تفليكا اذا لج في الامر فانه يمكن ان يجعل مصححا لهذا الاستعمال .وبيانه ان اللجاج لازم الاملاق فانه يلزم من الاملاق .وعدم الحظ اللجاج فيكون من باب اطلاق اللازم وارادة الملزوم وهذا مع مافيه من التكلف مردود بان فعل تفعيلا لايصح ان يكون اسم المفعول منه بزنة مفعول والذى يظهر انه مأخوذ من الفلك الذى هو جسم محيط بالعالم فكأن الفلك يعارض غير المحظوظ فى مراده ويدافعه عنه — فان قيل هذا فاسد لفظا ومعنى أما اللفظ فلان الفلك اسم جامد لايصح ان يشتق منه صيغة مفعول ولا يصح اشتقاقه من الفلك

Digitized by Google

لما فيه من معنى الاستدارة لان الفلاكة بمعنى عدم الحظ ليست من معنى الاستدارة فى شئ ولا على المجاز على معنى ان عدم الحظ لما استلزم الحركة والاضطراب والجولان كان اطلاقها وارادته من باب اطلاق اللازم وارادة الملزوم لان اللازم لعدم الحظ هو مطلق الحركة والاضطراب لا الحركة المتقيدة بالاستدارة وأما المعنى فان اشتقاقه من الفلك على معنى ان الفلك يعارضه فى مراده ويدافعه عنه غير مستقيم لما تقرر فى الكتب الكلامية ان الله تعالى هو خالق كل شئ — فالجواب عن الاول ان اشتقاق المفلوك من الفلك غير ممتنع فقد قالوا رأسته بمعنى ضربت رأسه ورأيته بمعني اصبت رئته وابلغ من ذلك اشتقاقهم من الحروف كما فى اشتقاق احاشي من حاشي الحرفية الاستثنائية في احد التخريجين في قول من قال * ولا احاشي من الاقوام من احد * وابلغ من ذلك اشتقاقهم من لفظ الجملة كالحوقلة والبسملة والهيللة — وعن الثانى — ان ذلك من قبيل المجاز العقلى وهو نسبة الشئ الى زمانه مجازا تشبيها للتلبس الغير الفاعلى بالتلبس الفاعلى ويشهد لذلك ماقاله العلماء فى قوله صلى الله عليه وسلم «الشؤم فى ثلاثة او ان يكن الشؤم ففى ثلاثة المرأة والدار والفرس» على اختلاف الروايتين جزما وتعليقا من ان ذلك على المجاز والاتساع اى قد يحصل الشؤم مقارنا لها وعندها لا انها هى في انفسها مما توجب الشؤم فقد تكون الدار قد قضى الله تعالي ان يميت فيها خلقا من عباده كما يقدر ذلك فى البلد بالطاعون والوباء فيضاف ذلك الي المكان مجازا والله خالقه عنده وقدره فقد صح بهذا التقرير جواز اخذ المفلوك من الفلك على معنى انه الذى يعارضه الفلك فى مراده على جهة التجوز ولو سلم ان السعود والنحوس لاتدور مع حركات الافلاك دائما لم يكن ذلك قادحا فى صحة التجوز لان اضافة الفعل الى زمانه مجازا لاتحتاج الي كون القضية دائمة كما فى قولهم نهاره صائم وليله قائم وامثاله مما لايحصى . على انا نقول اللغة اصطلاحية على قول والالفاظ العلمية التي يدير عليها اهل كل علم علمهم كالرفع والنصب للنحاة مثلا اصطلاحية اجماعا ووفاقا . ووجه اختيار لفظ الفلاكة على الفاقة والاملاق والفقر ونحوها ان هذه الالفاظ الثلاثة ونحوها نص وصريح فى مدلولها بخلاف لفظة الفلاكة والمفلوك فانه يتولد منهما بمعونة القرائن معان لائقة بالمقامات على كثرتها وتفاوتها

الفصل الثاني

في خلق الاعمال وما يتعلق به

أما مذهب امام الحرمين وجمهور الفلاسفة وابي الحسين البصرى من المعتزلة فهو ان الله تعالى يوجد للعبد القدرة والارادة ثم تلك القدرة والارادة يوجبان وجود المقدور ومذهب اكثر المعتزلة ان القدرة الحادثة موجبة لحدوث مقدورها وانه لا تأثير للقدرة القديمة فيه ومذهب الشيخ ابي الحسن الاشعرى وجماعة من اصحابه والقاضي ابي بكر الباقلاني في احد اقواله والبخار من المعتزلة انه لا تأثير للقدرة الحادثة في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاته وان اجرى الله العادة بخلق مقدورها مقارنا لها فيكون الفعل خلقا من الله ابداعا واحداثا وكسبا من العبد لوقوعه مقارنا لقدرته . واختلف في تفسير الكسب على قولين احدهما ان ذات الفعل تحصل بقدرة الله تعالى وكونه طاعة ومعصية كما في لطم اليتيم تأديبا وايذاء صفات له تابعة لوجوده يحصل بقدرة العبد لان مفهوم الفعل اعم من خصوص كونه قياما وقعودا وما به التمايز غير ما به الاتحاد فما به التمايز هو الكسب صرح بذلك الابهرى في شرح المواقف وبعض شراح الطوالع ولكن المشهور ايراده مذهبا للقاضي ابي بكر الباقلاني واخذا من اقواله — القول الثاني — وهو المشهور في تفسير الكسب انه تصميم العزم على الفعل على معنى ان الله تعالى اجرى عادته بان العبد اذا صمم العزم على المعصية يخلق الله تعالى فعل المعصية فيه فالعبد وان لم يكن موجدا الا أنه كالموجد. واستدلت الاشاعرة على مطلوبهم بمسالك كثيرة ضعفها الآمدى في ابكار الافكار ولم يرتض منها الا مسلكين اخصرهما لو كان العبد خالقا لافعال نفسه للزم وجود خالق غير الله ووجود خالق غير الله محال ويلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم . واما المعتزلة فاستدلوا على مذهبهم بوجوه كثيرة مرجعها الى امر واحد وهو انه لولا استقلال العبد بالفعل لبطل مدح العباد وذمهم على الطاعات والمعاصي اذ لا يمدح زيد ولا يذم بما يفعله عمرو من طاعة او معصية ولا ارتفع الثواب والعقاب لان العبد اذا لم يكن موجدا لفعله لم يستحق ثوابا ولا عقابا وكان الله مبتدئا بالثواب والعقاب من غير استحقاق من العبد لذلك ولو

Digitized by Google

كان كذلك لجاز عقاب الانبياء وثواب الكفرة الاغبياء ولم يبق لاحد وثوق بعمله ولايخفى
ما في ذلك من تشويش الدين والخبط في الشريعة وايضا لولا الاستقلال لبطل التكليف
بالاوامر والنواهي والتأديب لانه اذا لم يكن العبد موجدا لافعاله فكيف يصح عقلا أن يقال
ائت بفعل الايمان والصلاة والزكاة ولا تأت بالكفر وشرب الخمر والزنا لانه تكليف
بما لا يطاق وابطل ايضاً فائدة بعث الانبيا وهي دعوة المكلفين الي فعل الطاعات
وزجرهم عن المعاصي اذا لم يصدر منهم عمل فيلزم التكليف بمالا يطاق — والجواب بمنع
الملازمات — اما في المدح والذم فلانهما باعتبار المحلية لا باعتبار الفاعلية اذ يجوز ان يمدح
الشئ لحسنه وسلامته ويذم لقبحه وعاهته فتمدح الجوهرة لحسنها وصفائها ونقائها من
العيوب واما الثواب والعقاب فلان عادة الله جارية على خلق الثواب عقيب خلق الطاعات
وعلى خلق العقاب عقيب خلق المعاصي لأن العبد يوجد الطاعة والمعصية وهما يوجبانهما
كما يخلق الشبع عقيب خلق الاكل والاحتراق عقيب مسيس النار وان قدر على ان
يخلقها ابتداء. وقولهم لولم يكن الثواب جزاء فعل العبد لجاز عقاب الانبياء وثواب الكفرة
قلنا مسلم ولكن جوازا تحيله العادة اولا تحيله العادة الاول مسلم والثاني ممنوع فلا يشك
في انتفاء ما ذكروه وان كان جائزا عقلا واما حديث التكليف والتأديب والبعثة والدعوة
فلانها قد تكون دواعي الفعل واجرى الله العادة بترتيب آثارها عليها

وتخليصه ان الاشاعرة لما وردت عليهم هذه الشبهة وراوا أيضاً تفرقة بديهية بين
ما نزاوله من الافعال الاختيارية ومن حركة المسحور على وجهه والمرتعش وذادهم ومنعهم
البرهان الدال على ان الله خالق كل شئ عن اضافة الفعل الي اختيار العبد مطلقا جمعوا بين
الامرين واثبتوا الكسب على التفسيرين السابقين فاما ان يقال كون خصوص الفعل من كونه
طاعة ومعصية واقعاً بقدرة العبد كاف في تكليفه وتأديبه ودعوته واما ان يقال العبد اذا
صمم العزم على المعصية يخلق الله فعل المعصية فيه واذا صمم علي الطاعة يخلق الله فعل
الطاعة فيه وعلى هذا يكون العبد كالموجد لفعله وان لم يكن موجدا وهذا القدر كاف
في التكليف والتأديب والدعوة وهذا ايضاً مشكل لان الدواعي والتصميم فعل من
الافعال مخلوق لله تعالي فلا مدخل للعبد اصلا ووجه الاعتذار عن هذا الاشكال كما

Digitized by Google

قرره الاصفهاني أن الله تعالى يوجد القدرة والارادة في العبد ويجعلها بحيث لهما مدخل في الفعل لا بان تكون القدرة والارادة لذاتهما اقتضت ان لهما مدخلا في الفعل بل كونهما بحيث لهما مدخل بخلق الله اياهما على هذا الوجه ثم يقع الفعل بهما فان جميع المخلوقات يخلق الله بعضها بلا واسطة وبعضها بوساطة اسباب لا بان تكون تلك الوسائط والاسباب لذاتها اقتضت ان يكون لها مدخل في وجود المسببات بل بان خلقها الله تعالي بحيث لها مدخل فتكون الافعال الاختيارية المنسوبة الي العبد مخلوقة لله تعالي أو مقدورة للعبد بقدرة خلقها الله تعالى في العبد وجعلها بحيث لها مدخل في الفعل — والغرض من هذا الفصل اقامة الحجة على المفلوكين وقطع معاذيرهم والجامهم عن التعلق بالقضاء والقدر وانه متى نعيت اليهم فلاكتهم او نودى عليهم بها كان ذلك متجها مخيلا لانهم اما فاعلوها استقلالا اومشاركة واما بالمحلية والمدخلية على ماسبق تحقيقه — ولو سلم ان ذلك من باب القضاء والقدر الصرف او فرضت فلاكة سماوية صرفة فكلمات العلماء في مجارى ابحاثهم طافحة بان القضاء والقدر لايحتج به وذلك لما روى مسلم في صحيحه « ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اجتمع آدم مع موسى فقال له موسى يا آدم انت خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال آدم اتلومنى على امر قدره الله علىّ قبل ان يخلقنى باربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى » قال النووى في شرحه فان قلت فان العاصى منا لو قال هذه المعصية قدرها الله علىّ لم يسقط عنه اللوم والعقوبة بذلك وان كان صادقا فيما قاله فالجواب ان هذا العاصى باق فى دار التكليف جار عليه احكام المكلفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها وفي لومه وعقوبته زجر له ولغيره عن مثل هذا الفعل وهو محتاج الى الزجر مالم يمت فاما آدم فميت خارج عن دار التكليف وعن الحاجة الي الزجر فلم يكن فى القول المذكور له فائدة بل فيه ايذاء وتخجيل انتهى فانظر كيف اعترف بحقية السؤال واعتذر فى الجواب بأن الحديث ليس منه والقضاء والقدر وان لم يحتج به فى الدنيا فجائز ن يحتج به الانبياء فى الآخرة لعلو مقامهم عن الايذاء والتخجيل واذا ثبت أن القضاء والقدر لايحتج به فى المعاصى فغيرها كذلك اذ لا قائل بالفرق او المقايسة لان العلة التى اقتضت المنع من الاحتجاج بالقدر فى المعاصى مطردة فى غيرها من اقداره تعالى بالمناسبة والاخالة

Digitized by Google

الفصل الثالث

(فى ان التوكل لاينافى التعلق بالاسباب وان الزهد لاينافى كون المال فى اليدين)

ومقصود هذا الفصل يحصل بالكلام على مقامين — المقام الاول — مقام التوكل التوكل في اللغة عبارة عن اظهار العجز والاعتماد علي الغير وخص بما يكون الاعتماد فيه على الله تعالى وفى الاصطلاح عبارة عن دوام حسن ملاحظة القضاء والقدر فى جميع الحوادث دون اقتصار النظر على الاسباب الطبيعية ودوام حسن الملاحظة يجامع التعلق بالاسباب ولا ينافيها وحينئذ فحركة العبد ببدنه اوبتدبيره اما لجلب نفع كالكسب اوحفظه كالادخار او دفع ضر كمقاومة الصائل اوقطعه كالتداوى فأما جلب المنافع ودفع المضار ورفعها فافضاء الاسباب اليه امامقطوع به وهى الاسباب التى ارتبطت المسببات بها بتقدير الله تعالى ارتباطاً مطرداً. واما مظنون ظناً يوثق به وهى المسببات التى ارتبطت بالاسباب ارتباطاً أكثرياً بحيث لايحصل بدونها الا نادراً واماوهوم وهما لايوثق به ولا يطمأن له

فأما المقطوع بافضائه والمظنون افضاؤه من الجلب والدفع والرفع كمد اليد الى الطعام الحاضر واستصحاب الزاد فى السفر في البرارى المقفرة والمتنحى عن مجرى السيل وعن مفترس الأسد وترك النوم تحت الجدار المائل واغلاق الباب وعقل البعير والتداوى بالامور المجربة فكل ذلك لاينافى التوكل واهماله مراغمة لحكمة الله تعالى فى نصب الاسباب وعدم الاكتفا بالقدرة المجردة وجهل بسنة الله وعادته فمن ترك الوقاع ومد اليد الى الطعام وابلاعه باطباق اعالى الحنك على اسافله وانتظر ان يحصل له ولد كما ولدت مريم عليها السلام اوأن يخلق الله له الشبع بغير اكل او يرسل ملكاً فيمضغه و يدخله في فيه فهومجنون جاهل بالشريعة لان الاكتساب لاحياء النفس واجب والاكتساب لنفقة الزوجة والبعض اصلا كان او فرعاً فى الثالث الصحيح واجب ايضاً ولان اهمال العيال حرام واهلاك النفس جوعاً حرام واغلاق الباب عليه وسد طريق العلم به وامتحان قدرة الارزاق حرام وتصبير النفس على الجوع لمن لاتطيق نفسه ذلك وتضطرب عليه حرام كما قاله

Digitized by Google

على الجوع مدة فان كان لايطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل انتهى وقد قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما اهمل بعيره وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل على الله وقال تعالى (خذوا حذركم) وقال فى كيفية صلاة الخوف (وليأخذوا أسلحتهم) وقال (واعدوا لهم مااستطعتم) وقال لموسى (فأسر بعبادى ليلا) والتحصن بالليل لأخفائهم عن عين العدو نوع تسبب واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار عن عين الاعداء للضرر واخذ السلاح في الصلاة سبب مظنون — وأما الموهوم افضاؤه دفعاً وتحصيلا كالرقية والكي والاستقصاء فى حيل المعيشة والتدبيرات الدقيقة من وجوه الاكتساب فذلك كله مناف للتوكل لما انه من ثمرات الحرص وحب الدنيا لا لمنافاته التوكل بالذات لأنا قد قدمنا ان التوكل عبارة عن دوام حسن ملاحظة القضاء والقدر في جميع الحوادث وهذا انما ينافى الاستقصاء وتدقيق التدبير باختلاف اللوازم لا بالذات فحينئذ التوكل هو عدم الاعتماد على الاسباب مفضية كانت الى مسبباتها بالقطع ام لا وان يكون الاعتماد على خالقها فان اليد والطعام وقدرة التناول مثلا كلها من قدرة الله تعالى وكيف يتكل على اليد وغيرها وربما تفلج فى الحال ويهلك الطعام أويحدث من تناوله مرض يؤدى الى الهلاك أويتسلط على زاد المسافر غاصب اوسارق وما شاكل ذلك من الآفات فيجب أن يعتمد على فضل الله تعالى فى دفع جميع هذه الاشياء . فقد بان واتضح مما قررناه ان ليس من شرط التوكل ترك الاسباب واطراحها واهمال الكسب بالبدن والتدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة (١) اللقى او كلحم على وضم فان ذلك كله حرام فى الشرع ولن يتقرب الى الله بمحارمه — واما الادّخار فما كان منه مع فراغ القلب عن المدخر فليس من ضرورته بطلان التوكل هكذا صرح به في الاحياء واما غيره فمن انزعج قلبه بترك الادّخار واضطربت نفسه وتشوشت عليه عبادته وذكره (٢) واستشرف الى

---

(١) في القاموس اللقى كالفتي ما طرح اه اى كالخرقة البالية الملقاة وقوله كلحم على وضم الوضم ما وقيت به اللحم عن الارض من خشب وحصير وتركهم لحماً على وضم ذللهم واوجعهم اه
(٢) استشرف الى الشئ تطلع اليه اه

Digitized by Google

مافى أيدي الناس فالادخارله اولى لان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد لذكر الله ورب شخص يشغله عنه وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذورهوالشغل عدماً كان أو وجودا فالدنيافي عينها غير محذورة لاوجودها ولاعدمها ولذلك بعث صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون اي اهل الحرف والصنائع فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولاالمحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله وارشدهم الى ان نجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما أن صواب القوي ترك الادخار وكذلك المعيل لايخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكيناً لقلوبهم وقد ادخر صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنته وأما نهي ام أيمن عن ان تدخر شيئاً لغد ونهى بلال عن الادخار فى كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها وقال « انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا » فلان الادخار يضر بعض الناس دون بعض وكذلك ماروي ابو امامة الباهلى ان بعض اصحاب الصفة توفى فما وجد له كفن فقال صلى الله عليه وسلم « فتشوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين فى داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان » وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا كثيرة فلايقال ذلك فى حقه ووجه الجمع بين هذين الامرين ان اظهار الزهد والفقر والتوكل مع تلك الدنانير تلبيس — قلت — رأيت فى ترجمة النجم الخبوشاني الامار بالمعروف النهاء عن المنكر للملوك فمن دونهم الذى يضرب به المثل فى الزهد انه لما مات وجدوا له الوف دنانير هذا مع مبالغة المترجمين له في الثناء عليه ومع ما في ترجمته من انه كان يصوم ويفطر على خبز الشعير ويركب الحمار وآنية بيته كلها خزف فهذا الكلام مع نبوه عن هذا المقام سهل ذكره ما ذكره العلماء فى الجمع بين حديث الدينارين وعدم انكار الاقوال الكثيرة في ميت آخر وان ذلك لما ان اظهار الزهد والباطن بخلافه تلبيس فاعجب لحال الخبوشانى وعجب ولا تغتر

المقام الثاني فى أن الزهد لا ينافي كون المال فى اليدين — الزهد فى اللغة الرغبة عن الشئ خصص بما يكون الرغبة فيه عن الدنيا وفى الاصطلاح ترك المباح المحبوب المقدور عليه لاجل الله وفي ضابطه قيود الاول ترك المباح فتارك المحظورات لا يسمي

Digitized by Google

زاهدا الثاني المحبوب فتارك (١) ما لايوبه اليه كالتراب والحجر لا يسمى زاهدا — الثالث كونه لاجل الله فبذل المال وتركه على سبيل السخاء والفتوة واستمالة القلوب والطمع في الثناء لا يكون زهدا اذ الذكر والثناء وميل القلوب اهنأ من المال فهو استعجال حظ آخر للنفس — الرابع المقدور فمن ترك مالا يقدر عليه كغير ابن أدهم من امثالنا في دعوى الزهد في الملك لا يكون زاهدا وفي افراد المباح اشارة الي ان الزهد يتبعض كما ان التوبة تتبعض فمن ترك بعض التمتعات من الشهوة والغضب والرياسة دون بعض كان زاهدا — وأما القانع فهو المرجح لوجود المال على عدمه ترجيحاً لايحمله على الدأب فيه فقولنا المرجح خرج به من لايحب حصوله ولا يكره زواله وهو الراضي وقولنا ترجيحاً لايحمله على الدأب فيه خرج به من يتركه عجزاً و يسعى فيه ما وجد سبيلا وهو الحريص وهذه المرتبة وهي مرتبة الحرص وان كانت دنيا فان لها فضلا لدخولها تحت العمومات الواردة في فضل الفقر وذلك جمع بين قوله صلى الله عليه وسلم « يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام » و بين قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر باربعين خريفاً اي اربعين سنة بان الاول تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب والثاني تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الراغب فكان الفقير الحريص على درجتين من خمسة وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى الخمسمائة وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا » فلا يقتضي ان الحريص لاثواب له على فقره لان العمومات تقتضي ان له ثوابا فلعل المراد بعدم الرضا الكراهة لفعل الله من حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله ولا كراهة لفعله — اذا عرفت تمايز هذه الحقائق بمسمياتها واسمائها فاعلم ان وجود المال في اليدين لافي القلب ودخول الدنيا على العبد وهو خارج عنها لاينافي الزهد فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من أحب المدح فكم من الرهابين من رد نفسه في كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازم ديرا لا باب له وانما أعلى المقامات ان يستوي عند القلب وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح ولم يتأذ

---

(١) في القاموس هو لايوبه له اي لا يفطن ولا ينتبه اليه اه والمعنى انه لاينظر اليه ولا يهتم به اه

Digitized by Google

وكذلك ان فقده وقد روي عن عائشة انها فرقت في يوم مائة الف درهم فقالت لها جاريتها هلاّ شريت لنا بدرهم لحماً نفطر عليـه فقالت لو ذكرتني لفعلت وذلك لان الكاره للدنيا (١) مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوي الله حجاب عن الله فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه مشغول عن الله أيضاً بل كل ماسوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب و بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حال اشتغال قلبه به منصرف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه فكما ان النظر الى غير المعشوق بحب شرك كذلك النظر الى غيره ببغض شرك فيه ونقص — واما هروب الانبياء والاولياء والاكابر من الدنيا فذلك لان الدنيا خداعة مدعاة الى الشهوات والراحة في بذلها أنس بغير الله والأنس بغير الله بعد عن الله فالانبياء والاولياء يتركون الدنيا للتشريع والتعليم والخوف على أتباعهم من ان يتشبهوا بهم مع عدم قوتهم فيهلكوا ومن دونهم ممن لا قوة له يترك ذلك احتياطاً وحزما فان استواء الذهب والحجر في القلب عسير ومزلة قدم وهو حال الانبياء وأفراد الاولياء — ويوضح لك ان المال في اليدين بدون القلب لاينافي الزهد ان خزائن الأرض حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها. وكان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثون الف الف درهم وخمسمائة الف درهم وخمسون ومائة الف دينار وترك الف بعير بالربذة وترك صدقات كان يتصدق بها بين اريس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي الف دينار وكان للزبير عند وفاته خمسون الف الف ومائتا الف قال عروة كان للزبير بمصر خطط و بالاسكندرية خطط و بالبصرة دور وكانت له غلات تقـدم عليه من اعراض المدينة ـ وترك عبد الرحمن بن عوف الف بعير وثلاثة آلاف شاة قال ابن سيرين كان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت ايدي الرجال منه وترك اربع نسوة فأخرجت امرأة من ثمنها بثمانين الفاً ـ قال ابوالاسود عن عروة اوصى عبد الرحمن

(١) اي بكراهتها لهو دائماً يعمل نفسه في التنحي عنها والتخلص منها كما ان الراغب فيها مشغول بتحصيلها فهو في كلتا الحالتين مشغول بها دفعاً وتحصيلا اه

Digitized by Google

بن عوف فى السبيل بخمسين الف دينار وروى موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن ابيه قال كان طلحة يغل بالعراق ما بين اربعمائة الف الى خمسمائة الف و يغل بالسراة عشرة الاف دينار او أقل أو أكثر وبالاعراض له غلات وكان يرسل الى عائشة اذا جاءت غلته كل سنة بعشرة آلاف وقضى عن صبيحة التيمي ثلاثين الف درهم وقال الواقدى حدثني اسحق ابن يحيي عن موسى بن طلحة ان معاوية رضى الله عنه سأله كم ترك أبو محمد يعنى طلحة من العين قال ترك الفي الف درهم ومائتي الف درهم ومائتي الف دينار ـ وقال ابراهيم بن محمد بن طلحة كان قيمة ماترك طلحة من العقار والاموال وما ترك من الناض ثلاثين الف الف درهم وترك من العين ألفي الف ومائتي الف درهم ومائتي الف دينار والباقي عروض ـ وقال على بن رباح قال عمرو بن العاص رضى الله عنه حدثت ان طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه ترك مائة (١) بهار فى كل بهار ثلاث قناطير من ذهب قال وسمعت ان البهار جلد ثور والبهار لغة ثلثمائة رطل قال ذلك كله ابو عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدى فى طبقاته الكبرى ـ وايضاً كان لسعد بن ابي وقاص والبراء بن معرور السلمى والعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن عمر اموال كثيرة. ويدل علي ذلك ان العباس فدى نفسه وابن اخيه عقيلا بثمانين أوقية ذهبا ويقال الف دينار .وما روى عن عبد الله بن عمر انه كان اذا رأى من رقيقه امرا يعجبه اعتقه فعرف رقيقه منه ذلك فشمروا للعبادة فاعتقهم فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له . وما روى ان سعد بن ابي وقاص قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فقلت يا رسول الله مال كثير وليس يرثني الا ابنى أفأوصى بثلثي مالي قال لا الحديث ـ فهذا كله مما يدلك ان الدنيا ليست مكروهة لعينها والا لامرهم صلى الله عليه وسلم بالانسلاخ من اموالهم ـ واما المسئلة المشهورة فى التفضيل بين الغني الشاكر والفقير الصابر فذهب ابن عطاء الله قدس الله روحه الى تفضيل الغنى وخالف في ذلك الجنيد وجمهور الصوفية وما اوردوه عليه من

---

(١) هو بالضم شئ يوزن به وهو ثلثمائة رطل او اربعمائة او الف وهو ايضاً العدل فيه اربعمائة رطل انظر القاموس

Digitized by Google

ان الغنى وصف الحق والفقر وصف العبد وصفات الربوبية لاينازع فيها معارض بان العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد فليكونا أفضل له ثم لا شك ان الفقير القانع أفضل من الغنى الحريص والغنى المنفق ماله فى الخيرات أفضل من الفقير الحريص قال ابن دقيق العيد فى شرح العمدة الذي تقتضيه الاصول انهما ان تساويا وحصل الرجحان بالعبادات المالية يكون الغنى أفضل ولا شك فى ذلك وانما النظر فيما اذا تساويا فى اداء الواجب فقط وانفرد كل واحد بمصلحة ما يوفيه فاذا كانت المصالح متقابلة ففي ذلك نظر يرجع الى تفسير الافضلية فان فسر الافضل بزيادة الثواب فالقياس يقتضى ان المصالح المتعدية افضل من القاصرة وان كان الافضل بمعنى الأشرف بالنسبة الى صفات النفس فالذى يحصل للنفس من التطهير للاخلاق والرياضة لسوء الطباع بسبب الفقر أشرف فترجح الفقر ولهذا المعنى ذهب الجمهور من الصوفية الى ترجيح الفقير الصابر لان مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقر أكثر منه مع الغنى فكان أفضل بمعني الشرف هكذا قاله ابن دقيق العيد في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء لما شكى له ان الفقراء قالوا ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم الحديث — فقد بان لك واتضح بالكلام فى هذين المقامين ان التعلق بالاسباب لا ينافي التوكل وان وجود المال فى اليدين لا فى القلب لا ينافي الزهد والمقصود الجام المفلوكين عن التعلق بالزهد او التوكل فى انزواء الدنيا عنهم جدلا مهما كانوا محتجين لا زاهدين حقيقة فان الزاهد حقيقة لا كلام معه لان الزهد كما لا ينافي المال لا يستلزمه وغايته ان الزهد على قسمين قسم مع المال وقسم لا مع المال فلا منافاة ولا استلزام له

الفصل الرابع

فى الآفات التى تنشأ من الفلاكة وتستلزمها الفلاكة وتقتضيها

وهي أكثر من ان تحصى او يحملها القلم ـ فمنها ـ ضيقة العطن (١) والنزق وذلك

(١) هو كناية عن انقباض الصدر والنزق بالتحريك الخفة والطيش عند الغضب اه

Digitized by Google

ان طبيعة الفرح والسرور هو تفشي الروح الحيواني وتخلخله وينشأ من ذلك سعة الصدر وقبول النفس لما يرد عليها وانفعالها له ولذلك تتحين اصحاب الحوائج بحوائجهم سرور من يسألونه اياها وطبيعة الكمد والقبض هو تكاثف الروح الحيواني وتجمعه وينشأ منه ضيقة العطن والنزق وسوء العشرة والانحراف والانكماش عن الخلق — ومنها — ان الفلاكة يلزمها القهر والاكراه ومتي استولى القهر والغلبة على شخص حدثت فيه اخلاق رديئة من الكذب والتخبيب وفساد الطوية والخبث والخديعة ولذلك كانت اليهود موصوفين بالخبث والذل والخديعة لاستحكام القهر عليهم وغلبة الاكراه على عامة احوالهم ولذلك ايضاً ينهي عن ارهاف الحد على الولدان والعبيد ويؤمر بترويحهم ومد الطول لهم خشية عليهم من اكتساب هذه الاخلاق الذميمة — ارسل هارون الرشيد الى خلف الاحمر لتأديب ولده الامين فقال له ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة فؤاده فكن له حيث وضعك امير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الاخبار وروّه الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وامنعه من الضحك الا في اوقاته ولاتمرر بك ساعة الا وانت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير ان تخرق به فتميت ذهنه او تهمله فيستحلى الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالتقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة — ومنها الحقد وذلك انه اذا استحكمت الفلاكة وعرف بها شخص اوسعه الناس اغاظة استهوانا به وعدم مبالاة بغضبه وأمناً من غائلته ومغبته فاذا تواردت موجبات الغضب وازدحمت عليه من توقيفه على نقائصه والاغماض عن كمالاته وتقريعه بزلاته وتوبيخه على تقصيره وهتك استاره واذاعة اسراره وجبهه باقبح الكلام فى وجهه وعدم اعتباره والمبالغة من عتبه ومعاكسته في مراده او عدم اسعافه به وعجز عن الوقوف فى ذلك موقف نكير أو ان ينفس غيظه منه بنفثة مصدور او ضربة موتور واستبحرت اسباب الغيظ وزخرت امواج العجز عن اطفائه بالانتقام عاد ذلك الي الباطن واجج فيه نارا وتحول حقدا وضغينة وسخيمة وتعوقه موانع الفلاكة عن اعماله فيصير ألما صرفاً ووسواسا سوداوياً ومعصية مجردة — ومنها الحسد وتوجبه الفلاكة من وجوه احدها انه اذا توالت مقتضيات الغيظ كما قدمنا وعجز المفلوك عن

Digitized by Google

الانتقام تحول ذلك حقدا وضغنا كما مر والحقد يقتضى الانتقام فلن عجز أحب ان يتشفى منه بانتقام الزمان له منـه وربما يحيل ذلك على كرامته عند الله وربما يظهر أنه لامنزلة له عند الله حيث لم ينتقم منه و بالجملة فالفلاكة يلزمها الاغاظة والاغاظة يلزمها الحقد والحقد يلزمه ارادة الانتقام والعجز عن ذلك يلزمه حب زوال تلك النعمة التي بها التفاوت اللازم منه الا غاظة ولازم لازم الشئ لازم لذلك الشيء — وثانيها ان يثقل على المفلوك ان يترفع عليه غيره فاذا أصاب مساو له فى صفات النفس مالا او جاهاً وخاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق ان يتكبر عليه ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتيهه وتفاخره عليه وان يستصغره و يستخدمه وعجز عن زوال الفلاكة عنه واللحوق به فى تلك النعمة احب زوالها عن غيره — وثالثها ما يحدث فى نفوس المفلوكين من دعوى الاستحقاق لتلك النعم ولذلك قال ابن مقله

واذا رأيت فتى بأعلى رتبـة * فى شامخ من عزه المترفع
قالت لى النفس العروف بقدرها * ما كان أولانى بهذا الموضع

حتى ان من المفلوكين من تنتهى به دعوى الاستحقاق الى حد يرى ان النعم التى بايدى الناس استحقاقه ومغصوبة منه والمالك المستحق طالب لزوال ماله من ايدى الغاصبين لامحاله — ومنهـا الغيبة والطعن فى اعراض الناس والغض منهم وذلك ان الغضب والحقد والحسد ثلاثتها من البواعث العظيمة على الغيبة اذا امتلأ المفلوك غضباً وحقدا وحسدا وعجز عن الجرى على مقتضاها جهاراً ومواجهة التجأ الى الفكرة والغوص على مساوى خصومه واعمال الحيلة فى الاطلاع على عوراتهم وضم اليها اكاذيب وتنميقاً ونشرها على وجه الغيبة مرة ارادة الترفع بنفسه بسلامته من تلك النقائص او لاتصافه بنقائضها الكمالية على سبيل التعريض كما يقول فلان فاسق او شرير ارادة سلامته من ذلك او فلان جاهل او ذهنه ركيك وكلامه ضعيف تعريضاً باتصافه بنقائض ذلك. ومرة ارادة صرف الناس عن الاسترسال في تعظيم خصومه وكفهم عن الافراط فى الثناء عليهم ومحبتهم بتوقيفهم على مايوجب تنقيصهم وصرف القبول عنهم . ومرة بتمهيد عذر نفسه من اتصافه بالمساوى والنقائص بمشاركة العظماء له فى تلك المساوى . ومرة على

Digitized by Google

سبيل اللذة بالطعن فى الاعراض تشفياً بحسب المقدور حتى قال بعض الاعراب لم يبق من لذات الدنيا الا الطعن فى اعراض اللئام ثم يتعود لسانه هذه المعصية العظيمة حتى تصير له خلقاً وفكاهة ونقلا ويساعده على ذلك امكانها وتسهيلها وعدم افتقارها الى أدوات وآلات وكونها عبارة عن النطق الذى هو انضغاط الهواء فى المجرى على مقاطع الحروف والهواء والتنفس طبيعى للحيوان بخلاف غيرها من المعاصى لتوقفه على أدوات كثيرة . وايضاً فالانسان خلق فعالاً بالطبع كما ذكره الشيخ فى الاشارات ولا يتخلف عن مقتضى طبعه من الفاعلية الا لصارف وصادّ كما فى الافعال الشاقة التى لايمكن مزاولتها الا بتجشم الكلف والمؤن وكما فى الصارف العقلى أو الوهمى من الكلام المضر فمهما وجد المقتضى وزال الصارف عن الفعل كما فى الكلام عملت الطبيعة عملها ولذلك كان الامتناع من الكلام ولزوم السكوت عسيرا شديداً — ومنها كون الفلاكة غطاء وستراً على محاسن المفلوك وكمالاته النفسانية وأدواته ومعارفه حتى ان الفلاكة تسرى الى نطقه ومصنوعاته ومقاصده فاما ان يغفل عن محاسن كلامه ومقاصده ولا يعبأ بها و يعرض عنها واما ان يصرف كلامه عن ظاهره بوجه من التأويل واما ان لايفهم مراده منه واما ان يدعى عليه غير مراده واما ان يدعى فساد قصده فيه ولذلك تروج بعض الكتب بنسبتها الى رجل مرموق بعين الجلالة كما فعل فى الورقات حيث نسبت الى امام الحرمين وليست له بشهادة عباراته الفائقة الرائقة في باقى كتبه ومخالفة الورقات لما فى البرهان فى التصحيح والحكم وكما فعل فى السر المكنون وفى المضنون به على غير اهله حيث نسبا الى الغزالي كما قاله الاسنوى فى الطبقات وليساله كما ذكره في الطبقات ولذلك ايضا تجد البحث النفيس يلقيه الباحث بين الافاضل فيبادرونه بالانكار والتزييف والمناقشة و يضايقونه فيه حتى يقول لهم هذا البحث قاله الامام فخر الدين الرازي او الزمخشري مثلا او من في معناهما فحينئذ يرجعون الى ذلك البحث بالتأويل والتثبت و يعترفون بحسنه وربما يزيدونه توجيهاً وتقريرا. ولكون الفلاكة غطاء وسترا على المحاسن تجد الشهرة والصيت والسمعة يقعن فى غير موقعها غالبًا فرب شخص مشهور بالعلم أو الصلاح وليس هناك ورب شخص قعدت عنه الشهرة وهو أحق

Digitized by Google

بها وذلك لان الفلاكة متى زالت عن شخص تزلف اليه بالثناء عليه ونشر المحاسن عنه وحمل كلامه وفعله من المحاسن والمقاصد الجميلة فوق طاقته وتناقلته الالسنة تزلفا اليه لما يعلمون من ان النفوس مجبولة على حب الثناء ووقعت المحاباة والاغماض عن احواله المدخولة وافرغت في قوالب جميلة بالتأويل والاعتذار وجاءت المغالطات بالتلبيس والتصنع فيطير ذكره فى الآفاق وتسير به الركبان ويجئ الصيت والشهرة وليس هناك . وعلى الجملة فالشهرة انما تقع فى غير موقعها من جهة ما يطرق الاخبار من التزلف بالثناء الكاذب او مايطرق الاحوال من الخفاء وعدم تطبيقها على الواقع لخفائها بالتلبيس والتصنع فتنتشر على خلاف ماهي عليه .وانت خبير بأن التزلف بالثناء انما يكون للاغنياء او من فى معناهم وان الاغماض عن التلبيس والتصنع وعدم كشف الغطاء عنه انما يكون لهم أيضاً واعتبر العكس بالعكس — ومنها ان الفلاكة مهما استولت على عالم او فاضل او نبيه لزمه بسببها آلام عقلية ولا شك ان الألم العقلى أقوى من الألم الجسمانى ولذلك يكون التعب القلبي اشد انها كاً للبدن من التعب الجسمانى ولذلك يتحمل عظيم المشاق البدنية خوفاً من العتب والتوبيخ والملامة والتقريع كما ان اللذة العقلية أقوى من اللذة الجسمانية والدليل على ذلك من ثلاثة اوجه — اولها ان اللذة عبارة عن ادراك الملائم وكلما كان الادراك أشد والمدرك اشرف كانت اللذة أتم لكن الادراك العقلى أقوى من الجسمى لانه ينفذ في باطن الشئ فيميز بين الماهية واجزائها وعوارضها وجنسها وفصلها وأما الحسي فلا شعور له الا بظاهر المحسوس وسطوحه ومدرك العقل أشرف وهو الله تعالى وصفاته وملائكته وكيفية وضع العالم ومدرك الحس السطوح وعوارضه واذا كان كذلك وجب كون اللذة العقلية أقوى من اللذة الجسمانية — وثانيها أنا نعلم بالضرورة ان احوال الملائكة اطيب من احوال البهائم وليس للملائكة شئ من اللذات الحسية فلولا ان اللذة العقلية أطيب والا لكان حال البهائم أطيب من حال الملائكة — وثالثها الحيوان قد يرجح غيره على نفسه فى المطعوم والمشروب عند حاجته اليه ولولا أن لذة الايثار أقوى من لذة المطعوم والمشروب والا لما كان ذلك بل الشجاع قد يلقى نفسه فى المعركة مع ظن الهلاك او يقينه وما ذلك الا لأن لذة

Digitized by Google

الحمد أقوى من لذة الحياة واذا ثبت ذلك فى اللذة ثبت مثله فى الألم العقلي والجسمانى لان نسبة هذا الألم الي الألم الجسمانى كنسبة اللذة العقليـة الى اللذة الجسمانية وكلام الفلاسفة وابن سينا طافح بأن الالم العقلى أقوى من الألم الجسماني — اذا تقرر ذلك كله فللمفلوكين من أهل العقل والفضل والنباهة آلام عقلية تلزمهم — أولاها تشوفهم وتشوقهم الى المكارم والمعالى ومد أعناقهم نحوها ولاشك ان الشوق الى المشوق مع عدمه وعدم التمكن من تحصيله وعدم الاشتغال بما يلهى عنه عذاب مذاب ولذلك لايبتهجون بالاعياد والمواسم بل تكون زيادة فى كمدهم ونكدهم وستأتى اشعارهم في تشوقهم الى المعالى وتألمهم على فقـدها فى الفصل الثانى عشر ان شاء الله تعالى — وثانيها تألمهم بذكر نقائصهم الواقعة منهم أحيانًا بحكم البشرية لما ركب الله تعالى فى البشر من القوة الشهوانية والغضبية والمتوهمة اللواتى هي اصول الفساد وهى المشار اليها في قوله تعالى (الى ظل ذى ثلاث شعب) في احد الاقوال ولمـا ان للقلب ميلاً الى الاخلاق السبعية والبهيمية والشيطانية على ماهو مقرر فى كتب الصوفية ولما ركب ايضا فى الجسم من التسفل ولما جعل من ان الفساد ادخل تحت القدرة من الصلاح كالبناء والهدم ولا شك ان اطلاق النفس وطبيعتها ترويح لها وتنفيس من ألم ضبطها وحينئذ فيكون الترويح والتنفيس بالنسبة الى المفاليك ناقصاً (١) مخدجاً لمـا فيه من ترقب التنقيص به ويكون ايضـاً عسير الانتظام نادر الوقوع لذلك ولقد احسن من قال

اما ذنابى ولاتعبا بمنقصة * او ذروة المجدواحذر ان تقع وسطا

وأشد من ذلك ألما واعظم مصيبة اضافة النقائص الموهومة او المكذوبة اليهم وهم منها براء ولقد عرى اهل الفضل من ذلك شدائد — كان الزمخشرى ابو القاسم محمود ابن عمر بن محمد الخوارزمى ساقط احد الرجلين وكان يمشى فى حلوب من خشب لسقوطها بالثلج فى بعض اسفاره فى بلاد خوارزم فكتب معه محضرا فيـه شهادة

---

(١) هو من اخدجت الناقة جاءت بولد ناقص وان كانت ايامه تامة ويقال رجل مخدج اليـد ناقصها اه من القاموس (٢) الذنابي مثل حبارى الذنب وذروة الشيء اعلاه اى كن ذنباً سافلا او ذروة عالياً راقياً اه

Digitized by Google

خلق كثير بذلك لئلا يرمى بنقيصة السرقة — وكان ابن فضلان ابو القاسم يحيى بن علي ابن الفضل البغدادى الملقب جمال الدين الامام فى الاصول والخلاف والجدل الرئيس الوجيه ذاهب احـدى اليدين لانه لما خرج من نيسابور سقط عن دابته ففسدت يده وادت الحال الي قطعها فعمل محضراً بذلك خوفا من التهمة بالقبيح ومع ذلك فقد كان يجرى بينه و بين المجير البغدادى مناظرات فيشنع هو على المجير بالفلسفة والمجير يشنع عليه بقطع يده — والسبب فى تخصيص اهل الفضـل باذاعة نقائصهم وعـدم اقالتهم اياهاوالتلبيس والافتراء عليهم مهما كانت محققةأو موهومة محتملة ان النفوس مجبولة على المساواة والمباهاة ولا تحب لغيرها تفوقا عليها فمهما وجدت سبيلا للتنقيص من كمال الكمل ولو تلبيسا مقبولا سلكته تنقيصا للكمال وطلبا للمساواة بحسب الامكان بخلاف الناقص فى نفسه فانه لاحاجة الى تنقيصه — وثالثها ألم الانفراد مع ان الانسان مدني بالطبع لايمكنه ان يستقل بنفسه منفردا عن الغير بحيث لايستعين باحد فى حاجاته وضروراته بل لاقوام لأحواله الا بالتعاون حتى ان الرغيف من الخبز لا يصير رغيفاً الا بآلات واعمال تفتقر الى صناع كثيرين كثرة بالغة. والمدنية فى اصطلاح الحكماء هى الاجتماع ولما ان الانسان مدنى بالطبع فى احواله الكمالية والمصلحية فلا يمكنه ان يستقل بنفسه منفردا عن الغير بحيث لايستعين باحد فى اموره الكمالية والمصلحية والوجدان والتجربة اصـدق شاهد في ذلك والمناسبـة والاخالة تصحح القياس والالحاق والمفاليك يلزمهم الانفراد لزوما لاانفكاك لهم عنه. والسبب فى ذلك ان الناس بالاضافة الى المفلوك اربعة اقسام مساوله فى الفلاكة . اكثر منه فلاكة. اعلى منه بقليل . اعلى منه مطلقاً — ووجه الحصر أن المأخوذ بالاضافة الى المفلوك اما مفلوك او غير مفلوك والاول اما مساو او انزل . والثانى اما أعلى بقليل او اعلى مطلقا اذا تقرر ذلك فالقسمان الاولان لافائدة فى الاجتماع بهما لان حكمة التمدن مفقودة فيهما وغاية الاجتماع بهما تضاعف الفـلاكة وتكاثفها وتغليظ الحجاب الحاجب عن المقاصد كانضمام ظلمة الى اخرى وكغسل العذرة بالبول. والقسم الاخير يمنع من الاجتماع به امور اعظمها ان العظماء والنبلاء يحرصون على سد الذرائع في اطماع المفلوكين فى جانبهم بتبعيدهم والاعراض عنهم خشية من تثقيلهم

Digitized by Google

بجوا أبجهم وان يكونوا كلا عليهم وانهم يتأنفون المفاليك ويستقذرونهم و يستثقلون ظلهم و يتوقعون من تقريبهم مفاسد وضوحها يغنى عن بسطها و يتوهمون فى بعضهم حسدا وتملقا كاذبا (١) صاخياً من غير اخلاص ولامناصحة . والقسم الثالث يمنع من الاجتماع بهم امور كثيرة اعظمها عدم تعلق الرجاء والخوف بالمفاليك الذى هو داعية الاجتماع غالبا وشغل هذا القسم بالمساوين لهم فى النباهة بحيث لايفضون للاجتماع بالمفاليك غالبا وعدم حرص المفاليك على استمالتهم واستعطافهم لضعف الرجاء فيهم ولكن هذا القسم اقل مانعا من القسم الاخير ولذلك ربما نال بعض المفاليك حظًا من الاجتماع بهم — ومنها ولوعهم بالاسفار ومخاطرتهم بنفوسهم فيها مع ما فيه من العذاب المذاب بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم « السفر قطعة من العذاب » -- ولقد صرح بتعليل السفر بالفلاكة من قال

يقيم الرجال الاغنياء بارضهم * وترمى النوى بالمقترين المراميا

والسبب في ذلك يفتقر بيانه الى مقدمة وهي ان الظن اقوى من الشك والعلم أقوى من الظن ورتب الظنون متفاوتة فى نفسها جلاء وخفاء واجلى لقوة مستند الظن وضعفه وكذلك رتب العلوم متفاوتة فى المعلومية فكم بين المشاهدات و بين كل قضية صدق العقل بها بواسطة الحس كعلمنا بحرارة النار و برودة الثلج و بين الحدسيات وهي كل قضية يصدق العقل بها بواسطة الحدس كالعلم بحكمة الصانع عند رؤية العالم على غاية الاتقان من التفاوت وان كان كل من المشاهدات والحدسيات مفيدا للعلم ولذلك لم ينكر العلم المستفاد من الحس الا السوفسطائية وكم بين العقلاء من الاختلاف في الحدسيات اختلافا قويا وضعيفاً ولذلك ايضا فرقوا بين علم اليقين وعين اليقين ومن هنا ينكشف لك مادة الجواب عن قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم (بلى ولكن ليطمئن قلبي) ثم الانسان متشوف الى مصلحته فاذا تعارض عنده فى تحصيل مصلحته طريقان احدهما مظنون والآخر مشكوك فيه او احدهما أجلى فى الظن من الآخر او احدهما اقوى فى المعلومية من الآخر فالعمل بهما معا جمع للنقيضين وتركهما معا رفع للنقيضين

---

(١) في القاموس صخي الثوب كرضي اتسخ ودرن اه ومنه يفهم المراد.

Digitized by Google

وكلاهما محال والعمل بالمرجوح وترك الراجح خلاف صريح العقل فيتعين العمل بالراجح اذا تقرر ذلك فالسبب فى كثرة تنقلات المفلوكين فى الارض أنه متى استولت الفلاكة على شخص فى بلد واضطرب فى ارجائها وتلكم فى طرق معاشها وذاق طبائع اهلها وراز شهامتهم وعصبيتهم وارتياحهم الى الحامد وأريحيتهم وامتحن قوته فى التسلق الى مطالبه وابت تلك البلد عليه الا نبوا ودفعا وممانعة عن المطلوب ومل وجوها لاخير فيها ومج سمعه كلاما لامحصل له وقذفهم بقلبه فقذفوه بقلوبهم بل و بظواهرهم فحينئذ يظن او يعلم ان تأتي المصلحة في ذلك البلد مستحيل اومتعسر والبلد الثانى ظن الخير قائم به لاسيما فيمن يتوهم في نفسه استعدادا لافاضة الخير عليه فيحب حينئذ السفر الى البلد الثاني والاقيسة العقلية وان اقتضت استمرار الفلاكة فى البلد الثاني من جهة ان موجبات الفلاكة القائمة بالمفلوك مصاحبة له سفرا وحضرا وكذلك موجبات فلاكته القائمة بالناس موجودة فيهم في كل بلد لكن الادلة متعارضة فى البلد الثاني والعلم المستفاد بالتجربة فى البلد الاول مفقود فى البلد الثاني والاحتمالات مقتضية للاضطراب وليس الخبر كالعيان ولا الشر الحاصل المحسوس كالشر المترقب المعقول وان كانا معلومين ولذلك من قصده شخص بسيف مصلتا يريد قتله وهو على سطح عال يرمى بنفسه منه الى الارض وان كان ذلك احد الطريقين في هلاكه وربما صار السفر للمفلوك طبيعيا لكثرة ما يعاني من الشدائد والمشاق كمن وقع في ماء او نار فانه بطبعه يأخذ الى محيط النار وساحل الماء — واذا اتضح عندك ما قررناه وقفت على الحكمة فى تمنى المفلوكين تغير الدول وتشوفهم الى ذلك فان الدولة الحاضرة كالبلد الاول والدولة المتمناة كالبلد الثاني وقوة الرجاء وقيام احتمال الخير المتعلق بالدولة الثانية حكمه حكم البلد الثانى وقد اشار الى ذلك من قال

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ ✲ نصيب من الدنيا تمنى زوالها

— ومنها تعلقهم بالاسباب المستحيلة كالنجوم والكيمياء والمطالب والحرف الهوائيه الضعيفة الصدفية كصناعة الشهود لغير المعروف والدلالة لغير المشهود والسبب فى ذلك انه اذا اخفقت مساعى المفاليك وعجزوا عن المعاش الطبيعى والتعلق بالاسباب المقيسة المطردة ودهشوا وتحيروا وعميت عليهم الانباء وتعلقت نفوسهم بالدنيا ولذاتها

Digitized by Google

تمنوا الامانى وقنعوا بمخادعة الاملاق بالمواعيد الكاذبة واستنشقوا الغنى من حيث لاتهب ريحه واتوا السعادة من غير ابوابها وأنا ابين وجه استحالة الاسباب الا ول وهى الكيمياء والنجوم والمطالب واستحالة افضاء التعلق بالسبب الآخر الى المطلوب — فاما النجوم فنقول ليس البحث فى تأثير شعاع الكواكب فى التسخين عند المسامتة او التبريد عند الانحراف عن المسامتة ولا فى وجود الضياء فى المواضع التى تطلع فيها الشمس والقمر وعدمه فيما غابا عنه ولا فيما يجرى مجري التأثير الطبيعى على حسب ما نصه سبحانه وله الحمد مثل ان النبات ينمى ويقوى ويشتد ويتكامل وينضج ثمره بالشمس والقمر وكما فى امتداد القثاء وطوله وغلظه بالقمر وسرعة نضج التين وادراكه بمقابلة الشمس وبقائه فجا بطيء الادراك بخفائه عن الشمس ومثل ان البرد بسبب بعد الشمس عن سمت رؤسنا وقوة الحر بسبب قرب الشمس من سمت رؤسنا وكذلك ليس البحث فى ان الشمس اذا طلعت فان الحيوان ناطقه وبهيمته يخرج من اماكنه واكنته وتظهر القوة والحركة فيهم وتزداد قوة الحيوان مع ازدياد صعود الشمس فى الربع الشرقى وتنقص وتضعف قوة الحيوان وتفتر مع ميل الشمس عن وسط السماء . ولا فى ارتباط فصول العام الاربعة بحركات الشمس ولا فى انفتاح اللينوفر وورق الخطمى وتحركه بطلوع الشمس وضعفه اذا غابت عنه . ولافي المد الحاصل فى بحر فارس والهند اذا بلغ القمر مشرقا من مشارق البحر الى ان يصير القمر الى وسط سماء ذلك الموضع . ولافي الجزر الحاصل في البحرين المذكورين. ولافى تأثير الشمس والقمر حرارة ورطوبة وبرودة ويبوسة وتوابعها فى هذا العالم من الحيوان والنبات بواسطة الهواء وقبوله للسخونة والحرارة بانعكاس شعاع الشمس مثلا عليه عند مقابلتها لجرم الارض واختلاف حال الهواء بذلك واختلاف احوال الابخرة في تكاثفها وبردها ولطفها وحرها . ولا في أن السودان لما كان مسكنهم خط الاستواء الي محاذاة ممرّ رأس السرطان وكانت الشمس تمر على رؤسهم فى السنة اما مرة او مرتين تسودت ابدانهم وجعدت شعورهم وقلت رطوباتهم فساءت اخلاقهم وضعفت عقولهم . ولا في اهل الهند واليمن وبعض اهل المغرب لما كانت مساكنهم اقرب الي محاذاة ممر السرطان كان السواد فيهم اقل

Digitized by Google

وطبائعهم اعدل واخلاقهم احسن واجسامهم انصع. ولافى اهل العراق والشام وخراسان وفارس والصين لما كانت مساكنهم على ممر رأس السرطان الى محاذاة بنات نعش الكبرى والشمس لاتسامت رؤسهم ولاتبعد عنهم بعدا كثيرا وأن لذلك لم يعرض لهم حر شديد ولا برد شديد كانت الوانهم متوسطة واجسامهم معتدلة واخلاقهم فاضلة .ولا فى ان هؤلاء مختلفون بحسب اختلاف ذلك فمن كان من هؤلاء اميل الى ناحية الجنوب كان اتم فى الذكاء والفهم ومن كان منهم يميل الى ناحية المشرق فهم اقوى نفوسا واشد ذكورة ومن كان يميل الى ناحيــة الغرب غلب عليهم اللين والرزانة . ولا فى أن الترك والصقالبة لما كانت مساكنهم محاذية لبنات نعش والشمس بعيــدة عن مساكنهم كان البرد غالبا عليهم والرطوبة مستولية عليهم لانه ليس هناك من الحرارة ما ينشفها وكان لذلك الوانهم بيضاء وشعورهم سبطة شقراء وابدانهم رخصة وطبائعهم مائلة الى البرودة واذهانهم جامدة. ولافى ان الاخلاط التى فى بدن الانسان تزيد مادام القمر آخذاً فى الزيادة ويكون ظاهر البدن اكثر رطوبة وحسناً فاذا نقص ضوء القمر صارت هــذه الاخلاط فى غور البدن والعروق وازداد ظاهر البدن يبسا. ولافى ازدياد ألبان الحيوانات بتزايد القمر اول الشهر الى نصفه وتناقصها مع نقصانه. ولافى ادمغة الحيوان وامقال البيض التى تزيد اول الشهر وتنقص آخره . ولا فى ان الانسان اذا نام او قعد فى ضوء القمر حدث فى بدنه الاسترخاء والكسل وهاج عليــه الزكام والصداع .ولا فى بلاء الكتان وفساد اللحم وتغير طعمه بانكشافه لضوء القمر. ولا فى كثرة الاسماك فى البحر وسمنها اول الشهر وقلتها وضعفها آخره . ولافى قبول الرياض والاشجار للنمو والنشو اذا غرست اول الشهر وعدم قبولها لذلك اذا غرست آخره — انما البحث فى ان النجوم تؤثر فى جملة الحوادث السفلية من السعادة والشقاوة والذكاء والبلادة والحسن والقبح والخديعة والمكر والنذالة والشهامة والشجاعة والجبن والاشكال والمقادير ونحوها وان ذلك كله باتصالات الكواكب وانفصالاتها ومسامتتها ومباينتها فان هذا مما لا برهان عليــه لايخبر من لايجوز الكذب عليه ولا بضرورة العقل ولا بنظره وغايته حدس وتخمين وظنون كاذبة وتزوق وتفرس وحيلة وخديعة حتى ان من لا يتقيد بالشريعة كابن سينا

Digitized by Google

والفارابي بالغافي الرد على الاحكاميين والنجوميين واطال في ذلك ابن سينا فى آخر الشفاء وحتى ان ابا معشر وهو من أئمتهم اعترف بانه تخمين فانه قال معتذراً كل الأعراض الغائبة توهم لا يكون شيء منها يقينا وانما يكون توهم اقوى من توهم. وانظر ما كان اقوى تعلق بنى برمك بالنجوم حتى فى ساعات اكلهم وركوبهم وعامة افعالهم وكيف كانت نكبتهم الشنيعة. وانظر حال على بن مقلة الوزير وتعظيمه لعلم احكام النجوم ودخوله داره على طالع سعيد فنكب فيها اشد نكبة وقطعت يده ولسانه — والدليل على بطلان ذلك انا نشاهد عالماً كثيراً يقتلون فى ساعة واحدة فى حرب وخلقا يغرقون فى ساعة واحدة مع القطع باختلاف طوالعهم واقتضائها عندهم احوالا مختلفة ولو كان للطوالع تأثير فى هذا لامتنع عند اختلافها الاشتراك فى ذلك ولا ينفعهم الجواب بان طالع الوقت قد يكون أقوى من طالع الاصل فيكون الحكم له لانا نقول هذا بعينه يبطل الجزم بطالع المولود ويحيل القول بتأثيره فلعل طوالع الاحوال المتجددة أقوى من طالع الاصل فيرتفع الوثوق بطالع الاصل اذ لا أمان لاقتضاء الطوالع بعده ضد ما اقتضاه وحينئذ فلا يفيد اعتباره شيئاً — وايضاً فانه لو كان طبيعيا وذاتيا لما اختلف والتالى باطل فالمقدم مثله أما الملازمة فظاهرة وأما بطلان التالى فان المنجمين قلما يجمعون على شيء ويكون كذلك — فمن ذلك اتفاق حذاقهم سنة سبع وثلاثين عام صفين فى مخرج علي رضى الله عنه من الكوفة الى محاربة اهل الشام على انه يقتل ويقهر جيشه فظهر كذبهم وانتصر جيشه على اهل الشام ولم يقدروا على التخلص منهم الا بالحيلة التى وضعوها من نشر المصاحف على الرماح والدعاء الى ما فيها — ومن ذلك اتفاقهم عند ماتم بناء بغداد سنة ست واربعين ومائة على ان طالعها يقتضى أنه لا يموت فيها خليفة وشاع ذلك حتى هنأ الشعراء به المنصور حيث قال بعض شعرائه

يهنيك منها بلدة تقضى لنا * ان الممات بها عليك حرام

لما قضت احكام طالع وقتها * ان لا يرى فيها يموت امام

وأكد هذا الهذيان فى نفوس العوام موت المنصور بطريق مكة ثم المهدى بماسبذان ثم الهادى بعيساباذ ثم الرشيد بطوس فلما قتل بها الامين بشارع باب الانبار انخرم

Digitized by Google

هذا الاصل حتي رجع القائل الاول فقال

كذب المنجم فى مقالته التى * نطقت على بغداد بالهذيان
قتل الامين بها لعمرى يقتضى * تكذيبهم فى سائر الحسبان

ثم مات ببغداد جماعة من الخلفاء مثل الواثق والمتوكل والمعتضد والمكتفى والناصر وغير هؤلاء — ومن ذلك اتفاقهم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين فى قصة عمورية على ان المعتصم ان خرج لفتحها كانت عليه الدائرة وان النصر لعدوه فخرج ففتح عمورية وما والاها من كل حصن وقلعة وفى ذلك الفتح قام ابو تمام الطائى منشدا

السيف أصدق انباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
اين الرواية ام اين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا واحاديثاً ملفقة * ليست بنبع (١) اذا عدت ولا غرب

وهى نحو من سبعين بيتا اجيز على كل بيت منها بألف درهم — ومن ذلك اتفاقهم وفيهم زعيمهم ابو الحسن العاصمى على ان المكتفى بالله ان خرج لقتال القرامطة لم يرجع وتزول دولته وان طالع مولده يقتضى ذلك واخافوا وزيره القاسم بن عبيد الله من الخروج معه فخرج اليهم المكتفى وأخذهم جميعاً ولما عاد وزيره القاسم أمر باحضار رئيس المنجمين وصفعه صفعاً عظيما — ومن ذلك اتفاقهم سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة عند ما اراد القائد جوهر بناء مدينة القاهرة المعزية وقد كان سبق مولاه الملقب بالمعز الى الدخول الى الديار المصرية لما امره ببنائها وان يكون نجوم طالعها فى غاية الاستقامة ويكون بطالع الكواكب القاهر وهو زحل او المريخ ولذلك سميت القاهرة فجمع القائد جوهر المنجمين فحققوا الرصد وأمر البنائين ان لا يضعوا الاساس حتى يقال لهم ضعوه وان يكونوا على نهاية من التيقظ والاسراع فوضعت على ذلك الاتقان واتفقوا على ان الدولة الفاطمية لا تخرج الدولة عنهم فلما استولى عليها صلاح الدين يوسف بن ايوب

---

(١) النبع شجر تعمل منه القسي والسهام والغرب بالتحريك شجر أيضاً اه من القاموس

Digitized by Google

وكان المصريون قائمين بدعوة العاضد عبد الله بن يوسف توهم الجهال ان ماقاله المنجمون حق فلما رد صلاح الدين الدعوة الى بني العباس ظهر كذبهم وكانت المدة بين وضع الاساس وانقراض الدولة نحوا من مائة وثلاثة وتسعين عاما واعتذار من اعتذر عنهم بسبق البنائين الارصاد بعيد لان تبديل البناء وتغييره مع الاحتياط للدولة مع سهولة التغيير مما لا يتسامح به — ومن ذلك اتفاقهم سنة خمس وتسعين وثلثمائة فى ايام الحاكم على انها السنة التى تنقضى فيها بمصر دولة العبيديين وذلك عند خروج الوليد بن هشام المعروف بابى ركوة الاموى وحكم الطالع له بانه هو القاطع لدولة العبيديين وانه لا بد أن يستولى على الديار المصرية و يأخذ الحاكم اسيرا ولم يبق بمصر منجم الاحكم بذلك واكبرهم المعروف بالفكرى منجم الحاكم فكان ابو ركوة قد ملك برقة واعمالها وكان من تدبير الحاكم ان دعا خواصهم وأمرهم ان يكاتبوا ابا ركوة و يطمعوه باختياره على الحاكم ففعلوا فزحف ابو ركوة بعساكره حتى نزل بوسيم على ثلاثة فراسخ من مصر فخرجت اليه العساكر الحاكمية فهزمته فتحقق انها خديعة فهرب وقتل خلق كثير من عسكره وطلب فاخذ اسيرا ودخل به الى القاهرة على جمل مشهورا ثم امر الحاكم بقتله سنة ٣٩٧ وامر الحاكم بالفكرى فقتل — والسبب فى استمالة الفكرى للحاكم ان الفكرى اصاب معه فى قضيتين احداهما ان الحاكم عزم على ارسال اسطوال الى مدينة صور لمحاربتهم فسأله الفكرى ان يكون تدبيره اليه ليخرجه فى طالع يختاره وتكون العهدة ان لم يظفر عليه واتفق ظهور الاسطوال . الثانية انه ذكر له ان بساحل بركة موريس مسجدا وان تحته كنزا وسأله ان يتولى هو هدمه فان ظهر الكنز والا بناه هو من ماله فاتفق اصابة الكنز — ولما حكم عليه الفكرى بتغيير دولته وقضى المنجمون بمثل قضائه وقع فى نفس الحاكم ان يغير دولته تغييرا معنويا فعمد الى كل متول فى دولته ولاية فعزله منها وقتل وزيره الحسن ابن عماد وصار يأمر فى يومه بخلاف ما يأمر به فى أمسه فأمر بسب الصحابة رضى الله عنهم على رؤس المنابر والمساجد ثم امر بقطع سبهم وعقوبة من سبهم وامر بقطع شجرة الزرجون (١) من الارض واوجب القتل على من شرب الخمر ثم امر بغرس هذه الشجرة

---

(١) فى القاموس الزرجون محركة الخمر والكرم او قضبانها وصبغ احمر اه.

واباح شرب الخمر واهمل الناس حتى نهب الجانب الغربى من القاهرة وقتلت فيه جماعة ثم ضبط الامر حتى امر ان لاتغلق الحوانيت ليلا ولانهاراً وامر مناديا ينادى من عدم له ما يساوى درهما اخذه من بيت المال درهمين بعد ان يحلف على عدمه او يعضده بشهادة رجلين حتى تحيل الناس فى ستر حوانيتهم بالجريد لئلا تدخل الكلاب ثم لما قتل الفكرى لم يزل اثر التنجيم فى نفسه لتشوف النفس الى التطلع الى الحوادث قبل وقوعها فجمع المنجمين جمعا ثانيا بعد ان جمعهم اولا وعملوا له الرصد الحاكى الذى خالف فيه الرصد المأمونى فالزموه فيما الزموه بركوب الحمار وان يتعاهد الجبل المقطم فى اكثر الايام وينفرد وحده يخاطب زحل وحكموا بانه ما دام كذلك كان سالم النفس فلزم ما اشاروا عليه به فخرج بحماره الى ذلك الجبل على عادته وانفرد بنفسه لكوكبه وقد استعد له قوم بسكاكين فقطعوه هناك واعدموا جثته فلم يعلم له خبر فمن هنا تقول اتباعه الملاحدة انه غائب منتظر — ومن ذلك اتفاقهم سنة ٤٨٢ على خروج ريح سوداء تكون فى سائر الاقطار تهلك الناس الا من اتخذ لنفسه مغارة فى الجبال بسبب ان الكواكب كانت اجتمعت فى برج الميزان وهو برج هوائى كما اجتمعت فى برج الحوت زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو برج مائى فحصل الطوفان فاتخذ الرعاع المغاير استدفاعا لما انذروهم به فلما جاء الوقت الموعود قل هبوب الرياح حتى أهم الناس ذلك لما هم عليه من الكرب وظهر كذبهم — ومن ذلك اتفاقهم فى الدولة الصلاحية على ان الاسكندرية لايموت فيها وال فلما مات بها الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن ايوب سنة ٤٧٤ ثم واليها فخر الدين قراجا بن عبد الله سنة ٤٨٩ ثم واليها سعد الدين ابن شودكين بن عبد الله سنة ٦٠٤ انخرمت هذه القاعدة — ومما اتفق عليه المنجمون ان الانسان اذا اراد ان الله تعالى يستجيب دعاءه جعل الرأس فى وسط السماء مع المشترى او بنظر منه مقبول والقمر متصل به او منصرف عنه متصل بصاحب الطالع اوصاحب الطالع متصل بالمشترى ناظر الى الرأس نظر مودة فهناك لا يشكون ان الاجابة حاصلة قالوا وكانت ملوك اليونان يلزمون ذلك فيحمدون عقباه والعاقل يعلم ان الله تعالى لا يتأثر بحركات النجوم ولاتوجب النجوم عليه شيئا

Digitized by Google

وأما الكيمياء فلا بحث فى امكانها على يد ولى من قبيل الكرامات وخرق العادات ولا فى الوصول الى تصحيح صبغها ظاهرا على وجه التلبيس والغش كما يفعله الفساق انما البحث فى تصيير النحاس ذهبا حقيقة على طريقة صناعية مطردة فهذا مما لا اعتقد صحته وقد صنف الشيخ تقي الدين بن تيمية رسالة فى انكارها وكذلك ابن قيم الجوزية كما حكاه هو عن نفسه فى كتابه المسمى (مفتاح دار السعادة) واضطرب كلام الفارابي فى امكانها فاثبتها مرة ونفاها اخرى والشيخ ابو على بن سينا سلم امكان ان يصبغ النحاس بصبغ الفضة والفضة بصبغ الذهب وان يزال عن الرصاص اكثر ما فيه من النقص قال وأما أن يكون الفصل المنوع يسلب او يكسى فلم يظهر لى امكانه اذ هذه الامور المحسوسة يتشبه ان لا تكون الفصول التى بها تصير هذه الاجسام انواعاً بل هى اعراض ولوازمها وفصولها مجهولة واذا كان الشئ مجهولا كيف يمكن قصد ايجاده او افنائه وللفلاسفة فى امتناعها مطلقا حجج كثيرة فمن اقواها ان الطبيعة انما تعمل هذه الاجسام من عناصر مجهولة عندنا ولتلك العناصر مقادير معينة مجهولة عندنا ولكيفيات تلك العناصر مراتب معلومة أى فى نفسها وهى مجهولة عندنا ولتمام الفعل والانفعال زمان معين هو مجهول عندنا ومع الجهل لكل ذلك كيف يمكننا عمل هذه الاجسام — ومنها لو كان الذهب الصناعى مثلا للذهب الطبيعى لكان ما بالصناعة مثلا لما بالطبيعة لكن التالى باطل اما اولا فلانا لم نجد شبها واما ثانيا فلانه لو جاز ان يوجد بالصناعة لما حصل بالطبيعة ولما ثبت امتناع التالى ثبت امتناع المقدم — ومنها أن لهذه الاجساد اماكن طبيعية وهى معادنها هى لها بمنزلة الارحام للحيوان فمن جوز تولدها من غير تلك المعادن كان كمن جوز تولد الحيوان من غير الارحام — ومنها ان هذه الاجساد متباينة بفصولها النوعيه وتلك الفصول مجهولة لنا فلا يمكننا ايجادها ولا اعدامها و بتقدير ان تكون الفصول معلومة لنا لايمكننا ازالتها وتحصيلها لانه لوجاز ان يجعل نوع نوعاً لجاز أن يجعل الفرس حماراً و بالعكس — ومنها ان الجوهر الصابغ اما ان يكون اصبر على النار من المصبوغ او يكون المصبوغ اصبر او متساويين فان كان الصابغ اصبر وجب ان يفنى المصبوغ قبل الصابغ وان كان المصبوغ اصبر وجب ان يفنى الصابغ و يبقى المصبوغ

على حاله الأول عريا عن الصبغ وان استويا فكلما استويا فى المصابرة على النار كانا من نوع واحد فليس احدهما بالصابغية وآخر بالمصبوغية اولى من العكس — ومنها أن تكوين الذهب الطبيعى انما يحصل في سنين كثيرة بانضاج وطبخ من حرارة الارض على وجه مخصوص بمواد مخصوصة ومراعاة الانسان النار فى عمل الذهب على هذا النظام مما لا يفى به علم البشر ثم اذا كان تكوينه بالقدرة القديمة على الوجه الطبيعى انما يحصل فى سنين فكيف يتكون بالقدرة الحادثة فى مدة يسيرة قال الطبيعيون ان الزئبق اذا كمل نضجه فى الارض جذبه اليه كبريت المعدن فاجنه وأخفاه فى جوفه لئلا يسيل سيلان الرطوبات فاذا اختلطا واتحدا وذابت الحرارة انعقدا عند ذلك ضروبا من المعادن التى يسمونها الفلزات وهى السبعة الآحاد الذائبة الصابرة على النار المنطرقة فان كان الزئبق صافيا والكبريت نقياً واختلطت اجزاؤهما على النسبة وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من البرد واليبس ولا من الملوحات والمرورات والحموضات انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز وهذا لا يتكون الا من الاحجار الرخوة والبرارى الرملة وبذلك يتضح عندك ان قوة الانسان قاصرة عن ايجاد مثل ذلك مادة وكيفية . ويزيد ذلك وضوحا ان المذكور في كتب الكيمياء انما هو رموز فلو كان لها حقيقة لصرحوا بها فقد صرح العلماء بما هو انفس من ذلك واجل قدراً مما كان له حقيقة ولا أقول كحل المشكلات والجمع بين الاحاديث الصحيحة والنكات القرآنية الشريفة لئلا يكون تخليطا فى البحث فان البحث انما هو فى الامور الدنيوية بل ككتب ابن وحشية وغيره فى الطلسمات الصحيحة والفلاحة النافعة وأنواع من السحر هى فى بابها كفلق الصبح وفى نفاستها كالكيمياء او فوقها فلا يصح التعليل بانهم انما كتموها تمويها وزرفا(١) وعجزا عن تصوير مالا حقيقة له او توهماً كاذبا وتخميناً طمعياً والله أعلم

واما المطالب فلا بحث فى امكان ان يجد الشخص دفيناً جاهلياً او اسلامياً على الاتفاق والصدف انما البحث فى ان تحت الارض مساكن وعمارات مبنية

---

(١) في القاموس زرف في الكلام زاد فيه والزراقة مثل كاسة الكذاب اه ومنه يعلم مراد المؤلف

Digitized by Google

وفيها كنوز واموال عظيمة وعليها موانع وطلسمات ولتلك الموانع طرق تزول بها وعلى تلك المطالب علامات وامارات يتوصل بها الى امكنتها و يستدل عليها بها فهذا من مخارق المحتالين واماني المفلوكين ولا دليل لهم فيما يروجون كذبهم به من ان في القرون السالفة من كان يعتقد العود الى الدنيا فيدخر ماله لذلك لما سنبينه — والدليل على ان المطالب لاحقيقة لها وانما هي من المطامع الفارغة والمخارق والخديعة ان ادخار الاموال العظيمة على هذا الوجه المخصوص اما ان يكون لغرض اولا لغرض والغرض امادنيوى او اخروى والاقسام الثلاثة باطلة وما ادى الى الباطل فهو باطل فالقول بوجود المطالب باطل — بيانه انه لا جائز ان يكون ادخار المال في الارض لا لغرض بأن يوضع تحت الارض عبثًا لتأكله الارض و يذهب سدى فان ذلك خلاف صريح العقل لما ان الذهب والفضة هما قيم الاشياء وجوهر الثمنية واسباب المطالب ولا جائز أن يكون لغرض اخروى لان شريعة الاسلام ليس فيها ما يدل على مطلوبية الادخار والكنز ونيل الدرجات في الآخرة بسببه بل هي ناهية عنه وآمرة بصرفه في وجوه القربات والخيرات واصحاب الملل غيرها منهم من ينكر المعاد الجسماني على القطع ومنهم من تردد فيه وهؤلاء لايجوز ان يدخروا المال لامر اخروى لما ان اخرويا من غير اعتقاد الآخرة محال وذلك كعبدة النجوم والصابئة والنصارى على ماقاله الاصفهاني في شرح الطوالع في الكلام على المعاد الجسماني وان كان فيه نظر وأما من يقول بالادوار والتناسخ كعبدة الاوثان فالكلام في عدم ادخارهم كالكلام على القسم الثالث — واما القسم الثالث وهو ان يكون الادخار لامر دنيوى يعود على المدخر لاعتقاد عوده الى الدنيا فهو ايضًا باطل لانه لو كان كذلك لبالغوا في اخفائه وسد طريق العلم به لكننا قد فرضنا له علامات وأمارات يعرف بها هذا خلف

واما عدم افضاء حرفة الشهادة الى المقصود فذلك لان الحرف والصنائع على قسمين قسم يلزم من العلم به واجادته الحصول على ثمرته وقسم لا يلزم بل لا بد من ضميمة أخرى ومنه حرفة الشهادة وسائر الحرف الهوائية الغير المعيشية و ينبغي ان يسمي معاشاً غير طبيعي وهذه لاوثوق بافضائها الى المقصود — و بيانه فيمانحن بصدده

Digitized by Google

وهو الشهادة ان حقيقة حرفة الشهادة ملكة يقتدر بها على التعبير عن مقاصد المشهود له وعليه بلفظ صحيح متعارف مستوف لمقاصدهما بشروط شرعية وعلى افراغ مقاصدهما فى قالب شرعى ان كانت غير شرعية وغايته تحويل عبارة المشهود له وعليه العامية الى عبارة ترتضيها العلماء وتحويل تصويرهما الفاسد الى صورة شرعية ثم لا يلزم من تحصيل هذه الملكة واجادتها الحصول على ثمرتها والرواج فيها بخلاف القسم الاول من الحدادة ونحوها فان من علمها واجادها حصل على ثمرتها. وحكم سائر الحرف الهوائية كالدلالة والنقابة فى عدم افضائها بالعارف بها الى مقصودها حكم الشهادة ولك أن تجعل ذلك حدا رسميا للحرف الهوائية فيقال فى حدها حرفة لا يلزم من العلم بها واجادتها الحصول على ثمرتها — والحاصل ان لحرفة الشهادة موانع من حصول ثمرتها والمقصود منها ولها مفاسد ونقائص عاجلة ومضار اخروية آجلة — فاما الموانع فامور — منها ان حرفة الشهادة من قبيل الاحتراف بالعلم والعلم كما سيجيء تحقيقه فى الفصل الخامس أقبل شئ للخفاء والجحد والجهل بقدره من صاحبه وأقبل شئ للاضافة الى غير اهله بالحظ والجاه والتلبيس وسكوت معور عن معور واذا كان كذلك فقد يدور الرواج فى الشهادة مع الهيئة والزى الظاهر واللباس الفاخر ويخفى مكان الاتصاف بحرفة الشهادة على التفسير السابق فيفوت الرواج بفوات الهيئة واللباس وهناك ينشد

أرى ثياباً ولكن حشوها بقر * بلا قرون وذا عيب على البقر

— ومنها ان مبنى حرفة الشهادة على العوام وهم مربوطون بأوهامهم وواقفون مع مألوف عاداتهم ولاتمييز لهم بتفهم كتابة وكتابة والتقليد وظيفتهم وذاتي لهم فلايستعملون فى وثائقهم ومكاتيبهم مجهولا لهم لتوهمهم فيه افساد مكاتيبهم ويلزم من عدم استعمال المجهول استمراره على خموله ومجهوليته ابد الآبدين ودهر الداهرين — ومنها ان مبنى الرواج على الشهرة والشهرة امابقدمية او بتشهير مقبول القول فاما القدمية فليس المراد بها طول الاقامة فى مكان بل كثرة الكتابة التى للشاهد فى ايدى الناس المحركة لدواعيهم فى استعماله التى يستلزم بعضها بعضا والدخيل خال عن ذلك وقدمنا ان الشخص المجهول لايستعمل والمكث المجرد عن الكتابة لا يفيد شيئاً حتى لو اقام الدخيل أبد الآبدين

Digitized by Google

في مكان لا يستكتب فيه لم يكن بينه فى الجهالة والخفاء والاهمال والجحد فرق البتة — وأما تشهير مقبول القول فاعز من بيض الانوق ومن تصحيح (١) الاكسير وما احق هذا بقول القاضى الجرجانى

اذا لم يكن فى الارض حر يعيننى * ولم يك لى كسب فمن اين أرزق

— ومنها ان الحرفة هوائية صرفة وصرفها عن الدخيل والاجنبي الذى لازبون له بالمواطأة والحيلة والاعتذار والشعوذة والدك من أدخل الاشياء تحت الامكان لاسيما واهلها بطرق اللؤم اهدى من القطا مع مالهم من القسوة والقحة وغاظ الاكباد احسن الله خلاصنا من أيديهم — وأما المفاسد والنقائص العاجلة فلأن الشهادة فى هذا الزمان تستلزم النذالة والسفالة والدناءة وسقوط الهمة وموت النفس والشح والقحة وتؤدى الى التباغض والتماقت والتقاطع والتدابر والتحاسد يتقاسمون الفلس والفلسين و يتغاضبون على الحبة والحبتين و يتراضون بالدرهم والدرهمين و يسرقون و يختلسون قال عمر بن الوردى من ارجوزة طويلة في ذلك

يغيب الاشغال من ابيـه * ويسرق الاجرة من اخيـه

و يحلفون بالطلاق والعتاق على ما كذبهم فيه أظهر من الشمس فضلا عما يحتمل الكذب و يعدّون ذلك استرضاء وعقلاً و يتهافتون بسرعة القيام للاشغال و يعـدونه حذقاً وكيساً ويوسعون الدخيل حرمانا وشعبذة و يعدونه دهاء وكيساً وقد قلت فى تهافتهم ومبادرتهم القيام

بليت به جهولا جاهليـا * ثقيـل الروح مذموماً بغيضاً
ولم يك اكثر الاخوان علماً * ولكن كان أسرعهم نهوضاً

وأما المضار الاخروية فمن وجوه — اولها حضور الانكحة مع عدم الاستظهار فى شروطها من انقضاء العدة والاولياء والكفاءة وغيرها وعلى الجملة فالاقدام على عقد من غير معرفة حكمه حرام ثم بتقدير وجود الشرائط فمهم من انفسهم المفسد الاعظم وهو فوات العدالة لما ان كل واحد يعرف من نفسه مالا يعرف من غيره والعدالة عنـد

---

(١) الاكسير الكيمياء وقد أقام المؤلف البرهان على عدم صحتها فتنبه

Digitized by Google

هذا الاصل حتى رجع القائل الاول فقال

كذب المنجم فى مقالته التى * نطقت على بغداد بالهذيان
قتل الامين بها لعمرى يقتضى * تكذيبهم فى سائر الحسبان

ثم مات ببغداد جماعة من الخلفاء مثل الواثق والمتوكل والمعتضد والمكتفى والناصر وغير هؤلاء — ومن ذلك اتفاقهم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين فى قصة عمورية على ان المعتصم ان خرج لفتحها كانت عليه الدائرة وان النصر لعدوه فخرج ففتح عمورية وما والاها من كل حصن وقلعة وفى ذلك الفتح قام ابو تمام الطائى منشدا

السيف أصدق انباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
اين الرواية ام اين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا واحاديثا ملفقة * ليست بنبع (١) اذا عدت ولا غرب

وهى نحو من سبعين بيتا اجيز على كل بيت منها بألف درهم — ومن ذلك اتفاقهم وفيهم زعيمهم ابو الحسن العاصمى على ان المكتفى بالله ان خرج لقتال القرامطة لم يرجع وتزول دولته وان طالع مولده يقتضى ذلك واخافوا وزيره القاسم بن عبيد الله من الخروج معه فخرج اليهم المكتفى وأخذهم جميعاً ولما عاد وزيره القاسم أمر باحضار رئيس المنجمين وصفعه صفعاً عظيما — ومن ذلك اتفاقهم سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة عند ما اراد القائد جوهر بناء مدينة القاهرة المعزية وقد كان سبق مولاه الملقب بالمعز الى الدخول الى الديار المصرية لما امره ببنائها وان يكون نجوم طالعها فى غاية الاستقامة ويكون بطالع الكواكب القاهر وهو زحل او المريخ ولذلك سميت القاهرة فجمع القائد جوهر المنجمين فحققوا الرصد وأمر البنائين ان لا يضعوا الاساس حتى يقال لهم ضعوه وان يكونوا على نهاية من التيقظ والاسراع فوضعت على ذلك الاتقان واتفقوا على ان الدولة الفاطمية لا تخرج الدولة عنهم فلما استولى عليها صلاح الدين يوسف بن ايوب

(١) النبع شجر تعمل منه القسي والسهام والغرب بالتحريك شجر أيضاً اه من القاموس

Digitized by Google

وكان المصريون قائمين بدعوة العاضد عبد الله بن يوسف توهم الجهال ان ماقاله المنجمون حق فلما رد صلاح الدين الدعوة الى بني العباس ظهر كذبهم وكانت المدة بين وضع الاساس وانقراض الدولة نحوا من مائة وثلاثة وتسعين عاما واعتذار من اعتذر عنهم بسبق البنائين الارصاد بعيد لان تبديل البناء وتغييره مع الاحتياط للدولة مع سهولة التغيير مما لايتسامح به — ومن ذلك اتفاقهم سنة خمس وتسعين وثلثمائة فى ايام الحاكم على انها السنة التى تنقضى فيها بمصر دولة العبيديين وذلك عند خروج الوليد بن هشام المعروف بابى ركوة الاموى وحكم الطالع له بانه هو القاطع لدولة العبيديين وانه لابد أن يستولى على الديار المصرية ويأخذ الحاكم اسيرا ولم يبق بمصر منجم الاحكم بذلك واكبرهم المعروف بالفكرى منجم الحاكم فكان ابو ركوة قد ملك برقة واعمالها وكان من تدبير الحاكم ان دعا خواصهم وأمرهم ان يكاتبوا ابا ركوة ويطمعوه باختياره على الحاكم ففعلوا فزحف ابو ركوة بعساكره حتى نزل بوسيم على ثلاثة فراسخ من مصر فخرجت اليه العساكر الحاكمية فهزمته فتحقق انها خديعة فهرب وقتل خلق كثير من عسكره وطلب فاخذ اسيرا ودخل به الى القاهرة على جمل مشهورا ثم امر الحاكم بقتله سنة ٣٩٧ وامر الحاكم بالفكرى فقتل — والسبب فى استمالة الفكرى للحاكم ان الفكرى اصاب معه فى قضيتين احداهما ان الحاكم عزم على ارسال اسطوال الى مدينة صور لمحاربتهم فسأله الفكرى ان يكون تدبيره اليه ليخرجه فى طالع يختاره وتكون العهدة ان لم يظفر عليه واتفق ظهور الاسطوال . الثانية انه ذكر له ان بساحل بركة موريس مسجدا وان تحته كنزا وسأله ان يتولى هو هدمه فان ظهر الكنز والا بناه هو من ماله فاتفق اصابة الكنز — ولما حكم عليه الفكرى بتغيير دولته وقضى المنجمون بمثل قضائه وقع فى نفس الحاكم ان يغير دولته تغييرا معنويا فعمد الى كل متول فى دولته ولاية فعزله منها وقتل وزيره الحسن ابن عماد وصار يأمر فى يومه بخلاف مايأمر به فى أمسه فأمر بسب الصحابة رضى الله عنهم على رؤس المنابر والمساجد ثم امر بقطع سبهم وعقوبة من سبهم وامر بقطع شجرة الزرجون (١) من الارض واوجب القتل على من شرب الخمر ثم امر بغرس هذه الشجرة

(١) فى القاموس الزرجون محركة الخمر والكرم او قضبانها وصبغ احمر اه

Digitized by Google

واباح شرب الخمر واهمل الناس حتى نهب الجانب الغربى من القاهرة وقتلت فيه جماعة ثم ضبط الامر حتى امر ان لاتغلق الحوانيت ليلا ولانهاراً وامر مناديا ينادى من عدم له ما يساوى درهما اخذه من بيت المال درهمين بعد ان يحلف على عدمه او يعضده بشهادة رجلين حتى تحيل الناس فى ستر حوانيتهم بالجريد لئلا تدخل الكلاب ثم لما قتل الفكرى لم يزل اثر التنجيم فى نفسه لتشوف النفس الى التطلع الى الحوادث قبل وقوعها فجمع المنجمين جمعا ثانيا بعد ان جمعهم اولا وعملوا له الرصد الحاكمى الذى خالف فيه الرصد المأمونى فالزموه فيما الزموه بركوب الحمار وان يتعاهد الجبل المقطم فى اكثر الايام وينفرد وحده يخاطب زحل وحكموا بانه ما دام كذلك كان سالم النفس فلزم ما اشاروا عليه به فخرج بحماره الى ذلك الجبل على عادته وانفرد بنفسه لكوكبه وقد استعد له قوم بسكاكين فقطعوه هناك واعدموا جثته فلم يعلم له خبر فمن هنا تقول اتباعه الملاحدة انه غائب منتظر — ومن ذلك اتفاقهم سنة ٤٨٢ على خروج ريح سوداء تكون فى سائر الاقطار تهلك الناس الا من اتخذ لنفسه مغارة فى الجبال بسبب ان الكواكب كانت اجتمعت فى برج الميزان وهو برج هوائى كما اجتمعت فى برج الحوت زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو برج مائى فحصل الطوفان فاتخذ الرعاع المغاير استدفاعا لما انذروهم به فلما جاء الوقت الموعود قل هبوب الرياح حتى أهم الناس ذلك لما هم عليه من الكرب وظهر كذبهم — ومن ذلك اتفاقهم فى الدولة الصلاحية على ان الاسكندرية لايموت فيها وال فلما مات بها الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن ايوب سنة ٤٧٤ ثم واليها فخر الدين قراجا بن عبد الله سنة ٤٨٩ ثم واليها سعد الدين ابن شودكين بن عبد الله سنة ٦٠٤ انخرمت هذه القاعدة — ومما اتفق عليه المنجمون ان الانسان اذا اراد ان الله تعالى يستجيب دعاءه جعل الرأس فى وسط السماء مع المشترى او بنظر منه مقبول والقمر متصل به او منصرف عنه متصل بصاحب الطالع اوصاحب الطالع متصل بالمشترى ناظر الى الرأس نظر مودة فهناك لا يشكون ان الاجابة حاصلة قالوا وكانت ملوك اليونان يلزمون ذلك فيحمدون عقباه والعاقل يعلم ان الله تعالى لايتأثر بحركات النجوم ولاتوجب النجوم عليه شيئا

وأما الكيمياء فلا بحث فى امكانها على يد ولى من قبيل الكرامات وخرق العادات ولا فى الوصول الى تصحيح صبغها ظاهرا على وجه التلبيس والغش كما يفعله الفساق انما البحث فى تصيير النحاس ذهبا حقيقة على طريقة صناعية مطردة فهذا مما لا اعتقد صحته وقد صنف الشيخ تقى الدين بن تيمية رسالة فى انكارها وكذلك ابن قيم الجوزية كما حكاه هو عن نفسه فى كتابه المسمى (مفتاح دار السعادة) واضطرب كلام الفارابي فى امكانها فاثبتها مرة ونفاها اخرى والشيخ ابو على بن سينا سلم امكان ان يصبغ النحاس بصبغ الفضة والفضة بصبغ الذهب وان يزال عن الرصاص اكثر ما فيه من النقص قال وأما أن يكون الفصل المنوع يسلب او يكسى فلم يظهر لى امكانه اذ هذه الامور المحسوسة يتشبه ان لا تكون الفصول التى بها تصير هذه الاجسام انواعاً بل هى اعراض ولوازمها وفصولها مجهولة واذا كان الشئ مجهولا كيف يمكن قصد ايجاده او افنائه وللفلاسفة في امتناعها مطلقا حجج كثيرة فمن اقواها ان الطبيعة انما تعمل هذه الاجسام من عناصر مجهولة عندنا ولتلك العناصر مقادير معينة مجهولة عندنا ولكيفيات تلك العناصر مراتب معلومة أى فى نفسها وهى مجهولة عندنا ولتمام الفعل والانفعال زمان معين هو مجهول عندنا ومع الجهل لكل ذلك كيف يمكننا عمل هذه الاجسام — ومنها لو كان الذهب الصناعى مثلا للذهب الطبيعى لكان ما بالصناعة مثلا لما بالطبيعة لكن التالى باطل اما اولا فلانا لم نجد شبها واما ثانيا فلانه لو جاز ان يوجد بالصناعة لما حصل بالطبيعة ولما ثبت امتناع التالى ثبت امتناع المقدم — ومنها أن لهذه الاجساد اماكن طبيعية وهى معادنها هى لها بمنزلة الارحام للحيوان فمن جوز تولدها من غير تلك المعادن كان كمن جوز تولد الحيوان من غير الارحام — ومنها ان هذه الاجساد متباينة بفصولها النوعيه وتلك الفصول مجهولة لنا فلا يمكننا ايجادها ولا اعدامها و بتقدير ان تكون الفصول معلومة لنا لايمكننا ازالتها وتحصيلها لانه لوجاز ان يجعل نوع نوعاً لجاز أن يجعل الفرس حماراً و بالعكس — ومنها ان الجوهر الصابغ اما ان يكون اصبر على النار من المصبوغ او يكون المصبوغ اصبر او متساويين فان كان الصابغ اصبر وجب ان يفنى المصبوغ قبل الصابغ وان كان المصبوغ اصبر وجب ان يفنى الصابغ و يبقى المصبوغ

Digitized by Google

على حاله الأول عريا عن الصبغ وان استويا فكلما استويا فى المصابرة على النار كانا من نوع واحد فليس احدهما بالصابغية وآخر بالمصبوغية اولى من العكس — ومنها أن تكوين الذهب الطبيعى انما يحصل في سنين كثيرة بانضاج وطبخ من حرارة الارض على وجه مخصوص بمواد مخصوصة ومراعاة الانسان النار فى عمل الذهب على هـذا النظام مما لا يفى به علم البشر ثم اذا كان تكوينه بالقدرة القديمة على الوجه الطبيعى انما يحصل فى سنين فكيف يتكون بالقدرة الحادثة فى مدة يسيرة قال الطبيعيون ان الزئبق اذا كمل نضجه فى الارض جذبه اليه كبريت المعدن فاجنه وأخفاه فى جوفه لئلا يسيل سيلان الرطوبات فاذا اختلطا واتحدا وذابت الحرارة انعقدا عند ذلك ضروبا من المعادن التى يسمونها الفلزات وهى السبعة الآحاد الذائبة الصابرة على النار المنطرقة فان كان الزئبق صافيًا والكبريت نقياً واختلطت اجزاؤهما على النسبة وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من البرد واليبس ولا من الملوحات والمرورات والحموضات انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز وهذا لا يتكون الامن الاحجار الرخوة والبرارى الرملة وبذلك يتضح عندك ان قوة الانسان قاصرة عن ايجاد مثل ذلك مادة وكيفية . ويزيد ذلك وضوحا ان المذكور في كتب الكيمياء انما هو رموز فلو كان لها حقيقة لصرحوا بها فقد صرح العلماء بما هو انفس من ذلك واجل قدراً مما كان له حقيقة ولا أقول كحل المشكلات والجمع بين الاحاديث الصحيحة والنكات القرآنية الشريفة لئلا يكون تخليطا فى البحث فان البحث انما هو فى الامور الدنيوية بل ككتب ابن وحشية وغيره فى الطلسمات الصحيحة والفلاحة النافعة وأنواع من السحر هى فى بابها كفلق الصبح وفى نفاستها كالكيمياء او فوقها فلا يصح التعليل بانهم انما كتموها تمويها وزرفا(١) وعجزا عن تصوير مالا حقيقة له او توهماً كاذبا وتخميناً طمعياً والله أعلم

واما المطالب فلا بحث فى امكان ان يجد الشخص دفيناً جاهلياً او اسلامياً على الاتفاق والصدف انما البحث فى ان تحت الارض مساكن وعمارات مبنية

---

(١) في القاموس زرف في الكلام زاد فيه والزراقة مثل كاسة الكذاب اه ومنه يعلم مراد المؤلف

Digitized by Google

وفيها كنوز واموال عظيمة وعليها موانع وطلسمات ولتلك الموانع طرق تزول بها وعلى تلك المطالب علامات وامارات يتوصل بها الى امكنتها و يستدل عليها بها فهذا من مخارق المحتالين واماني المفلوكين ولا دليل لهم فيما يروجون كذبهم به من ان في القرون السالفة من كان يعتقد العود الى الدنيا فيدخر ماله لذلك لما سنبينه — والدليل على ان المطالب لاحقيقة لها وانما هي من المطامع الفارغة والمخارق والخديعة ان ادخار الاموال العظيمة على هذا الوجه المخصوص اما ان يكون لغرض اولا لغرض والغرض امادنيوى او اخروى والاقسام الثلاثة باطلة وما ادى الى الباطل فهو باطل فالقول بوجود المطالب باطل — بيانه انه لا جائز ان يكون ادخار المال في الارض لا لغرض بأن يوضع تحت الارض عبثًا لتأكله الارض و يذهب سدى فان ذلك خلاف صريح العقل لما ان الذهب والفضة هما قيم الاشياء وجوهر الثمنية واسباب المطالب ولا جائز أن يكون لغرض اخروى لان شريعة الاسلام ليس فيها ما يدل على مطاوبية الادخار والكنز ونيل الدرجات في الآخرة بسببه بل هي ناهية عنه وآمرة بصرفه في وجوه القربات والخيرات واصحاب الملل غيرها منهم من ينكر المعاد الجسماني على القطع ومنهم من تردد فيه وهؤلاء لايجوز ان يدخروا المال لامر اخروى لما ان اخرويا من غير اعتقاد الآخرة محال وذلك كعبدة النجوم والصابئة والنصارى على ماقاله الاصفهاني في شرح الطوالع في الكلام على المعاد الجسماني وان كان فيه نظر وأما من يقول بالادوار والتناسخ كعبدة الاوثان فالكلام في عدم ادخارهم كالكلام على القسم الثالث — واما القسم الثالث وهو ان يكون الادخار لامر دنيوى يعود على المدخر لاعتقاد عوده الى الدنيا فهو ايضاً باطل لانه لو كان كذلك لبالغوا في اخفائه وسد طريق العلم به لكننا قد فرضنا له علامات وأمارات يعرف بها هذا خلف

واما عدم افضاء حرفة الشهادة الى المقصود فذلك لان الحرف والصنائع على قسمين قسم يلزم من العلم به واجادته الحصول على ثمرته وقسم لا يلزم بل لا بد من ضميمة أخرى ومنه حرفة الشهادة وسائر الحرف الهوائية الغير المعيشية و ينبغي ان يسمي معاشاً غير طبيعي وهذه لاوثوق بافضائها الى المقصود — و بيانه فيمانحن بصدده

Digitized by Google

وهو الشهادة ان حقيقة حرفة الشهادة ملكة يقتدر بها على التعبير عن مقاصد المشهود له وعليه بلفظ صحيح متعارف مستوف لمقاصدهما بشروط شرعية وعلى افراغ مقاصدهما فى قالب شرعى ان كانت غير شرعية وغايته تحويل عبارة المشهود له وعليه العامية الى عبارة ترتضيها العلماء وتحويل تصويرها الفاسد الى صورة شرعية ثم لا يلزم من تحصيل هذه الملكة واجادتها الحصول على ثمرتها والرواج فيها بخلاف القسم الاول من الحدادة ونحوها فان من علمها واجادها حصل على ثمرتها. وحكم سائر الحرف الهوائية كالدلالة والنقابة فى عدم افضائها بالعارف بها الى مقصودها حكم الشهادة ولك أن تجعل ذلك حدا رسميا للحرف الهوائية فيقال فى حدها حرفة لا يلزم من العلم بها واجادتها الحصول على ثمرتها — والحاصل ان لحرفة الشهادة موانع من حصول ثمرتها والمقصود منها ولها مفاسد ونقائص عاجلة ومضار اخروية آجلة — فاما الموانع فامور — منها ان حرفة الشهادة من قبيل الاحتراف بالعلم والعلم كما سيجيء تحقيقه فى الفصل الخامس أقبل شئ للخفاء والجحد والجهل بقدره من صاحبه وأقبل شئ للاضافة الى غير اهله بالحظ والجاه والتلبيس وسكوت معور عن معور واذا كان كذلك فقد يدور الرواج فى الشهادة مع الهيئة والزى الظاهر واللباس الفاخر ويخفى مكان الاتصاف بحرفة الشهادة على التفسير السابق فيفوت الرواج بفوات الهيئة واللباس وهناك ينشد

أرى ثياباً ولكن حشوها بقر * بلا قرون وذا عيب على البقر

— ومنها ان مبنى حرفة الشهادة على العوام وهم مربوطون بأوهامهم وواقفون مع مألوف عاداتهم ولاتمييز لهم بتفهم كتابة وكتابة والتقليد وظيفتهم وذاتي لهم فلايستعملون فى وثائقهم ومكاتيبهم مجهولا لهم لتوهمهم فيه افساد مكاتيبهم ويلزم من عدم استعمال المجهول استمراره على خموله ومجهوليته ابد الآبدين ودهر الداهرين — ومنها ان مبنى الرواج على الشهرة والشهرة امابقدمية او بتشهير مقبول القول فاما القدمية فليس المراد بها طول الاقامة فى مكان بل كثرة الكتابة التى للشاهد فى ايدى الناس المحركة لدواعيهم فى استعماله التى يستلزم بعضها بعضا والدخيل خال عن ذلك وقدمنا ان الشخص المجهول لايستعمل والمكث المجرد عن الكتابة لا يفيد شيئاً حتى لو اقام الدخيل أبد الآبدين

Digitized by Google

في مكان لايستكتب فيه لم يكن بينه فى الجهالة والخفاء والاهمال والجحد فرق البتة — وأما تشهير مقبول القول فاعز من بيض الانوق ومن تصحيح (١) الاكسير وما احق هذا بقول القاضى الجرجانى

اذا لم يكن فى الارض حر يعيننى * ولم يك لى كسب فمن اين أرزق

— ومنها ان الحرفة هوائية صرفة وصرفها عن الدخيل والاجنبي الذى لازبون له بالمواطأة والحيلة والاعتذار والشعوذة والدك من أدخل الاشياء تحت الامكان لاسيما واهلها بطرق اللؤم اهدى من القطا مع مالهم من القسوة والقحة وغلظ الاكباد احسن الله خلاصنا من أيديهم — وأما المفاسد والنقائص العاجلة فلأن الشهادة فى هذا الزمان تستلزم النذالة والسفالة والدناءة وسقوط الهمة وموت النفس والشح والقحة وتؤدى الى التباغض والتماقت والتقاطع والتدابر والتحاسد يتقاسمون الفلس والفلسين و يتغاضبون على الحبة والحبتين و يتراضون بالدرهم والدرهمين و يسرقون و يختلسون قال عمر بن الوردى من ارجوزة طويلة في ذلك

يغيب الاشغال من ابيـه * و يسرق الاجرة من اخيـه

و يحلفون بالطلاق والعتاق على ما كذبهم فيه أظهر من الشمس فضلا عما يحتمل الكذب و يعدّون ذلك استرضاء وعقلاً و يتهافتون بسرعة القيام للاشغال و يعـدونه حذقاً وكيساً و يوسعون الدخيل حرمانا وشعبذة و يعدونه دهاء وكيساً وقد قلت فى تهافتهم ومبادرتهم القيام

بليت به جهولا جاهليـا * ثقيـل الروح مذموماً بغيضاً
ولم يك اكثر الاخوان علماً * ولكن كان أسرعهم نهوضاً

وأما المضار الاخروية فمن وجوه — اولها حضور الانكحة مع عدم الاستظهار فى شروطها من انقضاء العدة والاولياء والكفاءة وغيرها وعلى الجملة فالاقدام على عقد من غير معرفة حكمه حرام ثم بتقدير وجود الشرائط فمهم من انفسهم المفسد الاعظم وهو فوات العدالة لما ان كل واحد يعرف من نفسه مالا يعرف من غيره والعدالة عنـد

---

(١) الاكسير الكيمياء وقد أقام المؤلف البرهان على عدم صحتها فتنبه

Digitized by Google

الشافعية عبارة عن عدم مباشرة الكبائر والاصرار على الصغائر مع المروءة واين من يجمع هذه الثلاثة مع خطر النكاح وكثرة مايترتب عليه من الاحكام من التوالد والتوارث وانتشار النسب الى عدد كثير وما يترتب على ذلك المنتشر من الاحكام ووجوب مالا يجب الا بالنكاح وحل مالا يحل الا به الى غير ذلك مما لايحصى كثرة — وثانيها ان شركة الابدان القائل فيها قائلان قائل بعدم جوازها البتة كالشافعى وقائل بجوازها كالحنبلي والحنفي وليس لنا قائل بوجوبها وان اثنين ينعقد بينهما شركة الابدان بغير اختيارهما ومبنى شركة الشهود غالباً على الاكراه فقلما يقع بين الشهود شركة ابدان صحيحة بالتراضي بل كل منهم لا يريد الآخر ولا الكتابة معه ويمنعه من ذلك موانع هي اكراه اوفي معنى الاكراه ويكتب احدهما مائة سطر والآخر يكتب اسمه ويتقاسمان على السواء ولا شركة بينهما قائمة فيصير الكسب كله حراما مع ان أكل الحرام مما يظلم القلوب ويمنعها من دخول الحكمة فيها — وثالثها انه يجب على كل أحد علم ظاهر صناعته كما ذكره الشافعية فى كتب الفقه أول كتاب الجهاد فيجب على الصيرفي مثلاً معرفة ان بيع درهم بدرهمين مثلاً حرام وغير ظاهر صنعته كباقى مسائل الربا التى لايكثر دورها لايجب عليه تعلمه واذا وقع له شئ منه سأل عنه العلماء وقياسه ان كل شاهد يجب عليه ان يعلم شروط الرهن والبيع والكفالة والاقارير لان هذه الاشياء كثيرة الدور وباقى مسائل هذه الابواب يسأل عنها المفتي اذا وقع له فحينئذ من ترك من الشهود معرفة هذه الاشياء كان عاصيا ويتكرر عصيانه كل يوم ويترتب على ذلك مالا يخفى — وايضاً كثيراً مايكتب الشهود فى الشهادة على من لا يعرفونه وقدعرفه شهوده وهو كذب لان المعرفة لاتحصل بالنظرة ولا بالمرة ويتكرر هذا الكذب بتكرر الشهادة على المجاهيل ويترتب على ذلك مالايخفى — ورابعها تضييع الحقوق بالجهل فرب من يكتب شيئاً او يزيد فيه كلمة أو ينقص كلمة أو يصور صورة يترتب عليها مفاسد شرعية وهو بجهله لايعلمها ولا يصح الاعتذار عن ذلك بأن الكلمة الزائدة أو الناقصة هكذا تحملها لان ذلك بتسببه وتوريطه المشهود له وعليه فى ذلك بتقليدهما اياه ظنا منهما انه أهل للتقليد — وخامسها التدليس باسترعاء المشهود عليه بكلمات الفقهاء التي تقصرعن ادراك غوائلها

Digitized by Google

ودسائسها افهام العوام من غير ان يعرف العوام ما وراء ذلك من الغور مع القطع بانه لو شرح له مافى ذلك من الفساد لما أقدم عليه. ولا يصح أيضاً الاعتذار عن ذلك بانه هكذا تحمل وهكذا استرعاه لان هذا مما لا ينفع عند العليم الخبير — وسادسها انهم يكتبون فى كتب الاوقاف كلاماً طويلاً تلقوه عمن تقدمهم من غير ان يعرفوا معناه فضلاً عن الواقف المشهود عليه بدليل ان العلماء فضلاً عن المورّقين تدور رؤسهم في ثانى الحال فى فهم المراد منه والواقف لم يتلفظ به ولا بمعظمه ولو قرئ عليه لم يفد لاستحالة ارادة معنى شئ بدون فهمه — على ان الانشا آت لا بد فيها مع اللفظ من فهم المعنى بدليل ان الاعجمى لو لقن الطلاق بلا فهم فأوقعه واراد معناه عند العارف بمعناه لم يقع وعلى الجملة فشهادتهم على الواقف بما نسب اليه فيه وهو لم يفهمه مشكلة جداً بل وينشأ من عباراتهم الفاسدة الناشئة عن الجهل حرمان من لعل الواقف لم يرد حرمانه لو روجع فيه ودخول من لم يرد دخوله — وعلى الجملة ففى هذا الموضع نظر ظاهر فليتأمل وسابعها تصريح العلماء من الشافعية والحنفية بانه لا يشهد على خطه مالم يتذكر الواقعة فأما القضايا التى يكون للشاهد فيها مدخل أو يكون هو المورّق وله فى عباراته وكتابته مايذكره بالقضية فلا كلام فيها ولكن ثم من القضايا مايستحيل التذكر فيه عادة كالشهادة على الحكام في ظهور السجلات مع طول المدة ومافي معنى ذلك فليستفت الشاهد قلبه في ذلك فانه من مزال الاقدام — وثامنها الاكتفاء فى الشهادة على الحكام فى السجلات الطويلة والمحاضر وصور المجالس الطوال بقول الحاكم له نعم جواباً لقول الشاهد له اشهد عليكم بما فيه من غير أن يقرأه عليه بل ولا يعرف الشاهد ما فيه لا اجمالاً ولا تفصيلا وقد قال فقهاء الشافعية في كتاب القاضى للقاضى انه لو لم يقرأ على الشاهدين وقال الحاكم لهما أشهدكما عليّ انه كتابى أو ان ما فيه خطي لم يكتف بذلك — وتاسعها رفع الشهود نسب من لا يعرفون نسبه مع ان ذلك شهادة بنسبه ضمنا كما قاله السبكى فى جمع الجوامع فى الكلام على ان مورد الصدق والكذب انما هو النسبة التى تضمنها الخبر لا واحد من طرفيها ولو سلم ان ذاك ليس شهادة بالنسب لا اصلاً ولا ضمناً فقد قال الامام كما نقله عنه فى الروضة والرافعى انه لو لم يعرف المشهود عليه الا باسمه لم

Digitized by Google

يتعرض فى الشهادة لاسم ابيه — هـذا ما رأيت ان اذكره مما قوى عنـدى مما حضرنى فى هـذا المقام من موانع حصول المقصود من حرفة الشهادة ومفاسدها ووراء ذلك غور لا يمكن التصريح به ورأيت ان الامساك عنـه اولى وما أحق ذلك بقول القائـل

فى النفس اشياء لا أسطيع اذكرها * لو قلتها قامت الدنيا على ساق

والله المسئول فى الخلاص منها واليه اضرع وعليه اتوكل

الفصل الخامس

(فى ان الفلاكة والاهمال الصق بأهل العلم وألزم لهم من غيرهم و بيان السبب في ذلك)

وانما كانت الفلاكة ألصق بهم غالبا من غيرهم لامور — منها ان الامارة عنهم بمعزل والتجارة مبنية على السفسفة والمماحلة (١) والآمال التى لا يقوم دليل على وقوعها والفلاحة والصناعة يلزمهما المهانة والتلوث برذائل الحيل الدنيوية واهل العلم لهم أنفة واستنكاف عن ذلك فيقعدون عن الاكتساب متعللين بالامانى الكاذبة فيقعون فى الفاقة والاملاق — ومنها انهم يحسنون ظنونهم فى الناس على مقتضى مايتوهمونه فى انفسهم من استحقاقها لذلك و يبنون على ذلك رفيعا و يحاولون منيعاً والناس لا سيما أهل عصرنا لا يقيمون لعلومهم ومعارفهم وزناً فيبنون ظنونهم على شفا جرف هار وتأتى الحوادث بنيانهم من القواعد فتجتثه و يعودون بآمال خاسرة وظنون كاذبة — ومنها انهم لاعتيادهم القواعد الكلية والخوض في الانظار الدقيقة يطردون معظم الاشياء كلياً حرماناً وحصولا و يقيسون الاشياء على اشباهها على طريق قياسهم الفقهى و يلحقون بعض الوقائع ببعض على سبيل الحاق النظير بالنظير والقياس التمثيلي. والقضايا وان تناسبت أو تساوت من وجه فقد تختلف من وجه آخر او من وجوه أخر تخفى على غير المهرة فى احكام الدنيا ودقائقها او لخصوص فى المادة او لوجود مانع او فوات شرط او لكون تلك القاعدة المأخوذ منها حكم ذلك الفرع ليست كلية في نفسها بل اكثرية وذلك الفرع من غـير قسيم

(١) ماحله مماحلة ومحالا قاوله حتى يتبين أيهما أشد اه قاموس والغرض ان التجارة مبنية على المماكسة

Digitized by Google

الاكثر وهم عن ذلك كله غافلون والقواعد العلمية التى يعرفونها تقضى عليهم بتصحيح الاقيسة والوثوق بها فيطردون معظم الاشياء كلياً حرمانا وحصولا تأليفا وتنفيرا تقريبا وتبعيداً اهمالا ومراعاة فيخبطون لذلك خبطا عظيما ويخطئون السياسة اصلا ورأسا والكيس من العامة والهمج لايعرف الكليات ولا الاقيسة والعمل بها ولا الحاق الاشياء بنظائرها ولاقياس العكس والخلف والملازمات فينظر فى الجزئي الذى هو بصدده نظرا خاصاً غير مشوش بما يفسده ويتفقه فيه مانعاً وعائقا ويجسره على ذلك صحة الجزم وعدم التردد وما ينشأ من كثرة الاحتمالات من الفتور والتوانى وضعف العزيمة فتنجح مساعيهم ويصيبون فى ظنونهم غالباً — ومنها انهم لبعد غورهم وغوصهم يفرضون محتملات بعيدة ويجزمون بوقوعها وثوقاً منهم بظنونهم وافتتاناً بأنفسهم وما من شئ الا ويطرقه الاحتمال المثبط عن امضائه واستقامته فيتخلفون لذلك عن مظان الخير والتعرض لتنفيسات الدهر وغشيان أهل الجاه فيقعون فى الفلاكة والاهمال — ومنها وهو مختص باصحاب علوم الاوائل من الحكمة والفلسفة والطبيعة والمنطق والجدل والطب وكلام الاقدمين والتصوف الممزوج بالفلسفة والمتبحرين في التشكيكات والشبه وعلى الجملة فمن تضلع من هذه العلوم وحدها ولم يكن له خدمة لما فى الكتاب والسنة من الاحكام والمعارف ولا تضلع من الفقه ولا نظر نظرا تاماً فى كلام العلماء الكبار المتشرعين فانه يخرج بهاء الشريعة وجلالها ومهابتها وتعظيم مافيها من قلبه فيسترسل فى اللذات محرمة كانت او جائزة رذيلة خسيسة كانت او غير منفرة ويستثقل الاتيان بالمأمورات فيتركها طلباً للراحة والدعة وأرزاق العلماء مبنية على التماس بركتهم والاستنجاح بأدعيتهم وترفيعهم عن رذيلة الاحتراف والاكتساب الجائزين فمتى لم يرفعوا انفسهم عن الرذائل المحرمة ولم يكن لدعائهم عمل صالح يرفعه ولا على شمائلهم شواهد البركة انكف الناس عن اسعافهم بمرادهم وأخذوا في طعنهم وتنقيصهم وربما رموهم بالزندقة والالحاد فتستحكم الفلاكة فيهم والفلاكة كالبرص فى الجسد تنتشر فيه وتسرى وتتزايد مالم تجد دواء حاسماً مانعاً له من السريان — ومنها وهو مختص بأصحاب علوم الاوائل ايضاً انهم يرون ان لا كمال الا التحلي بالمعارف والاطلاع على النكات والحقائق والوقوف على الاسرار والدقائق

Digitized by Google

وان الكمالات الخارجانية من المال والجاه خيالات باطلة لا كمال فيها ويمكن أخذ ذلك والاستدلال عليه بقول عز الدين الحسن بن محمد الاربلي الضرير الفيلسوف

كمل حقيقتك التي لم تكمل ... والجسم دعه في الحضيض الاسفل

أتكمل الفاني وتترك باقياً ... هملا وأنت بأمره لم تحفل

الجسم للنفس النفيسة آلة ... ما لم تحصله بها لم يحصل

يفنى وتبقى بعده في غبطة ... محمودة او شقوة لا تنجلي

أعطيت جسمك خادماً لخدمته ... ونسيت عهدك في الزمان الاول

ملكت رقك مع كمالك ناقصاً ... أتملك المفضول رق الافضل

و بقول أبي الفتح البستي والغزالي رحمه الله كثير اللهج به في كتبه

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... وتطلب الربح مما فيه خسران

عليك بالنفس فاستكمل سعادتها ... فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

و بقول الفارابي محمد بن محمد بن طرخان الفارابي المتوفي سنة ٣٣٦

أخي خل حيز ذي باطل ... وكن للحقائق في حيز

فما الدار دار مقام لنا ... وما المرء في الارض بالمعجز

ينافس هذا لهذا على ... أقل من الكلم الموجز

وهل نحن الا خطوط وقعن ... على نقطة وقع مستوفز

محيط السموات اولى بنا ... فماذا التنافس في المركز

واذا كان الكمال الخارجاني متلاشياً في انظارهم على ما تقرر فهم لا محالة لا يعطون له بالا وهو لعسره لا يتم مع الفكرة في تثميره فكيف مع اهماله وعدم الاعتناء به والقائه وراء الظهر — ومنها ان العلوم خرجت عن كونها حرفاً وصناعة من الصناعات بعد مصيرها صناعة من قبل على ما سيجيء تحقيقه والاستدلال عليه في الفصل السادس بعد هذا الفصل واذا كان كذلك فكيف العمل على شريعة منسوخة والوصول بسلوك سبيل قد سد والاستضاءة بمصباح قد طفئ — ومنها ان رواج العلماء انما هو لعلمهم كما ان رواج ار باب الحرف انما هو لحرفهم ولكن

Digitized by Google

العلم بطيء الحصول وليست كل الطباع تقبله والجزء الغالب عليه الوهب من الله لا الكسب فطائفة من العمر تنقضى فى تحصيل متنه وطائفة من العمر ثانية تنقضي فى تصوره واخذه عن الشيوخ وطائفة ثالثة في تحقيقه ثم بعد ذلك كله فصفة العلم ليست من الصفات المحسوسة الظاهره كالحسن والقبح ولا مما يدخله الكمية والمقدار المحسوس ليعرف التفاضل فيه بالذراع والشبر وقياس احد المطلوبين على الآخر ولا الدال على صفة العلم وهو البيان والنطق ظاهراً مكشوفاً لكل احد كالشجاعة التى يعرف بها القوى من الضعيف بالافتراس والالقاء على الارض وكالاجادة فى المصنوعات المرئية المشاهدة بل صفة العلم من الصفات النفسانية والكمالات الحاصلة بقوة النفس الناطقة والقوى الباطنة فهى قابلة للجحد والانكار والمدافعة والتغطية عليها عند اهلها وقابلة ايضاً لان يدخل فيها غير اهلها بالتلبيس والتصنع والتمويه والجاه ويعين على خفائها وجهل الناس بمكانها من صاحبها وقبولها للتصنع والتمويه ان العلم مستدع لفاهمة وحافظة وقل أن يجتمعا فى شخص وذلك لما ان القوة الحافظة من مقدم الدماغ والقوة الفاهمة مما يلى مؤخر الدماغ في وسطه وبقدر كمال احداهما بموادها تنقص الاخرى لتقابل المكانين وان شئت قلت ان البطن المؤخر من الدماغ محل الاسترجاع والتذكر والبطن المقدم محل التخيل وبقدر كمال احداهما بموادها تنقص الاخرى لتقابل المكانين او لان الفهم يستدعى مزيد رطوبة في الدماغ والحفظ يستدعى مزيد يبوسة والجمع بينهما محال كما قاله الامام فخر الدين الرازى فى كتابه المصنف فى مناقب الشافعي ناقلا له عن الحكماء . وان من العلماء من له قلم وكتابة وليس له بيان ولا جدل لان مزاجه يتغير بالمماراة والمدافعة غضباً أو حياء ويضيق قلبه انفعالا عن ذلك فيحصل الحبسة فى لسانه بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه او لعدم دربته (١) ومهارته بالبحث او لعيه وحبسته او لان فى العلم والكتابة استعانة على تشييع القوة النفسانية وضبطها عن التشتت وهذا مستمد مما ذكره الحكماء فى كتبهم من ان

---

(١) الدربة بالضم هي الضراوة والاعتياد على الشيء والحبسة بالضم تعذر الكلام عند ارادته والعي العجز عن النطق اه ملخصاً من القاموس

Digitized by Google

نفوس الـكهان لما ضعف استعدادها تشبثت بامور جزئية تكون مشيعة لها ومانعة من تشتتها كالسجع ورؤية الماء وسنوح سانح . ومنهم من له بيان وجدل ولا قلم ولا كتابة له اما لفصاحته مع عدم وقوفه على حقائق العلوم واما لفساد تراكيبه اهمالا واحترازاً وان كان واقفاً على حقائقها والقلم يضبط العيوب ويكون شاهداً عليه بخلاف العبارة لا مكان المكابرة والاعتذار فيها وامكان تغييرها عند المضايقة واما لدربته ومهارته في البحث وحسن انتقاله فيه وتغطيته على جهله وقلة مبالاته. وان من العلماء من يزيد علمه على عقله فلا يحسن الغطاء على مجهولاته ولا الاعتذار عنها مع ان مجهولات الانسان اكثر من معلوماته بل لا نسبة لمعـلوماته الى مجهولاته. ومنهم من يزيد عقله على علمه فيضع الاشياء في حاقّ (١) مواضعها ويضيف اليها رونقا وبهاء وتهويلا وتوهيما. وان من العلماء من له صوت لاهماله والبكاء صغيراً لفقر اهله اولتسليط البكاء عليه في المهد والمخارج رطبة لينة فيفتح العياط لهواته وتتسع مجاري صوته وتتصلب اوداجه . ومنهم من لا صوت له لعدم ذلك ومن لا صوت له مغلوب عاجز عن المباحثة حتى ان بعض الناس علمه صوته وفخره نغمه وما أحق هذا المقام بقول القائل .

فقلت لمحمد لمـا التقينا تنكب (٢) لا يقطرك الزحام

وان من العلماء من له علم بلا جاه ولا وجاهة فلا يمكنه المقاومة ويتلعثم لسانه ويتغير للاجلال ويدافعه الوهم ويقول فلا يلتفت اليه او يرد عليه رداً جاهياً تقبله العامة ولله در القائل

اذا التقى الخيل في معسكرها فكيف حال البعوض في الوسط

والقائل حياة بلا مال حياة ذميمة وعـلم بلا جاه كلام مضيع

ومنهم من له جاه وحاله في ذلك ظاهر لا يحتاج الى الكلام عليه. واذا تقرر لك ذلك كله علمت ان العلم اقبل شئ للخفاء والجحد والتلبيس والتصنع وكيف الرواج بحرفة مجحودة او خفية او يشارك فيها بالتلبيس والتمويه ــ ومنها ان ما في ايدى الناس انما هو

---

(١) في القاموس وحاق الجوع (اى بتشديد القاف) صادقه ورجل حاق الرجل وحاق الشجاع وحاقهما كامل فيهما اه (٢) اى اعدل عن طريقي لئلا تصرعك مزاحمتي اه

Digitized by Google

ثمرة أموالهم وتكسباتهم بأعمالهم حتى لو فرضنا شخصاً خالياً من المـال والتكسب لم يكن الا شحاذا مكدياً وعلى قدر احتياج الناس الى نوع ذلك المـال ونوع ذلك التكسب يكون نفاقه بينهم وبقدر (١) نفاقه تعظم ثروة صاحبه وغناه فلذلك لاتعظم ثروة اصحاب منصب القضاء والفتوى والتدريس غالباً وذلك لعدم احتياج جمهور الناس الى ما بأيديهم احتياجاً لازماً لا مندوحة عنه لما ان الامور المفتقرة الى القضاء تنفصل بغير قضاء تارة لرجوع المبطل عن عناده لوازع دين او عار أوخوف مترقب او نحوها وتنفصل بالسياسة وبوجوه الناس تارة أخري ولمـا ان العلوم مباينة لطبائع البعض ومهجورة عند البعض ومستثقلة علي البعض

﴿ الفصل السادس ﴾

﴿ فى مصير العلوم كمالات نفسانية وطاعة من الطاعات ﴾

(ليس الا بعد كونها صناعة من جملة الصناعات وحرفة من الحرف)

هذه الدعوة مركبة من ثلاثة امور الامر الاول ان العلوم كانت حرفة من الحرف وصناعة من الصنائع . الامر الثانى ان العلوم الآن خرجت عن كونها صناعة وزال منها معنى الاحتراف والصنعة . الامر الثالث كونها كمالات وطاعات و بيان ذلك يفتقر الي مقدمتين — المقدمة الاولى ان هذه الشريعة ناسخة لجميع الشرائع وأحكامها باقية بقاء الدهر ثم ان الاحكام كلها متلقاة من الله تعالى ولا مدخل للعقل فى ايجاب ولا تحريم ولاغيرهما ولذلك قيـل في حد الحكم الشرعي خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير فقيـل خطاب الله لمـا ان السنة والاجماع والقياس ترجع اليه بالآخرة . والكتاب والسنة والحكم الشرعي مفتقر الى العـلوم بأسرها -- و بيانه انه بالنظر الى المفرد الذي يستدل به وصحته فى حالة افراده يفتقر الي علم الصرف وان النظر فى صحة التركيب يفتقر الى علم النحو وفي تطبيق اللفظ علي مدلوله يفتقر الى علم اللغة وفي اظهاره واضماره والتفاته وتقديمه وتأخيره ونحوها مما يرجع الى مطابقة اللفظ لمقتضى الحال الى علم المعاني وفى حقيقته ومجازه وكنايته واستعارته ونحوها ممـا يرجع الى ايراد

---

(١) النفاق بالفتح رواج الشيء وبالكسر المداهنة والخداع ومراد المؤلف الاول كما هو واضح اه

Digitized by Google

العلمين الى علم البديع و بالنظر فى خاصه وعامـه ومطلقه ومقيده ومجمله ونحو ذلك الى المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة الى علم البيان و بالنظر الى توابع هذين طائفة من علم اصول الفقه وفي مواقع القرآن الى أسباب النزول وفي استيضاح معانيه الي علم التفسير وفى نزوله علي حروف متعددة الي علم القراآت وفى الاسـتدلال به وترتيب الادلة الى علم المنطق والجدل وآداب البحث وفي الاحكام المستفادة منه وبواسطته الى الفقه وفي استنباط الفقه الى اصول الفقه ـ وان النظر فى السنة يستلزم علم رواية السنة وحفظها وعـلم الحديث والناسخ والمنسوخ وأسماء الرواة وكناهم وألقابهم ومشتبه أنسابهم وجرحهم وتعديلهم ووفاتهم والاخبار والقصص ـ وان النظر فى الشارع يفتقر الي عـلم الكلام ثم ان العـلوم بعضها مربوط ببعض ومتعلق به اما على سبيل الاستلزام أو على سبيل الاستمداد وهذه العلوم المذكورة تستلزم جملة من علوم الحكماء والاوائل ولو بواسطة أو وسائط كاسـتلزام الفقه بواسطة الفرائض والاقرارات المجهولة علم الحساب وهو الارتمـاطيقي وعلم الجبر والمقابلة وبواسطة اختلاف أحكام الوصية وما في معناها بالمرض المخوف وغيره واباحة التيمم بالمرض ونحوه الى علم الطب وكاستلزام علم الكلام للطبيعة والرياضة والمنطق وكاستلزام تعيين معرفة القبلة على كل واحد في رأي الرافعي أو علي مريد السفر في رأى النووي وهو من الفقه معرفة طائفة من الهيئة وكذلك معرفة دخول الوقت واستلزام الاستشهاد بالشعر فى النحو والتفسير علم العروض وعلى هـذا القياس قس تجد العلوم مرتبطة بعضها ببعض بالاستلزام أو الاستمداد —

المقدمة الثانية ان الحفاظ للقرآن بكماله في عصره صلى الله عليه وسـلم معاذ بن جبل وأبو زيد سـعيد بن عمر الانصارى وأبو الدرداء عويمر وزيد بن ثابت وفي قول وعثمان بن عفان وتميم الدارى وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الانصارى . وأصحاب الافتاء في عصره صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وأبيّ بن كعب وعبـد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة وزيد ابن ثابت وسلمان وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعرى . ثم انتهت اصول العلم الى عبدالله بن مسعود وزيد ثابت وعبد الله بن عباس فأخذ عن ابن مسعود ستة علقمة

Digitized by Google

والاسود وعبيــدة والحرث بن قيس ومسروق وعمرو بن شرحبيل. وأخذ عن زيد ابن ثابت أحد عشر رجلا ممن كان يتبع رأيه ويقتدى بقوله قبيصة بن ذؤيب وخارجة بن زيد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعروة بن الزبير وابو سلمة بن عبد الرحمن وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وسعيد ابن المسيب وابان بن عثمان وسليمان بن يسار — وأخذ عن ابن عباس ستة سعيد بن جبير وعطاء بن ابي رباح وعكرمة ومجاهد وجابر بن زيد وطاووس هكذا رواه ابو بكر الخطيب باسناده عن علي المديني وروى الحاكم ابو عبد الله عن ابي العباس الاصم عن العباس الدوري قال انتهي علم الصحابة الى ستة عمر وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت انتهى — وانتهت اصول الرواية الى ستة أبي هريرة وأنس وجابر بن عبد الله وعبدالله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعائشة. وانتهت اصول الاخبار والقصص الى ستة عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه وطاووس اليماني ومحمد بن اسحق ومحمد بن عمر الواقدي — وانتهت صناعة التفسير الى ستة عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى هكذا ذكر هذا كله جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزى فى كتابه المسمى تلقيح فهوم اهل الاثر فى عيون التاريخ والسير ثم صار الامر من بعده صلى الله عليه وسلم الى ابى بكر الصديق واسمه عبد الله بن عثمان بويع له في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة. ثم بويع له البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وتوفى لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فكانت خلافته سنتين واربعة اشهر الا عشر ليال. ثم استخلف عمر ابن الخطاب يوم وفاة ابي بكر بنصه عليه ثم قتل لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وكانت ولايته عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام. ثم استخلف عثمان بن عفان أول يوم من المحرم سنة اربع وعشرين وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت ولايته احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا واياماً. ثم استخلف على بن أبي طالب وقتل فى رمضان سنة اربعين في يوم الجمعة وكانت خلافته

Digitized by Google

اربع سنين وتسعة اشهر واياماً ثم بايع الناس الحسن بن على يوم موته فوليها سبعة اشهر واحد عشر يوماً ويقال اربعة اشهر ثم كره سفك الدماء فتخلى عن الأمر لمعاوية وانخلع وبايعه فى جمادى الاولى سنة احدى وأربعين فانتقل الامر الي بنى أمية وخلص لهم ثنتين وثمانين سنة الف شهر وعدتهم اربعة عشر رجلا اولهم معاوية وخلافته سبع عشرة سنة وثلاثة اشهر وآخرهم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ومدة ولايته نحومن ثمان سنين وبعد معاوية يزيد بن معاوية وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرين ثم بويع لابنه معاوية بن يزيد فمكث اربعين ليلة ثم مات وقيل خلع نفسه لصعوبة الامر عليه ثم بويع لعبد الله بن الزبير بمكة لسبع خلون من رجب سنة اربع وستين ثم قام مروان ابن الحكم بالشام بعد بيعة ابن الزبير بأشهر فبايعه جماعة من أهل الشام وذلك فى المنتصف من ذى القعدة سنة اربع وستين ثم مات فى رمضان سنة ٦٥ فكانت ولايته تسعة اشهر وثمانية وعشرين يوماً فقام مقامه عبد الملك ابنه وجهز العساكر مع الحجاج ابن يوسف لقتال ابن الزبير وقتل ابن الزبير في المسجد الحرام بمكة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وكانت ولايته تسعة أعوام وشهرين ونصفاً . ثم ولي الوليد بن عبد الملك وتوفى سنة ٩٦ فكانت ولايته تسع سنين وخمسة اشهر . ثم استخلف اخوه سليمان بن عبد الملك وتوفى سنة ٩٩ فكانت خلافته ثلاث سنين الا اربعة اشهر . ثم استخلف عمر بن عبد العزيز وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر وخمسة ايام. ثم استخلف يزيد بن عبد الملك وكانت خلافته اربع سنين وشهراً . ثم استخلف اخاه هشام بن عبد الملك وكانت ولايته تسعة عشر عاماً وسبعة أشهر وعشرة أيام . ثم استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكانت خلافته سنة وشهرين . ثم استخلف يزيد بن الوليد بن عبد الملك ثم بويع ابو اسحق ابراهيم بن عبد الملك. ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وقتل سنة ١٣٢ هجرية . ثم انتقل الامر الي بنى العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم فتولى ابو العباس السفاح واسمه عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس فى ربيع الأولى وقيل الآخرة سنة ١٣٢ وتوفي فى ذي الحجة سنة ١٣٦ فكانت خلافته اربع سنين وعشرة

Digitized by Google

أشهر . ثم تولى بعده اخوه المنصور ابو جعفر عبد الله بن محمد وكان اكبر سناً منه وحج فتوفى لسبع خلون من ذى الحجة سنة ١٥٨ فكانت ولايته اثنين وعشرين سنة الا شهراً . ثم ولى المهدى بن محمد بن عبد الله بمكة وتوفي لثمان بقين من المحرم سنة ١٦٩ وكانت خلافته عشر سنين وتسعة واربعين يوماً . ثم ولى ابنه الهادي موسى بن محمد وكانت خلافته اربعة عشر شهراً واحدى وعشرين يوماً . ثم ولى بعده أخوه الرشيد ابو جعفر هارون بن محمد فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وستة عشر يوماً . ثم ولى بعده ابنه الامين ابو عبد الله محمد بن هارون وقتل فى المحرم سنة ١٩٨ وكانت خلافته اربع سنين وستة اشهر واربعة وعشرين يوماً . ثم ولى اخوه المأمون عبد الله بن هارون في المحرم ومات ببلاد الروم لثمان خلون من رجب سنة ٢١٨ فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً . ثم تتابع العباسيون واحدا واحدا الى ان ختموا بالمستعصم ابي احمد عبد الله بن المنتصر بالله ابي جعفر منصور وكانت عدة خلفاء بنى العباس سبعة وثلاثين خليفة وجملة أيامهم خمسمائة سنة واربع وعشرون سنة ولم تكن ايدى بنى العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية قاهرة لجميع البلاد والاقطار والامصار فقد خرج عن بنى العباس بلاد المغرب وانما ذكرت هذه المقدمة بطولها لتعرف ترتيب الدول فان تغير الاحوال انما هو بتغيير الملوك وتتجدد العوائد بحسب احوال الملوك وسيتضح لك ذلك باذن الله تعالى — اذا تقرر ذلك فاعلم ان العلوم الاسلامية لم تكن مدونة ولكن اقتضتها الشريعة اقتضاء واستلزمتها لزوماً وأفاضتها افاضة كما تقرر فى المقدمة الاولى وتلقت الصحابة اصولها من حضرته صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم الوحى وتفقههم باسباب النزول وما أفاضته عليهم أنوار النبوة ثم ثابروا على الحق وتساءلوا وتناظروا واجتهدوا وتراجعوا عند اختلافهم الى من عنده مزيد علم بالمختلف فيه وتواصوا وتعاونوا على امضاء الشريعة وتشييعها والزام الناس بها واكرام حملتها وملوك الناس علماؤهم والعلماء الكبار قليلون كما مر في المقدمة الثانية على ما هو العادة فى الأمور المبتدأة كيف تكون فى مبدئها وأولها قليلة وما ظنك بالشئ المحتاج اليه مع قلته ويلزم من ذلك كله وفور الداعية فى تحصيل العلم ومزيد الاعتناء به

Digitized by Google

والرغبة فيه ولذلك كانت الفضائل والكمالات والعلوم تأخذ فى الازدياد والنمو لنفاق اصحابها ولبقاء انوار النبوة غضة طرية بين الناس وكلما ازدادت الشريعة تمهيداً ونشرا ازدادت الصحابة وحاشاهم من تعلق هممهم بالدنيا سيادة ويسراً فلقدكثر المال فى خلافة عثمان بن عفان كثرة بالغة لم يكثر قبلها فى خلافة من تقدمه حتى جاء نصيب الفارس فى غزوة افريقية ثلاثة آلاف دينار أو عشرين الف دينار فأطلقها كلها عثمان رضى الله عنه فى يوم واحد لآل الحكم ويقال لآل مروان . ثم صارت الخلافة من الخلفاء الاربعة والحسن رضى الله عنهم الى الامويين فالعباسيين على ماتقدم فى المقدمة الثانية وهم مابين صحابي وتابعي ومدل بنسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم والشريعة التى العلوم خدمتها شريعة قريبهم وصاحبهم وسيادتهم وفخرهم واستيلاؤهم على الممالك به صلى الله عليه وسلم وبشريعته المستلزمة للعلوم على ما مرفى المقدمة الاولى فكيف لا تأخذ العلوم فى الانتشار والملوك والامراء والاعيان والقضاة والوزراء هم أهل العلم والفضل والعقل او الممدحين الكمل وشهرتهم وذكر اسمائهم فى غالب خطب كتب الاقدمين تغنى عن عدهم بالاسماء فقلّ ان يخلو كتاب من كتب العلماء الاقدمين خصوصاً فى العلوم العقلية والادبية الا ويذكر فيه ان الباعث على تدوينه وزير أو قاض أو أمير أو من فى معناهم ويلزم من ذلك قوة داعية التعلم وتوفر الارادة له لما ان المجانسة واتحاد المقاصد والتعاون على مقصد واحد واستمداد العلماء بعضهم من بعض وزيادة العلم ورسوخه بالبحث فيه والمذاكرة له كل ذلك مقتض للالفة والمحبة والاختلاط والعناية وألفة الملوك والاعيان ومحبتهم والاختلاط بهم يقتضى تأليفهم ومن يحبونه الى مقاصده ومآربه ولذلك بنيت المدارس بألوف الدنانير لجنس العلماء أو لواحد منهم بالقصد الاول ولجنسهم بالقصد الثانى واتسع الحال بالعلماء انفسهم حتى بنوا هم لبنى نوعهم مدارس كثيرة وكتب التاريخ طافحة بهذا. ولذلك ايضاً بذلت الالوف فى الارشاد الى تصحيح كلمة او مساعدة على مقصد علمى كحكاية النضر بن شميل مع المأمون وانه امر له بخمسين الف درهم يقبضها من الفضل بن سهل على ان ارشده الى ان السداد الذى بمعنى البلغة وسد الثلمة بكسر السين لا بفتحها وان الفضل زاده من عند نفسه لذلك ثلاثين الف درهم فتم له ثمانون

Digitized by Google

الف درهم . وكحكاية ابي عثمان المازني واحضار الواثق اياه من البصرة ليسأله عن نصب رجل أو رفعه في قول العرجي

أظلوم ان مصابكم رجلا　　اهدى السلام تحية ظلم

وأمره على توجيهه اياه بألف دينار . وكحكاية دعلج بن احمد بن دعلج ابو محمد السجزي(١) الفقيه المعدل المحدث الرئيس صاحب الاموال الجزيلة التي أنفق اكثرها في العلم واهله المتوفي عن ثلثمائة الف دينار سنة ٣٥١ حيث بعث بمسنده الى ابن عقدة لينظر فيه وجعل في الاجزاء بين كل ورقتين ديناراً وكحكاية عبد الله بن طاهر حيث رتب للقاسم بن سلام ابي عبيد في كل شهر عشرة آلاف درهم لما وضع كتابه في غريب الحديث وقال له ان عقلا يعين صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق ان لايحوج لطلب المعاش . وكحكاية علي بن محمد بن الفرات من انه كان ينفق على خمسة آلاف من العلماء والعباد ويجرى عليهم نفقات كل شهر وكغير ذلك من أخبار المدح والكلمات العلمية مما يغني تواتره المعنوى عن الاطالة به .ولذلك ايضاً كان التقريب والتبعيد والضعة والشرف على حسب الاستعداد والاستحقاق وذلك كله يستلزم كون العلوم والكمالات صنعة من الصنائع وحرفة من الحرف لما ان الناس كانوا يرون احتياجهم الى العلماء فوق احتياجهم الى الحاكة والباعة والصناع وباقي الحرف اضعافاً مضاعفة .وكان العلماء يسترزقون بعلومهم ومعارفهم ويتخذونها ذرائع ووسائل الى مقاصدهم فوق استرزاق الحاكة والخاطة أضعافا مضاعفة فلذلك اتسع نطاق العلم ودونت الدواوين وصنفت الكتب وهذبت ورتبت و بسطت واختصرت واستبحر العلم استبحاراً وذخرت امواجه واخذ الى أبعد مسافة من اقطار الارض شرقاً وغرباً حتى ان علوم الشريعة كلها من التفسير والنحو والاصول والمعاني والحديث اكثر اصحابها العجم على بعد قطرهم مع ان صاحب الشريعة عربي وكتابه عربي والمتلقون عنه وهم الصحابة عرب — ولذلك سبب اذكره استطرادا وهو ان الشريعة لما استلزمت العلم على ما مر وكان العلماء هم الملوك والاعيان وكان نفاق العلماء والاحتياج اليهم فوق نفاق الخياط والحداد والحائك والاحتياج اليه

---

(١) نسبة الي سجستان علي غير قياس

واسترزاق العلماء بعلمهم فوق استرزاق هؤلاء بحرفتهم صار العلم حرفة من الحرف على ماتقدم وقاعدة الحرف ان موجوديتها وكثرتها ومهارة اهلها يدور مع التمدن والحضارة فكلما ازداد القطر تمدناً وحضارة ازدادت الحرف احكاماً ومهارة فلذلك لاتجد في القرى من المصنوعات مايوجد في المدن ولا فى صغير المدن ما يوجد فى كبيرها لما ان رواج الحرف ونفاقها هو سر موجوديتها واحكامها لان الناس لايضعون سلعهم حيث لاتقبل أولا تنفق وكبر المدينة وكثرة اهلها يستلزم النفاق لاحتياج الناس واختلاف اغراضهم وهممهم احتياجاً علي البدل والتناوب الى المصنوعات واستلزام ذلك لحكم البدلية والنوبة عدم الشعور والخلو واقتضائه للنفاق لان توزيع المجموع على المجموع مع الكثرة على البدل والنوبة مستلزم لذلك لامحالة . ومملكة فارس والعجم كانت اكثر تمدنًا وحضارة فلذلك انتشرت العلوم فيهاواحكمت احكاما بليغًا الى حد لايوجد فى غيرها لكثرة ناسها وعظم مملكتها. هذا كله فى تبيين ان العلوم كانت صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف — وأما الامر الثاني وهوان العلوم الآن خرجت عن كونها صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف فذلك ان الحرف والدول لها شباب وهرم ولها عمر طبيعي كاعمار الحيوانات والامور المعنوية تتراجع وتتناقص عند التناهى كالامور الحسية وكنا قد قدمنا أن العلوم اقتضتها الشريعة اقتضاء وان الصدر الاول تشايعوا على اظهار الشريعة ولوازمها وتوابعها فراج العلم والعلماء لذلك ولاشك ان الدول بعد الخلفاء الاربعة وان كانت فوق عصرنا هذا فى الانتظام والسداد اضعافاً مضاعفة لكنها دون عصره صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك قوله صلي الله عليه وسلم « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية على بن الجعد عن حماد عن سعيد بن جمهان (١) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم « الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » وخرج البيهقى فى دلائل النبوّة عن ابى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله عز وجل بدأ هذا الامر نبوة ورحمة وكانتا خلافة ورحمة وكانتا ملكا عضوضاً

---

(١) جمهان كعثمان محدث من التابعين اه قاموس

Digitized by Google

وكانتا عتواً وجبرية وفساداً فى الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابداً حتى يلقوا الله عز وجل » وخرجه ابو بكر بن ابى عاصم فى كتاب السنة بنحوه مختصراً. ولسر هذه الاحاديث تجدد فى الدول بعده صلى الله عليه وسلم مالم يكن في عصره صلى الله عليه وسلم واستعجم الملك وتجددت فيه أحوال فارس والعجم من الملابس الفاخرة والمساكن الأنيقة والحجاب ومضاعفة الحجاب ومن الوزراء والجاويشية والجوندارية واصناف امراء ووظائف واسماء لم تكن فى عصره صلى الله عليه وسلم. وحدث تخطى الحدود والتعازير وتشنيع القتل وايقاعه بغير موجب شرعي وزالت احوال البداوة من خوف المذمة وشدة الحياء والكرم والتبذل فى المأكل والملبس والمركب ومن اتخاذ التواضع خلقا وحدثت الحوادث وكثرت الخوارج والمتغلبون على العباسيين الذين يدلون بنسبهم اليه صلى الله عليه وسلم ونزلت سيادتهم بشريعته المستلزمة للعلوم كما تقدم فخرجت حصة من مملكة الشرق من ايدى العباسيين في دولة بنى بويه على يد يحكم وغيره ثم زالت ايديهم عن العراق كله وخرج الحكم عنهم فيه اصلا سنة وشهورا في أيام ارسلان البساسيرى فى حدود الخمسين والاربعمائة ثم عاد الى ان اخرجه عنهم مطلقا واستأصلهم هلاكو بن طولى خان بن جنكيز خان وكان الصدر الاول يدبرون افعالهم على محض الشريعة ثم جاء من بعدهم فادخلوا فيها بالاستدلال والتمحل جملة من السياسة ثم فعلوا اموراً سياسية وهونوها على الناس بالاعتذار ثم اتسع نطاق السياسة وأدار الملوك احوالهم على عقولهم واحدث جنكز خان الياساق الذي وضعه وجعل الناس يتحاكمون اليه ويطلع الي جبل ويزعم انه يوحي اليه به واكثره مخالف لشرائع الله وكتبه وانما هو شئ اقترحه من عند نفسه بعد الستمائة وأوحاه الى شيطانه وكان يكتب الياساق في مجلدين بخط غايظ ويحمل على بعير ويبالغ فى تعظيمه وكثرت الحوادث السياسية والامور العقلية المخالفة للشريعة واستغناء الحكام بعقولهم مما يقتضى طي بساط العلم ويفضى الى عدم الاحتياج اليه فان النفوس حكوية من شأنها المحاكاة فى الشر ومهما صدر شئ وزال بقى منه أثر فى النفوس وزواله الظاهر لا يستلزم زواله من النفوس وزوال الاستدلال به وروايته على سبيل الاستحلاء والاستحسان وهذا كله

Digitized by Google

يستلزم طى بساط العلم وعدم الحاجة اليه لما ان العلوم من لوازم الشريعة وتوابعها كما قررناه واعدناه غير مرة واذا ضعف العمل بالملزوم وتسوهل فيه فاولى ان يضعف العمل باللازم و يتساهل فيه ولذلك لم يبق من العلم سوى رسومه ومعاهده كالمدارس القديمة وسوى مايوجبه ناموس الاسلام من الاعتراف بحقه ظاهراً فقد اتضح عندك خروج العلوم عن كونها مظنة الاستحقاق ومطية الاسترزاق وكيف لا وقد صارت الوظائف الدينية تباع كما يباع الفرس والحمار وهو الذى يسمونه نزولا واعراضاً و يوصى بها كما يوصى بالقوس والدار وهو الذى يسمونه نزولا ايضاً وتورث كما تورث الاموال يأخذها الصغار والاطفال. وانت اذا راجعت ان كثرة الحوادث الخارجة عن الشريعة تحدث فى النفوس محاكاة وأثراً واستدلالا وان الناس على دين مليكهم وهم بزمانهم اشبه منهم بآبائهم وان الملوك اسواق يحمل اليها ماينفق فيها وان الصنائع تدور مع النفاق وجوداً وعدماً وان وثوق المحترف من الباعة والحاكة والخاطة بافضاء حرفهم الى ثمرتها اكثر من وثوق العلماء بافضاء علمهم الى ثمرته الدنيوية وأن اهمال الصنعة والاستغناء عنها بغيرها يوجب اضمحلالها وزوالها ومانسب لذلك مما تجده وتشاهده من اهمال المنطق والحكمة بالشام واستعماله بالروم والعجم تحققت ان العلوم خرجت عن كونها صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف اللهم الا ان يحييها الله تعالى و ينشرها ويبثها فى أيام الملك المؤيد وينشرها فهو الذى عمر المدارس بمصر والشام بمعروفه و بره وبآرائه الموفقة وساطع امره وقهره واحياء معالم العلم شرعه وشعره ابقى الله دولته بقاء الفرقدين وملكه مابين المشرقين

واما الامر الثالث وهو كون العلوم كمالات وطاعات فهو ان الانسان انما ينفصل عن الحيوان بالنطق وليس المراد به الصوت المنضغط فى المجرى على مقاطع الحروف والا لكان الاخرس غير انسان ولا الكلمات المنتظمة والا لكانت الببغاء والغراب انسانا وانما المراد به النفس الناطقة وهى التى لها الفكر والروية ومحبة العلم والمعرفة وهى التي تملك الطبائع القياسية وغير القياسية وتكون فلسفية وحكمية وتبحث عن العلوم النظرية ولها الاستدلال بظواهر الامور على بواطنها ومعرفة ترتيب الموجودات فى الوجود وهذه القوة كمالها وحياتها بالعلم والبيان فتميز الانسان بماهو انسان بالعلم والبيان والا فغير الانسان

من الدواب والسباع اكثر اكلا منه وأقوى بطشاً وأكثر جماعا واولاداً وأطول عمراً وانما يتميز عن الدواب والحيوان بعلمه و بيانه فاذا عدم العلم بقى معه القدر المشترك بينه و بين سائر الدواب وهى الحيوانية المحضة فلا يبقى فيه فضل عليهم بل قد يبقى شرا منهم كما قال تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) فهؤلاء هم الجهال (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) وقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) سواء كان المعنى مثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع من الدواب أومثل الذين كفروا حين ينادون كمثل دواب الذى ينعق فهؤلاء لم يحصل لهم حقيقة الانسانية التي يتميز بها صاحبها عن سائر الحيوان. وايضاً فالجهل من اعظم الادواء والامراض وقد سماه الله مرضاً فى قوله تعال في حق المنافقين (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) وقوله (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون) وفي قوله (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض) فان المراد بمرض القلب فيها مرض الجهل والشبهة. وكذلك امراض القلب جميعها من الشهوة وغيرها كالرياء والعجب والحسد والفخر كلها ناشئة عن الجهل فانها مركبة من الشهوة والشبهة فان الكبر مثلا مركب من تخيل عظمته وفضله وارادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم اياه ودواء هذه الامراض كلها العلم ولذلك أكثر الغزالي رحمه الله في ربع المهلكات من ذكر دواء العلم في كل مرض مرض من امراض القلوب ولهذا سمي الله تعالى كتابه شفاء لما في الصدور ولذلك ايضا ترى داء الجهل متلفاً للاموال غالباً فرب شخص يتحيل عليه بحيلة شرعية يجعلها طريقاً الى أخذ ماله ولولا جهله بالشريعة لما تمت عليه — وأيضاً ما روى عن ابن عمر يرفعه «افضل العبادة الفقه» وقال عمر رضي الله عنه «موت الف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه» وما رواه الخطيب فى كتاب الفقيه والمتفقه عن ابن عمر يرفعه «مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة» وما رواه ايضاً من حديث عبد الرحمن بن عوف يرفعه «يسير الفقه خير من كثير العبادة» قال ابن قيم الجوزيّة فى مفتاح دار السعادة وفى رفعها نظر وما رواه ايضاً من حديث انس يرفعه «فقيه عند الله افضل من الف عابد» وهو فى الترمذي من حديث روح بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً قال ابن القيم

Digitized by Google

وفي ثبوتهما مرفوعين نظر والظاهر ان هــذا من كلام الصحابة فمن دونهم وما رواه المخلص عن ابن صاعد حدثنا القاسم بن الفضل بن مربع حدثنا حجاج بن نصير حدثنا هلال بن عبدالرحمن الجعفي عن عطاء بن ابي ميمونة عن ابي هريرة وابي ذر قالا «باب من العلم نتعلمه احب الينا من الف ركعة تطوعاً وباب من العلم نعلمه عمل به او لم يعمل احب الينا من مائة ركعة تطوعاً» وما رواه الخطيب ايضاً عن ابى الدرداء انه قال «مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة» وما رواه ابو داود والترمذى من حديث ابي الدرداء رضي الله عنه قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً الي الجنة وان الملائكة تضع اجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الارض حتي الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر عــلى سائر الكواكب ان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورّثوا درهما ولا ديناراً انما ورّثوا العلم فمن أخذ منه اخذ بحظ وافر» أما وضع الملائكة أجنحتها فتواضعاً وتوقيرا واكراماً لمـا تحمله من ميراث النبوة لانه طالب لمـا فيه حياة العالم ونجاته ففيه شبه من الملائكة وبينه وبينهم مناسبة لان الملائكة يحرصون عــلى منافع البشر يعينونهم على أعدائهم الشياطين ويستغفرون لمسيئهم قال الطبراني سمعت أبا يحيي زكريا بن يحيي الساجي قال كنا نمشي فى بعض الازقــة الي باب بعض المحدثين بالبصرة فأسرعنا المشي وكان معنا رجل تاجر متهم في دينه فقال ارفعوا أرجلكم عن اجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ فما زال من موضعه حتى حفيت رجــلاه وسقط وأما استغفار من فى السموات ومن فى الارض له فانه لمـا كان ساعياً في نجاة العباد جوزي من جنس عمله وجعل ما فى السموات والارض ساعياً فى نجاته وقيل سبب هذا الاستغفار أن العالم يعلم الخلق مراعاة هذه الحيوانات ويعرفهم كيفية تناولها واستخدامها وذبحها فاستحق ان يستغفر له البهائم وقوله فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب مطابق لحال القمر والكواكب فان القمر يضيء الآفاق ويمتد نوره فى أقطار العالم وهذه حال العالم واما الكوكب فنوره لا يجاوز نفسه وما قرب منه وهــذا حال العابد — ووجه اختيار القمر على الشمس وان كان الشمس اكثر

Digitized by Google

نوراً واضاءة أن القمر لمـا كان نوره مستفادا من الشمس كان تشبيه العالم الذى نوره مستفاد من شمس الرسالة بالقمر أولى من تشبيهه بالشمس وأيضاً فنور القمر يتفاوت بتفاوت الليالى نقصاناً وتماماً والشمس نورها فى كل الايام على السواء والعلماء يتفاوتون فى العلم تفاوتاً كثيرا فتشبيههم بالقمر أنسب لحالهم — واما تشبيه العلماء بالنجوم فى قوله صلى الله عليه وسـلم « اصحابى كالنجوم » فمن وجه آخر وله حكمة اخرى فان النجوم يقتدى بها فى ظلمات البر والبحر وتكون رجوماً للشياطين والعلماء كذلك يقتدى بهم فى ظلمات الجهل والكفر وترجم بهم الشياطين الذين يوحون الى أوليائهم زخرف القول غرورا

الفصل السابع

(فى السبب فى غلبة الفلاكة والاهمال والاملاق على نوع الانسان و بيان ذلك)

اعلم ان الفلوكية والاهمال والاملاق غالب على جنس البشر والسبب فى ان غالب البشر (١) يرمقون العيش ترميقاً و يدافعون اخفاق المساعى مدافعة و يتسكعون فى طرق الاملاق أو فوقه بقليل تسكعاً أن السيادة والمجد والثروة والغنى وأشباهها اما مكتسبة واما موروثة فأما المكتسبة فمـا سوى الامارة من المعاش الطبيعي اما تجارة أو فلاحة او صناعـة فالتجارة مفتقرة الى مادة متسعة ورأس مال كبير يدار فى وجوه الارباح والتثمير و يوزّع على أنواع المتاجر لينجبر كساد بعضها بنفاق الآخر وليستعان بالنافق على ادّخار الكاسـد ارتقاباً لحوالة الاسواق واسـتدراراً للنفاق ولكيلا يباع الكاسد فى حال كساده وذهاب ربحه وفساده وأيدى الناس خالية عن الاموال المقنعة القابلة لمثل ذلك غالباً — وأيضاً فهى محتاجة الى بصيرة تامة ودراية وافية وتجربة كاملة ليؤمن بها غش الباعة وخلابتهم وترويج السماسرة كواسدهم ومفتقرة ايضاً الى فراسـة صادقة وحدس صحيح ليضع كل سلعة فى حاق موضعها زبوناً وسوماً وترخيصاً واغلاء وحلولا وتأجيلا وادخاراً وتعجيلا ونفوس الناس غالباً ظلمانية لخلوها عن العـلوم العقلية والاعمال الرياضية فهى بعيدة عن البصيرة — وأيضاً فالايدى الغاصبة الخاطفة مستولية

(١) فى القاموس الترميق العمل بعمله ولا يحسنه يتبلغ به وهو مرمق العيش ومرمقه كمعظم ومحمر ضيقه اه وقوله ويتسكعون اى يذهبون متحيرين لا يدرون اين يأخذون اه

Digitized by Google

على التجار لمقهوريتهم مع الدولة وحامية الملك وخاصته الخادعين بالاستدانة والارباح الكاذبة والمواعيد الباطلة والرهون الغير المملوكة والالتجاء الى الاعسارات والحيل الشرعية والاستعانة بشهود الزور ووكلاء السوء وربما تكرر ذلك على التاجر الماهر فعاقه واقعده عن أمثاله حتى أتى على رأس ماله — وأما الفلاحة فعوارضها السماوية أكثر من ان تعد من البرد والهواء المفرطين وانقطاع المطر وكثرته فى غير وقته ونزول كبار الحصى والبرد وثقيل الثلج وشدة الحر ومجيء الجراد المنتشر وكذلك العوارض الارضية من سوء النبت وسباخة الارض وخبث طينها ووضع الاشياء متأخرة عن أوانها وعدم استكمالها بجراثها وشروطها ونبات الاشياء المضرة خلال الاشياء المطلوبة ومن الجرذ والفار واليربوع ومن رخص البقول والخضراوات وما فى معناها مما لا يقبل الادخار مع غلاء بذرها ومن عدم نصيحة المعاونين فيها وخباثتهم واختلاسهم وتفويت الاعمال الكمالية المصلحية وتسليط الظلمة عليهم واستعبادهم وتوسيع شروط مقاسمتهم وفرض الفرائض والتفنن فى وجوه الجبايات وانواع الظلامات والجائهم الى بيع زراعاتهم فى حال كسادها وعدم رواجها مع ما يختص به أهل البدو من رداءة العيش وخشونته والبعد عن أحوال الحضارة من الرفاهية والترف وموجودية المطالب والتحلى بالعلوم ثم مع ذلك كله ما هم عليه من دخول المهانة في قلوبهم وظهورها فى أحوالهم وعلى شمائلهم وناهيك قوله صلى الله عليه وسلم « ما دخلت السكة دار قوم الا دخلها الذل » — وأما الصناعات فلقلة الماهر الحاذق فيها وعلى الجملة فالصنائع شاغلة لاصحابها عن الدعة والراحة والرفاهية ويطرقها الكساد كثيرا ونفاقها لا جدوى له ولا يحظى صاحبه بطائل واصحاب الصنائع باذلون رقهم وعبوديتهم بأقل قليل للفقير والغنى والمسلم والذمي فهم بمراحل عن الشهامة وعلوّ الهمة والانفة — ثم جهات المعاش الثلاثة مفتقرة الى التعاون والتناصح وقد انقطعا من كافة البشر او عامتهم لاتساع موجبات التباغض والتماقت لكثرة مقتضيات التحاسد والحيلولة كل واحد الآخر عن مراده الناشئة من الكبر والعجب والعداوة وخوف الازدحام على مطلوب واحد. ولفوات بعض المقاصد بكثرة الشركاء وحب المباهاة والانفراد بالمجد وخبث النفس وفساد

Digitized by Google

جوهرها ونقص انسانيتها — وايضاً يقال على وجوه المعاش الثلاث انه كلما تجدد للانسان دخل جدد له صرفاً اما للمباهاة والترفع على امثاله أو افراطاً فى الشهوات وانهما كا فى اللذات أو خوفاً من سوء القالة والاحدوثة بتنقيص ما يقتضيه حاله او باكراه مبغض لتلك النعمة عليه أو لان الحالات المتجددة فى دخله يلزمها تجدد امور فى صرفه فلا يزال الشخص مملوكا مهملا غير قادر على المكارم — وايضاً فوجوه المجد والسيادة الكسبية لا تصير دفعة وانما تكون بالتدريج والترقي ومكابدة تنميتها ومعالجة زوال موانعها مع كثرة الصادّين عنها والعوارض العائقة لها أمر عسير بطئ السير فيقضي الانسان شطر عمره أو معظمه فى فلاكة وادبار — هذا حكم وجوه المعاش الطبيعي وأما غير الطبيعي كالاسترزاق بالكيمياء والتنجيم والدلالة وقلم الشهادة لغير المعروف وسائر الارزاق الهوائية الخطفية الصدفية فهي ارسخ قدماً فى الفلاكة والادبار لانها بمنزلة اللقطة والعثور على دفائن الارض لعدم انتظامها ووفاء محصولها لخولها فاصحابه لا سيما غير المشهور منهم أئمة الفلاكة وهيولاها وينابيعها ومأواها اعاذنا الله من ذلك ومن الاختلاط بأهله آمين — وأما الامارة فلا ينكر أن مبادئها مشتملة على نصيب وافر من الفلاكة والادبار وبيانه ان الامرة لا تتم الا بالعصبية والتغلب والشوكة وفى قمع المعاند والجاحد وتأليف القلوب المتفرقة وتمهيد المسالك والقيام بحقوق لا تحصى كثرة معاناة شدائد ومكابدة مكائد ومشاق وتعريض النفس للهلاك وكبراء الجند مستعبدون مع مليكهم مشغولون به عن أنفسهم مقدمون لمراده على مرادهم ولو سلم ان السلطنة خالية من الفلاكة فهي من القسم النادر والدعوى ان الفلاكة غالبة على نوع الانسان لا انها لازمة لكل نوع الانسان — هذا كله من المكتسب أما الموروث فيطرقه أنواع من الفلاكة منها امتداد أيدى الولاة والحكام اليه — ومنها مذلة اليتيم وخضوعه وفقده نصيحة ابيه — ومنها سهولة صرف ماله عليه لعدم تحمله مشاق جمعه وتجشمه نصب الحبائل فى تحصيله فيسرع فيه بالسرف والتبذير والسفه لعدم حنكته وبصره بعواقب الامور ويعود يتكفف الناس — ومنها عجزه لعدم مهارته ودربته عن الوفاء بمقاصد ماله والقيام بشروط تنميته وتثميره فيذوب قليلا قليلا الى ان يضمحل ويتلاشى ولا يحصل

Digitized by Google

منه الا على الملامة والتعيير والندم — ومنها انكار المنكرين كونه فى رتبة مورثه ومستحقاً لما كان يعاون به مورثه و يساعد عليه فلا يؤمنون على دعائه ولا يساعفونه على قصده ولا يسيرون معه سيرة مورثه فيقع من ذلك فى العناء العظيم والداء العقيم وبهذا التقرير يعلم ان الفلاكة غالبة على نوع الانسان وارثاً كان أو كاسباً والله أعلم

الفصل الثامن

(فى ان الفلاكه المالية تستلزم الفلاكة الحالية)

هذا الذى قدمناه فى الفصل قبله لما كان لا ينتهض دليلاً الا على غلبة الفلاكة المالية على نوع الانسان احتجنا ان نذكر فى هذا الفصل أن ذلك مستلزم للفلاكة الحاليه وأعنى بالفلاكة الحالية تعذر المقاصد وانعدامها بحيث تصير الفلاكة حالا ووصفاً ذاتياً للشخص فى افعاله واقواله دفعاً وتحصيلا حكما وتعليلا — والدليل على ذلك ان تقول هذا مفلوك مالا وكل مفلوك مالا فهو مفلوك حالا ينتج هذا مفلوك حالا وكلية الكبرى بديهى أو حسى والصغرى مسلمة بالفرض أو محسوسة أو تقول دارت الفلاكة الحالية مع الفلاكة المالية وجوداً وعدماً والدوران آية كون المدار علة فى الدائر والمعلول لا يفارق علته فهو اما مقارن أو متعقب على اختلاف المذهبين وهذا وان كان بديعاً وهو الاستدلال بالدوران على العلية و بالعلية على مقارنة المعلول اياها فليس بعيداً من القواعد أو يستدل بالدوران على الملازمة و بالجملة فالدعوى تكاد تكون بديهية والحس والاستقراء يصدق ذلك — ويوضح ذلك ان المال عبارة عن ملك الاعيان والمنافع والجاه عبارة عن ملك القلوب واستسخار اصحابها فى الاغراض والاعمال لما فيها لذى الجاه من اعتقاد الكمال والالتفات اليه والمفلوك لا جاه له ولا مال وكل من لا جاه له ولا مال له فهو مسلوب القدرة لما ان الجاه والمال من أعظم أسباب القدرة أو هما أسباب القدرة ومن لا قدرة له فهو عاجز عن الوصول الى مطلوباته لما ان مقدوراً بلا قدرة محال ولذلك لا يحصل مقصود لمفلوك نادرا الا بقدرة غيره من ذوى المال والجاه. ولذلك أيضاً لو فرض شخص لا مال له ولا حرفة لم يكن الا شحاذاً مكدياً لان مافى أيدى الناس انما هو ثمرة أموالهم ومنافعهم — وأيضاً من لا قدرة له لا يتعلق الرجاء والخوف به ومشايعة الناس الشخص ومساعدتهم

Digitized by Google

اياه على مراده دفعاً وتحصيلا وتسليمهم له حكما وتعليلا لا بد لهـا من داعية وغرض ليترجح احد الجائزين من الفعل والترك على الآخر بمرجح وأعظم الاغراض والدواعى تعلق الرجاء والخوف بالشخص لمـا ان الانسان يقدر هجوم الحاجات وطروق الآفات وسوء الظن بالعواقب كامن فى النفوس لا سيما فى البلد الذى لا يكمل عدله ولا يتراحم أهله ولذلك لا تمل الاستزادة من الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بتغى لهما ثالثاً » وقال صلى الله عليه وسلم « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال» وذلك لان هذه المخاوف لا موقف لها ولا لها قدر مخصوص فمن تعلق رجاؤه أو خوفه بشخص كانت مساعدته له لامر يتعاق بنفسه بالآخرة وكان دافعاً لالم خوفه وساعياً فى تحقيق رجائه والشخص أنصح ما يكون لنفسه لان نصحه لهـا طبيعى فلذلك تساعف الناس الاغنياء بمراداتهم وتتزلف الخلق اليهم بمطالبهم ويسعفونهم بمنافعهم تسليفاً وادخاراً لخوف مترقب او رجاء متوهم وان لم ينالوا من مالهم ذرة ولا من جاههم مثقال خردلة واذن كانت المفاليك عن الرجاء والخوف بمعزل — وايضاً فالدنيا محل الازدحام والتوارد على محل واحد بخلاف الآخرة ولذلك لا حسد فى الآخرة لاتساعها ووفائها بالكل بلا ازدحام فما من مقصد يرومه المفلوك الا وله فيه مزاحم ومدافع يمانعه عنه وتقديمه على غيره ترجيح للمرجوح عـلى الراجح وهوخلاف صريح العقل ويلزم من ذلك تعـذر المقاصد على المفاليك واخفاق مساعيهم فيها — وأيضاً فالاغنياء وذوو الجاه يتقارضون المقاصـد تقارضاً ويقترضونها اقتراضاً والتقارض يستدعى القدرة على الوفاء بالنوبة بحكم المقارضة لانه أمر على التعاقب والنوبة والقرض لا يوضع عنـد المعسرين والمفاليك ليسوا من اهل المقارضة ولا الاقتراض عـلى ان استلزام الفلاكة المالية للفلاكة الحالية كفلاق الصبح عند المنصفين ولعل جحده مكابرة والقاعدة ان المكابرة لا يطلب لها دليل والله أعلم

Digitized by Google

الفصل التاسع

(فى ان التملق والخضوع و بسط أعذار الناس والمبالغة فى الاعتذار اليهم واظهار حبهم ومناصحتهم من أحسن احوال المفلوكين وأليق الصفات بهم وأفضاها الى مقاصدهم و بيان الدليل على ذلك)

اعلم أن الناس لا يبذلون منافعهم وأموالهم سدى بغير غرض ولا علة لان المتعالى عن وجوب تعليل أفعاله بالاغراض والمصالح انما هو الله تعالى وان خالفت المعتزلة في ذلك فلا بد للاحسان اعم من أن يكون نفعاً او مالا قولا او فعلا من غرض وحظ هو عند الباذل أوفي بما بذله وتحصيله عنده أحب اليه من ذلك المبذول فكما ان الشخص لايلقي ماله في البحر اذ لا غرض له فيه كذلك لايضع ماله في يد انسان ولا غرض له فيه وذلك الغرض اما آجل وهو جزيل الثواب فى الآخرة قال صلى الله عليه وسلم «ايما امريء اشتهي شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر الله له» واما عاجل فى الدنيا وهو اما ترقب المكافأة باحسان مثله نوعاً او جنساً او المنة والترفع أو الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم او جذب القلوب الى طاعته ومحبته واستسخارهم او ازالة مذمة البخل وخبثه والنفرة الحاصلة للبخلاء واستقباحهم عنه أو ازاحة حب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة عن قلبه أو ازاحة رقة الجنسية ورحمة النوعية عن قلبه ودفع الألم الحاصل له من الرقة بسبب سوء حال من يحسن اليه أو دفع ألم خوف حاضر أو مترقب. والاستقراء يدل على الحصر . ثم ان بعض هذه الاغراض أقوي من بعض و بعضها أدوم وأشد بيانًا من بعض فالاحسان بالوارد الاخروي قليل الثبوت والاستمرار الا من وفقه الله تعالى وأيضاً فأعمال الخير تتقارض وينوب بعضها عن بعض والاعمال البدنية أسهل علي النفوس في تحصيل مطلوب الآخرة من الاعمال المالية و بتقدير ثبوتها فانما يثبت جنسها وأما انحصارها فى مفلوك بعينه فأقل ثبوتاً بل لو قيل بعدم ثبوتها في مفلوك بعينه البتة لم يكن بعيداً فلا يفيد المفلوك التعويل عليها. وأما حب المنة والترفع فليس شاملا لعامة الخلق ولا لمعظمهم لان النفوس المستشرفة للمكارم والمعالى تأباه وتنفر عنه وانما

ذلك غالبًا ممن يصدر عنه الاحسان تكرماً وتطبعاً وتكلفاً لا طبعاً فهو من فساد جوهر الانسانية وقولنا لا يكون غالبًا لان الكلام فيمن يصدر منه الاحسان لا في مطلق الانسان فلا يجمل بالمفلوك جعله رأس ماله لانه حينئذ يكون قدرضي بأقل الناس عدداً وأفسدهم جوهراً . وأما حب الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم فذلك يقتضي وضع المكارم في الناس على البدل والنوبة وتعميم العطاء للنظير والاعلى والادنى ويكتفي من الواحد بالشخص بالمرة والمرتين والثلاثة لان الغرض اقامة الحجة وبسط المعذرة فلا يحسن أيضاً بمفلوك التعلق بمحسن هذا غرضه لانه ماذا عسى أن يحصل من المرة والمرتين ولان العطاء العام قد لا يصادفه لان الاستدلال بالاعم على الاخص ممتنع . وأما جذب القلوب الى الطاعة والمحبة والاستسخار فهو أيضاً مما لا يوصل مفلوكا الى غاية ولا الى مطلب يؤبه له وقصاراه ان يوصله الي مبادئ الخير لان الغرض اقامة الحجة عليه واستعباده وذلك يحصل بأدنى مرتبة يمكن استعباد مثله بها .وأما ازالة مذمة البخل ووضره ونفرته فلا يختص بافاضة الاحسان على المفاليك بل قد يحصل بتنعيم النفس واظهار بزتها وزينتها وبالبسط على العيال وضيافة النظير او المساوى في المنزلة . وأما ازاحة رقة الجنسية فتستدعى حالا غير مرضية تستنزل بها الرحمة زيادة على الفلاكة اذ الفلاكة الدائمة تعتاد وتؤلف فيضعف كونها طريقاً للرحمة وتلك الحال الزائدة تربو على الاحسان مرارها اضعافاً مضاعفة ثم ان رقة الجنسية من أمور الآخرة وفيه من البحث ما تقدم ولذلك كانت ازالة حب الدنيا عن القلب من أمور الآخرة وفيه من البحث ما تقدم — واذن تقرر ان الناس لا يبذلون منافعهم واموالهم بغير غرض بل لا بد لهم من غرض اما عاجل أو آجل والمفلوك تمنعه الفلاكة عن المكافأة على الاحسان باحسان مثله وتمنعه أيضاً من الاخافة والأمور التى مرجعها الآخرة لا تبقى ويكتفى ببعض اعمال الخير البدنية عنها وغيرها لا يخص مفلوكا بعينه ولا يوصله الى غاية يؤبه لها ثم ان ماسوي رقة الجنسية أمور راجعة الى الباذل وحده فلا بد في المفلوك من تحريك بواعث الناس بأمر يرجع نفعه اليهم ويكون وصفاً للمفلوك نفسه ويدخل تحت قدرته دائماً لتبقى داعية الاحسان متحركة دائماً لا تسكن

Digitized by Google

لقدرة المفلوك على تحريكها كل وقت — فبخضوعه وتملقه تظهر سيادتهم وعزهم ويؤمن كبر المفلوك عليهم وتيهه وصلفه باسعافهم بمراده وببسط اعذارهم يأمنون حقده فيعاودون الاحسان اليه وان سلقوه اساءة وأذى لان الاساءة طبيعية للبشر للقوة الغضبية ولما ان فى القلب ميلاً للاخلاق السبعية ولان فى النفوس محاكاة فى الشر ولان دخول الشر تحت القدرة أكثر من دخول الخير كالصدقة والعداوة والبناء والهدم والمفلوك مظنة للاساءة اليه لوجود المقتضى وانتفاء المانع فلا بد ان تعمل الطبيعة فيه عملها ولا دواء لهذا الداء الا بسط الاعذار قال ابو الجوائز الواسطى

دع الناس طراً واصرف الود عنهم * اذا كنت فى أخلاقهم لا تسامح
فشيئان معدومان فى الارض درهم * حلال وخل في الحقيقة ناصح

وقال بشار بن برد

اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وبالمبالغة فى الاعتذار اليهم يتجاوز عن تقصيره وقصوره وعجزه اللوازم للفلاكة لان للاغنياء شوافع من غناهم عن ذنوبهم قد تغنيهم عن الاعتذار بخلاف المفاليك وباظهار حبهم ومناصحتهم يجدون فيه روحاً ونفعاً راجعاً اليهم فيكون اسعافهم له بمراده من لوازم سيادتهم وراجع بالآخرة اليهم ولكون هذه الامور اكثر افضاء بالمفاليك الى مقاصدهم تجد الاسافل ترتفع على الاعالى كثيراً لان نفوس الادنياء لا تأنف من الخضوع والتملق بخلاف الاعالى وقلما تخلو دولة من ذلك والسبب فيه ان الدولة اذا انقرضت وجاءت دولة اخرى فأصحاب الدولة الاولى يكونون فى نهاية سعادتهم ففيهم شمم وأنفة ومطالبة لصاحب الدولة الجديدة بحقوق لم يعطوه عليها ثمناً بل هى مما أوجبها خدمتهم فى الدولة الاولى والوقت سيف والحكم للوقت ولصاحب الدولة الجديدة نصحاء ومتملقون وان سفلت بهم المرتبة وسياسة الملك تقتضى تقديم من فى تقديمه نظامه وأبهته لاجرم ترتفع الاسافل على الاعالى كثيراً — اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ياخالق الاسباب والمسببات والدواعي والبواعث والعزمات لا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا وأشهدنا عظيم رحمتك حتى لا نرجو أحداً سواك وتجل علينا ببالغ قدرتك حتى

Digitized by Google

لا نخاف احداً غيرك اللهم انك تعلم ان الخضوع لغيرك والتملق لسواك فوق صبري وقاطع لظهري لا يبلغه وسعي و يضيق عنه ذرعي فأغنني بك عما سواك يا رب العالمين آمين آمين

الفصل العاشر

(في تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم ولم يحظوا منها بطائل)

واقدم قبل الشروع في ذلك مقدمة — قال القاضي عياض في أخر و يات الشفاء ما ملخصه ان من استشهد بأحوال الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم في الدنيا علي طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو على التشبه بهم عند هضمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي والتحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه أوالهزل او اعلاء في وصف كقول القائل ان كذبت فقد كذب الانبياء أو صبرت فقد صبر أولو العزم وكقول القائل

فرّ من الخلد فاستجار بنا * فصبر الله قلب رضوان

فحقه ان دريء عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومألوف عادته وقرينة كلامه أو خلاف ذلك لان كلامه وان لم يتضمن سباً ولا غضاً فما وقر النبوة ولا أعطاها حقها — وقال أيضاً في ايراده حكاية ما ملخصه ان حكاية الاقوال الغير السديدة تدور بين الوجوب والاستحباب والمنع فقد أجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوهاللناس و ينقضوا شبهها عليهم وحكى الله مقالات المفترين في كتابه على وجه الانكار والوعيد عليها وكذلك الحكاية على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير عنه والتجريح له فهذا دائر بين الوجوب والندب وأما حكاية سبه صلى الله عليه وسلم والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار ومضاحك المجان ونوادر السخفاء فكل ذلك ممنوع و بعضه أشد في المنع فما كان عن غير قصد أو غير عادة ولم يكن من البشاعة حيث هو ولم يظهر استحسانه زجر ونهي عن العود اليه وان قوّم ببعض الادب

Digitized by Google

فهو مستوجب له وان اتهم انه اختلقه أو كانت تلك عادة له أو أظهر استحسانه لذلك أوكان مولعاً بالتحفظ لمثله قتل — ثم قال وقد أسقطوا من احاديث المغازى والسير ما هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء يسيرة ذكروها غير مستبشعة ليروا نقمة الله من قائلها وأخذه المفتري عليه بذنبه انتهى ملخصاً فخرج من كلامه ان ذكر الاحوال المدخولة حكاية كان او استشهادا والانكار والتعريف والرد وتبيين ماالله فى ذلك الفعل من الحكمة فى الحكاية — وانما قدمت هذه المقدمة لانا سنذكر تراجم العلماء الذين زوى الله عنهم الدنيا فى مساق الفلاكة فقد يقول من شم طرفا من الفقه ان ذكر العلماء في مساق الفلاكة غض من قدر العلم وتهاون بحرمته — والجواب عن هذا التوهم أما أولاً فما قاله القاضى على ماقررناه فى كلامه على ان ماقاله القاضى عياض رحمه الله من التفصيل انما هو فى الله تعالى وملائكته وانبيائه — وأما ثانياً فلا نسلم مجئ مثل هذا التفصيل فى الحكاية عن العلماء ولو سلم مجيئه فى العلماء فلا نسلم مجيئه فى التراجم لان أوصاف الكمال وأوصاف غير الكمال كل واحد منهما يشعر وصفه ونسبته الى الشخص بانتقال لآخر عنه ورفعه فلو اقتصر فى التراجم على احدهما لكان تلبيساً وتدليساً واغراء وحملاً على الجهل وهذا ان لم يعين أو يرجح ذكر الترجمة بطرفيها فلا أقل من أن يقتضى عدم المنع من ذكرها بطرفيها — وقد يقال لاحاجة بنا الى هذا البحث لان لفظ الفلاكة والمفلوك مجتنب فى هذا الفصل الا نادراً وانما نذكر فيه تراجم العلماء ناقلين لها من المصنفات المعتمدة من غير اطلاق لفلاكة او مفلوك على احد والعهدة فى المنقول على المؤرخين والعذر فى اتباعهم في نقله انه لم تزل العلماء والمؤرخون يذكرون ذلك املاء وتصنيفاً شائماً ذائماً من غير نكير فكان اجماعاً من السلف على جوازه وقد تقدم كلام القاضى فى جواز الحكاية على جهة التعريف أو التنفير وتقدم أيضاً ما قلناه على سبيل البحث من ان فى ذكره أمناً من التدليس والتجهيل — وأما الاعتذار عن ايراد الفلاكة والمفلوك على الندور فهو أنا نقول الفلاكة وان أشعرت بتنقيص الا انا نذكرها في هذا الفصل معراة عن معنى التنقيص والكلمات كثيراً ماتكون حاملة لمعنيين فتعرى من أحدهما مجازاً وهذا فى الكشاف فى مواضع فمنه ماذكر فى سورة الاعراف ان واو

Digitized by Google

الحال هي واو العطف استعيرت لمجرد الوصل وعلى الجملة فاستعمال الكل فى الجزء مجاز شائع — أو تقول المراد بالفلاكة المذكورة في هذا الفصل وقوع ما الاولى خلافه واللغة اصطلاحية على قول والالفاظ التى يدور عليها معنى في تصنيف كالخبن والطى فى العروض اصطلاحية اتفاقاً فقد سقط بهـذا التقرير اعتراض من يدلع لسانه كالكلب مجادلا بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير. اللهم عياذاً بك ممن قصر فى العلم والدين باعه وطال فى الجهل وأذى عبادك ذراعه فقد اتخذ بطر الحق وغمص الناس سلماً الى مايحبه و يرضاه ولا يعرف من المعروف ولا ينكر من المنكر الا مايشتهيه و يأباه ولياذاً بك ممن جعل الملامة بضاعته والعذل نصيحته يجعل عداوته وأذاه حذاراً واشفاقاً وتنفيره وتخذيله اسعافاً وارفاقا متى برّز على الجهال بأصغريه ظن انه قد زاحم العلماء بركبتيه — اذاتقرر ذلك فاعلم ان الفلاكة على ضربين احدهما فلاكة مالية ونعنى بها كون الشخص غير محظوظ فى أمور الدنيا المالية على ما قررناه فى الفصل الاول أو وقوع ما الاولى خلافه فى الامور المالية على ما قررناه في هذا الفصـل — والثاني فلاكة معنوية ونعنى بها الاوصاف المخالفة لمحـاسن الطبيعة أو لمحاسن الشريعة من الافعال المحرمة او الافعال المكروهة والاخلاق القبيحة المـذمومة — واذا عرفت انقسام الفلاكة الى هـذين القسمين مالية ومعنوية اتضح لك مناسبة التراجم الآتية فى هـذا الفصل لمقصود الفصـل — وهذا حين الشروع . وانا ننقل فيها الفاظ المترجمين بحروفها من غـير تصرف فيها لتكون العهدة عليهم في ذلك والله المستعان

القاضى عبد الوهاب

ابن على بن نصر المـالكى كان بقية الناس . ولسان اصحاب القياس . ونبت به بغـداد على عادة البلاد بذوى فضلها وعلى حكم الايام فى محبا فعلها فخرج وخلع اهلها و ودع ماءها وظلها فلما فصل عنها شيعه من اكابرها واصحاب محابرها جملة موفورة وطائفة كثيرة فقال لهم لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين في كل غداة ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية وفى ذلك يقول

سلام على بغداد في كل موطن ❊ وحق لها منى سلام مضاعف

Digitized by Google

فوالله ما فارقتها عن قلى لهـا * وانى بشطى جانبيها لعارف
ولكنهـا ضاقت عليّ بأسرها * ولم تكن الارزاق فيها تساعف
وكانت كخل كنت اهوى دنوّه * وأخلاقه تنـأى به وتخالف

ثم توجه الى مصر فحمل لواءها وملأ ارضها وسماءها وتناهت اليه الغرائب وانثالت عليه الرغائب فمـات فى أول ما وصلها من اكلة اشتهاها فأكلها زعموا انه قال وهو يتقلب ونفسه تتصعد لا إله الا الله لما عشنا متنا توفى سنة ٤٢٢

(ابن مالك)

ابو عبدالله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الاندلسى الجيانى الملقب جمال الدين صاحب التصانيف المبسوطة والمختصرة والنظم والنثر شيخ النحاة فى عصره والامام فى اللغة كان كثير الاشغال والاشتغال حتى انه حفظ فى اليوم الذى مات فيه خمسة شواهد قال شارح التنبيه الشيخ ابو جعفر رفيق الأعمى نزيل حلب فى ترجمته اول الشرح خرج من الدنيا ولم يتعلق بأعراضها ولا قرطس سهمه في اغراضها -- قلت لقد احسن الشيخ ابو جعفر رحمه الله العبارة عن الفلاكة فان قوله خرج من الدنيا الي آخره هو والفلاكة عبارتان عن معنى واحد توفي رحمه الله سنة ٦٧٢

(النضر بن شميل)

الشاعر التميمى المازنى النحوى البصرى عالم بفنون من العـلم صاحب غريب الحديث والشعر وهو من اصحاب الخليل خرج النضر يريد خراسان لما ضاقت عليـه البصرة بالمعيشة فشيعه من اهل البصرة نحو ثلاثة آلاف رجل مافيهم الا محدث أو لغوى أو عروضى او اخبارى فقال يا اهل البصرة يعز علىّ فراقكم ولو وجدت كيلجة باقلى مافارقتكم فلم يكن فيهم احد يتكلف ذلك ودخل على المأمون فى ثوب مرقوع فقال له يا نضر ما هـذا التقشف فقال شيخ ضعيف وحر شديد فأتبرد بهـذه الخلقان قال لا ولكنك قشف ثم تجاذبا الاحاديث الى ان ادى بهما الحديث الى السداد بمعنى البلغة وسد الثلمة فأورده المأمون بفتح السين فرده النضر عليه وبـين له ان المفتوح انما هو

Digitized by Google

القصد لا البلغة فأمر له عند انصرافه بخمسين الف درهم يقبضها من الفضل بن سهل فصرفها له ثمانين الف درهم عند وقوفه على سبب الصرف وتوفي بمرو سنة ٢٠٤

(الاخفش الصغير)

هو علي بن سليمان النحوي كان اماما في اللغة والادب وهو غير الاخفش الكبير لانه أبو الخطاب عبد الحميد والاخفش الاوسط لانه سعيد بن مسعدة أبو سعيد كان الاخفش الصغير يلازم المقام عند أبي علي بن مقلة وأبو علي يراعيه ويبره فشكا اليه في بعض الايام ما هو فيه من شدة الفاقة وزيادة الاضاقة وسأله أن يعلم الوزير أبا الحسن علي بن عيسى ويسأله له اقرار رزق من جملة من يرتزق من أمثاله ففعل فانتهره الوزير انتهاراً شديداً وكان ذلك في مجلس حافل فشق على ابن مقلة ذلك ثم وقف الاخفش على صورة الحال فاغتم لها وانتهت به الحال الى أن أكل السلجم النيء فقيل انه قبض على فؤاده فمات منه فجأة سنة ٣١٥

(التلعفرى)

محمد بن يوسف بن مسعود الاديب البارع شهاب الدين أبو عبد الله التلعفرى الشاعر المشهور اشتهر ذكره وشاع شعره وكان خليعاً معاشراً وامتحن بالقمار وكلما أعطاه الملك الاشرف شيئاً يقامر به فطرده الى حلب فمدح بها صاحبها العزيز فأحسن اليه وقرر له رسوماً فسلك معه مسلك الملك الاشرف فنادي في حلب أن من قامر مع الشهاب قطعنا يده فامتنع الناس من اللعب معه فضاقت عليه الارض وترك الخدمة وجاء الى دمشق ولم يزل يستجدى بها و يقامر حتى بقي فى اتون (١) من الفقر ثم نادم في الا خر صاحب حماه و بها مات سنة خمس وسبعين وستمائة

(الترمذى)

محمد بن أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذي الشافعى لم يكن للشافعية فى وقته أرأس منه ولا أورع وكان من التقلل على حال عظيم أخبر انه تقوت في سبعة عشر يوما

---

(١) الاتون بفتح الهمزة وتشديد التاء المضمومة وقد تخفف اخدود الخيار والجصاص ونحوهما اه

Digitized by Google

بخمس حبات أو قال ثلاث حبات قيل له كيف عملت قال لم يكن عندى غيرها فاشتريت بها لفتاً فكنت آكل منه كل يوم واحدة توفى سنة خمس وتسعين ومائتين وقد اختلط فى آخر عمره

(يحيي بن علي)

ابن محمد بن الحسن بن بسطام أبو زكريا الخطيب التبريزى الشيبانى امام اللغة والنحو تخرج عليه خلق كثير شرح الحماسة والمتنبي والمعلقات وغير ذلك وكانت حصلت له نسخة من التهذيب فى اللغة للازهرى في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن عالم باللغة فدل على أبي العلاء المعرّى فجعل الكتاب فى مخلاة وحملها على كتفه من تبريز الي المعرة ولم يكن له ما يستاجر به مركوباً فنفذ العرق من ظهره اليها فأثرفيها البلل وهى ببعض الوقوف ببغداد واذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن انها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب ومن شعره

فمن يسأم من الاسفار يوماً * فاني قد سئمت من المقام
أقمنا بالعراق على رجال * لئام ينتمون الى لئام

توفي فجأة في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة

(الابيوردي)

أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الابيوردى اشتغل فى الفقه على أبي حامد وبرع فيه قال الخطيب فى تاريخه كان شاعراً فصيحاً حسن الاعتقاد متجملاً فى فاقة يقال انه مكث سنتين لا يقدر على جبة يلبسها فى الشتاء ويقول لاصحابه بى علة تمنعنى لبس المحشو . توفي فى جمادي الآخرة سنة خمس وعشرين وأربعمائة — قلت ما احسن قوله بي علة تمنعني لبس المحشو فانه من الايهام والتورية والعلة هى علة الفلاكة شفانا الله منها

(الشنتريني)

عبد الله بن صارة أو سارة الشاعر المشهور كان شاعراً ناثرا ناظماً ماهرا الا انه كان

قليل الحظ ومن الحرمان لم يسعه مكان ولا اشتمل على سلطان كان يبيع المحقرات و بعد جهد ارتقى الى كتابة بعض الولاة فلما كان من خلع الملوك ما كان أتى الى اشبيلية أسود حالا من الليل وأكثر انفرادا من سهيل وتبلغ من الوراقة فانتحلها في كساد سوقها وخلو طريقها وفيها يقول

اما الوراقة فهى أنكر حرفة ٭ أوراقها وثمارها الحرمان

شبهت صاحبها بحالة ابرة ٭ تكسو العراة وجسمها عريان

توفي سنة ٥١٧

(العز)

حسين بن محمد الشاعر الضرير الاربلى تلميذ أفضل الدين الخانجى كان الشاعر المذكور بصيراً بالعربية رأساً فى العقليات كلها الا انه كان فيلسوفاً رافضياً تاركاً للصلاة رث الهيئة زرى الشكل قبيح المنظر يصدر منه ما يشعر بفساد العقيدة والانحلال وابتلي مع العمى بطلوعات وقروح وكان قذرا لا يتوقى النجاسات يهين الاكابر اذا حضر مجلسهم ولا يعتنى بهم ومع ذلك كان له هيبة وحرمة . توفى سنة ٦٦٠

(يحيي او محمد او عمر)

ابن حبش الملقب شهاب الدين السهروردي أبو الفتوح المعروف بالشهاب المقتول كان أوحد زمانه فى الفلسفة والحكمة مفرط الذكاء حسن العبارة وله تصانيف منها الهيا كل والتلويحات والرقم القدسى فى تفسير القرآن على رأى الاوائل واللمحات فى المنطق ورد الى حلب واجتمع بالملك الظاهر غازى فأعجبه كلامه فمال اليه فكتب أهل حلب الى السلطان صلاح الدين ادرك ولدك والا تلف فكتب السلطان الى الظاهر بابعاده عنه ثم كتب اليه بقتله كان دنيء الهمة زرى الخلقة دنس الثياب وسخ البدن لا يغسل له ثوباً ولا جسما ولا يداً من زهومة ولا يقص ظفرا ولا شعراً وكان القمل يتناثر على وجهه و يسعى على ثيابه. توفى سنة ست وثمانين وخمسمائة

Digitized by Google

(الحافظ عبد الغني)

ابن عبد الواحد أبو محمد المقدسي أنزله الشيخ عبد القادر هو ورفيقه الشيخ موفق الدين بمدرسته وما كان يمكن احدا من النزول فيها لما تفرس فيهما من الخير والصلاح كان امام وقته في الحديث رواية ودراية وصنف الكتب الحسان منها نهاية المراد في كلام خير العباد نحواً من مئتي جزء — ومحنه كثيرة. منها انه لما دخل أصفهان وقف على كتاب أبي نعيم الحافظ في معرفة الصحابة فأخذ عليه في مائة وتسعين موضعا فطلبوه من الخجندي ليقتلوه فاختفى وخرج من أصفهان في ازار — ومنها انه لما عاد الى أصفهان دخل الموصل فقرأ كتاب الجرح والتعديل للعقيلي وذكر فيه أبا حنيفة وجرحه فثار عليه أصحاب أبي حنيفة وحبسوه ولولا البرهان بن البرقي الواعظ خلصه لقتلوه — ومنها لما قدم دمشق من الموصل كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة بحلقة الحنابلة ويجتمع الناس اليه وحصل له قبول فكان سريع الدمعة فحسده الدماشقة ودخلوا عليه بطريق الناصح الحنبلي فحسنوا له ان يعظ بعد الصلاة تحت النسر فشوش على الحافظ فصار الحافظ يقعد بعد العصر فذكر عقيدته على الكرسي فاتفق محيي الدين بن زكي الدين والخطيب الدولعي وجماعة من الدماشقة وصعدوا الى القلعة وواليها صارم الدين برغش فقالوا هذا قد أضل الناس ويقول بالتشبيه فعقدوا له مجلساً وأحضروه وناظرهم فأخذوا عليه مواضع وارتفعت الاصوات فقال صارم الدين كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق قال نعم فأمر الاسارى فنزلوا الى جامع دمشق فكسروا منبر الحافظ وما كان في حلقة الحنابلة من الدرابزينات ومنعوهم من الصلاة ففاتتهم صلاة الظهر ثم سافر الحافظ الى مصر ونزل عند الطحانين وصار يقرأ الحديث وكان الملك العزيز في الصيد فأفتى فقهاء مصر باباحة دمه وبعثوا بالفتوى الي العزيز فقال اذا رجعنا أخرجناه فاتفق انه وقع عن فرسه واشتغل بنفسه ومات وجاء الأفضل الى مصر ولما دخل العادل مصر ومعه وزيره ابن شكر نقل اليه ما نقل الي العزيز فعرف بزهده وفضله فأكرمه عند الدخول اليه وأقام الحافظ في مسجد المصنع يذكر الحديث فكتب أهل مصر الي ابن شكر يقولون قد أفسد عقائد الناس ويذكر التجسيم على رؤوس

Digitized by Google

الاشهاد فكتب الى والى مصر بنفيه الي المغرب فحدث الشيخ تاج الدين الكندي ان الوزير طلبه ليكتب بنفيه وكان الحافظ قد توفى فقال للكاتب اكتب بنفيه الى المغرب ولم يكن علم بموته فقلت ما تحتاجون تنفونه هو قد نما كم فقال ابن شكر وكيف قلت الساعة اخبرني شخص بموته فوجم ابن شكر ساعة كأنه ندم . وكانت وفاته في الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة ستمائة

(محمد بن عبد الرزاق)

ابن رزق بن أبي بكر العدل العالم شمس الدين بن محمد المحدث الرسعنى الحنبلى كان من أعيان الشهود تحت الساعات ومن شعره

ولو ان انساناً يبالغ لوعتى * ووجدى وأشجانى الى ذلك الرشا
لاسكنته عينى ولم أرضها له * ولولا لهيب القلب أسكنته الحشا

سافر الى مصر فى شهادة ثم عاد على حمار فسرق حماره وما عليه فى الطريق فرجع الى القاهرة شاكياً فلم يحصل له مقصود فخرج متوجهاً الي دمشق فأتى ليسقى فرسه بالشريعة فغرق ولم يظهر له خبر . توفى سنه ٦٨٩

(الخليل)

ابن أحمد بن عمرو الفراهيدي الازدى كان اماماً في علم النحو وهو الذى استنبط العروض وعنه أخذ سيبويه وغيره كان متقللا من الدنيا صبوراً على العيش الخشن الضيق وكان يقول لا يجاوز همى ما وراء بابى كان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الازدى وكان والى فارس والاهواز فكتب اليه يستدعيه فكتب الخليل جوابه

ابلغ سليمان انى عنه فى سعة * وفى غنى غير انى لست ذا مال
سخا بنفسي انى لا أرى أحداً * يموت هزلاً ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه * ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر فى النفس لا فى المال نعرفه * ومثل ذاك الغنى فى النفس لا المال

Digitized by Google

فقطع عنه سليمان الراتب فأنشد بيتين فى ذلك فأعاد راتبه قال تلميذه النضر بن شميل أقام الخليل فى خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكتسبون بعلمه الاموال كان اذا قدم عليه سيبويه يقول مرحباً بزائر لا يمل . توفى سنة ١٧٠

(أبو الطيب الطبرى)

طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر أبو الطيب الطبرى شيخ الشافعية أخذ عن أبى حامد الاسفراينى وأبى الحسن الماسرجسى وصنف فى الاصول والجدل وغير ذلك كان له ولاخيه عمامة وقميص اذا لبسهما هذا جلس الآخر في البيت وقد قال فى ذلك القاضي أبو الطيب

قوم اذا غسلوا ثياب جمالهم ☆ لبسوا البيوت الى فراغ الغاسل

بلغ مائة وستين سنة صحيح العقل والفهم والاعضاء يفتي ويقضي ويشتغل. توفى سنة ٤٥٠

« أبو عثمان »

ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ أخذ عنه مالك بن أنس رضى الله عنه قال بكر ابن عبد الله الصنعانى أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأى فكنا نستزيده فى حديث ربيعة فقال لنا ذات يوم ما تصنعون بربيعة ها هو نائم فى ذلك الطاق فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا له أنت ربيعة قال نعم قلنا أنت الذى يحدث عنك مالك بن أنس قال نعم فقلنا كيف حظى مالك بك وأنت لم تحظ بنفسك قال أما علمتم ان مثقالا من دولة خير من حمل علم . توفى سنة ١٣٦

« المازنى »

أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازنى البصرى كان امام عصره في النحو والادب وكان في غاية الورع ومما رواه المبرد أن بعض أهل الذمة قصده ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار في تدريسه فامتنع ابو عثمان من ذلك فقال له المبرد أترد هذه المنفعة مع فاقتك وشدة اضاقتك فقال ان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة وكذا كذا آية من كتاب الله ولست أرى ان أمكن ذمياً منها غيرة على كتاب الله

Digitized by Google

تعالى فاتفق ان غنت جارية بحضور الواثق بقول العرجي

* أظلوم ان مصابكم رجلا *

واختلف من بالحضرة في رفع رجل ونصبه فأشخصه الواثق لاعراب البيت فلما أعربه أمر له بألف دينار. توفي سنة ٢٤٩ وموضع الاستشهاد قول المبرد أترد هذه المنفعة مع فاقتك وشدة اضاقتك ولا يقال كان زاهداً بدليل قول المترجمين له انه كان شديد الورع لان الورع لا يستلزم الزهد بدليل قبوله الالف الموهوب له لان الفاقة الدائمة يلزمها حوائج مجتمعة ومصارف مؤخرة لا تفي بها الالف ولا ما فوقها والدنانير انما هي دنانير بغداد وهي دراهم في الحقيقة

« السيرافي »

أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي شرح كتاب سيبويه وصنف عدة تصانيف كان نزهاً عفيفاً حسن الاخلاق وكان معتزلياً ولم يظهر منه شيء وكان لا يأكل الا من كسب يده ينسخ ويأكل. توفى سنة ٣٦٨

« نجم الدين »

ابن أخي قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان كان فقيهاً فاضلا وولي القضاء ببعض البلاد الشامية وكان مهوساً بالحكمة ويقول عن نفسه أنا حكيم الزمان فانقطع رزقه بهذا السبب ومقت ونسبوه الى انحلال العقيدة فسافر الى الديار المصرية وقعد مع الشهود حتى مات سنة ٧٦٢

« الانماطي »

اسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الحافظ البارع تقي الدين أبو الطاهر ابن الانماطي المصرى الشافعي كان اماماً ثقة حافظاً مبرزاً فصيحاً واسع الرواية ناظماً ناثراً بعيد الشبيه معدوم النظير الا انه كان كثير الدعابة مع المرد . مات سنة ٦١٩

« بدر الدين بن مالك »

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك كان نحوياً عارفاً بعلم البيان

Digitized by Google

والعروض والاصول والمنطق ذكياً الا انه ينسب الى لعب ومعاشرة من لا تليق معاشرته . توفى سنة ٦٨٦

« العفيف التلمساني »

سليمان بن على بن عبد الله الاديب البارع كان حسن العشرة كريم الاخلاق ذا وجاهة وخدم فى عدة جهات من المكس كان يتهم بالخمر والفسق والقيادة كما قاله فى الجزء السابع من دول الاسلام مختصر تاريخ الاسلام لعلى بن خلف بن كامل الغزي الشافعي قال الشيخ قطب الدين رأيت جماعة ينسبونه الى رقة الدين والميل الى مذهب النصيرية وحكى تلميذه البرهان بن الفاشوشة قال رأيت ابنه فى مكان بين ركبدارية وذا يكبس رجليه وذا يبوسه فتألمت لذلك وانقبضت ودخلت الى الشيخ وأنا كذلك فقال مالك فأخبرته بالحال الذي وجدت عليه ابنه محمدا فقال أفرأيته في تلك الحالة منقبضاً حزيناً فقلت سبحان الله كيف يكون ذلك بل كان أسر ما يكون فهوّن الشيخ عليّ وقال لا تحزن انت اذا كان هو مسروراً فعرفت قدر الشيخ وسعيه قال الذهبي هذا هو الشيخ الذي لا يستحي الله من عذابه . توفى سنة ٦٩٠

« الحريرى »

على بن أبي الحسن بن منصور أبو الحسن وأبو محمد مقدم الطائفة الحريرية صاحب الزاوية كان له مكاشفات وكرامات وكان عنده من القيام بواجب الشريعة كما قاله الشيخ شهاب الدين ابو شامة ما لم يقم به أحد من المتشرعين ظاهراً وباطناً ومن اقامة شرائع الحقيقة ما لم يكن عند احد فى عصره من المحافظة على محبة الله وذكره والدعاء اليه والمعرفة به واكثر الناس يغلطون فى امره الظاهر وفى امره الباطن صحب الشيخ أبا على المغربل خادم الشيخ رسلان كان يلبس الطويل والقصير والمدور والمفرج ولابيض والاسود والعمامة والمئزر والقلنسوة وثوب المرأة والمطرز والملون ولما حبس سأله أصحابه ان يسأل ويتشفع فلم يفعل فلما اقام في الحبس اربع سنين زاد سؤالهم فأمرهم ان يكتبوا قصة فيها من الخلق الضعيف الى الراي الشريف ممن هو

Digitized by Google

ذنب كله الي من هو عفو كله سبب هذه المكاتبة الضعف عن المعاتبة « اصغر خـدم الفقراء على الحريرى »

فقير ولكن من صلاح ومن تقى * وشـيخ ولكن في الفسوق امام

فسعوا في القصة وارادوا ان تصل الي السلطان فما قرأ احـد من الدولة القصة الا ورمي بها فبلغه ذلك فاحتـد وقال ما قلت لكم ألم أنهكم عن السعى واقام بالحبس ست سنين وسبعة اشهر كان يعاشر الاحداث و يصحبهم و يقيمون عنده ولم يكن عنده مراقبة ولا مبالاة بل يدخـل مع الصبيان الاحـداث و يعتمد معهم ما يسمونه تخريباً وكان له قبول عظيم لا سيما عند الاحـداث فانه كان اذا وقع نظره عـلى احد من الاحداث مال اليه بحيث لا ينتفع اهله به . توفي سنة ٦٤٥

« القطب الشيرازي »

قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشـيرازى كان امام عصره في المعقولات وفي غاية الذكاء وله التلاميذ الكثيرة والتصانيف المشهورة منها شرح المختصر لابن الحاجب كان كريماً متطوحاً الا انه كان متهاوناً بالدين محباً للخمر ويجلس فى حلق المساخر كما قاله الاسنوى فى طبقاته ومع ذلك كان معظماً عند ملوك التتار فمن دونهم وهو تلميذ النصير الطوسى . توفي سنة ٧١٠

« ابن دريد »

محمـد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الازدى اللغوى البصري امام عصره فى اللغة والادب والشعر الفائق كان يشرب الخمر الى ان جاوز تسعين سنة قال ابن شاهين كنا ندخل على ابن دريد فنستحي مما نري من العيـدان المعلقة والشراب مصفى موضوعاً. توفي سنة ٣٢١

« يحيي بن اكثم »

ابن محمد التميمى المروزي احد أعلام الدنيا روى عنه الامام احمـد بن حنبل وغيره

Digitized by Google

وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه احد عنده من الناس جميعاً وكانت كتب يحيي في الفقه اجل كتب وتركها الناس لطولها وكان له كتب فى الاصول ايضاً وكان من ادهى الناس واخبرهم بالامور كان اذا رأى فقيهاً سأله عن الحديث او محدثاً سأله عن النحو او نحوياً سأله عن الكلام فيخجله و يقطعه كان ابن زيدان الكاتب يكتب بين يدي يحيي بن اكتم وكان غلاماً متناهى الجمال فقرص القاضى خده فخجل الغلام واستحيا وطرح القلم من يده فقال له خذ القلم واكتب فأملاه

ايا قمراً خمشته فتغضبا * واصبح لي من تيهه متجنبا
اذا كنت للتخميش والعض كارهاً * فكن ابداً يا سيدي متنقبا
ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة * وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مسكيناً وتفتن ناسكا * وتترك قاضى المسلمين معذبا

ولما تواتر النقل عن يحيي الى المأمون فى هذا المعنى اراد امتحانه فأغرى به مملوكاً فى غاية الجمال وذهب الى الخلاء ثم تجسس عليه فسمعه يقول له لولا انتم لكنا مؤمنين فدخل المأمون وهو ينشد بيتى ابن حكيمة راشد بن اسحاق الكاتب

وكنا نرجي ان نرى العدل ظاهرا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا و يصلح أهلها * وقاضى قضاة المسلمين يلوط

ذكر ذلك كله ابن خلكان فى تاريخه وذكره الحصرى فى كتابه الذي سماه زهر الآداب وتحامل عليه فى هذا المعنى بما لا يليق ذكره وذكر ولوع الشعراء به ومما انشده فيه قول الشاعر

يا ليت يحيي لم تلده اكتمه * ولا وطت ارض العراق قدمه
ألوط قاضى فى الانام نعلمه * أى دواة لم يلقها قدمه
واي جحر لم يلجه ارقمه

توفي سنة ٢٤٢

« محمد »

ابن علي بن يوسف بن هود الشيخ الزاهد الكبير بدر الدين ابو علي بن هود

Digitized by Google

المرسي احد الاجلاء فى التصوف ترك الحشمة وتغرب وصحب ابن سبعين واشتغل بالفلسفة والطب وترهات الاتحادية وزهديات التصوف وخلط هذا بهذا كان ذا هيبة وسكون وتلامذة علي رأسه قبعة وعلي جسده دلق وكان غارقاً فى الفكرة قليل الصلاة والذكر متواصل الاحزان حمل مرة الى والى البلد وهو سكران أخذوه من حارة اليهود وكان له مشاركات فى علوم شتى . توفى سنة ٦٩٩ بدمشق

« القاضي الرفيع »

عبد العزيز بن عبد الواحد بن اسماعيل قاضي قضاة دمشق رفيع الدين ابو حامد الشافعي كان فقيهاً فاضلا متكلماً مناظراً متفلسفاً رديء العقيدة مفتراً ثم ولى قضاء دمشق فى أيام صاحبها الملك الصالح اسماعيل ووزيره أمين الدولة السامرى فاتفق هو وامين الدولة في الباطن على المسلمين فكانت عنده شهود زور ومدعون زوراً تدعي وتشهد علي شخص بألف دينار فيأمره بالصلح قال ابو المظفر ابن الجوزى حدثنى جماعة من الاعيان انه كان فاسد العقيدة دهرياً مستهزئاً بامور الشريعة يجيء الي صلاة الجمعة سكران وان داره كانت مثل الحانة ثم أوقعت الدنيا بينه وبين الوزير فعذره السامرى وسعى به عند السلطان فاعتقل ببعلبك واستأصل ماله ثم نقل الي جبل لبنان وخنق هناك أو دفع من شاهق فوقع فمات سنة ٦٤٣

« البدر التستري »

بدر الدين محمد بن أسعد التسترى امام وقته في الاصلين والمنطق والحكمة وضع تعاليق علي البيضاوى والطوالع والمطالع متضمنة لنكت غريبة وان كانت عباراتها قلقة ركيكة وشرح كتب ابن سيناء كان مداوماً علي لعب الشطرنج رافضياً كثير الترك للصلاة قال الاسنوى ولهذا لم يكن عليه انوار اهل العلم ولاحسن هيئتهم مع ثروته الزائدة وحسن شكله . توفى بهمذان في نيف وثلاثين وسبعمائة

« أبو عبيدة »

اللغوى النحوى معمر بن المثنى لم يكن فى الارض خارجي ولا اجماعى اعلم بجميع

Digitized by Google

العلوم منه وكان الغريب يغلب عليه وأخبار العرب وايامها وكان يكسر الشعر ولا يقيم وزنه واذا قرأ او حدث لحن اعتماداً منه وكان وسخاً الثغ مدخول النسب هجاء يميل الى مذهب الخوارج لا تقبل له شهادة عند احد من الحكام لانه كان يتهم بالميل الى الغلمان قال الاصمعي دخلت انا وأبو عبيدة يوماً المسجد فاذا على الاسطوانة التي يجلس اليها ابو عبيدة

صلى الاله على لوط وشيعته * ابا عبيدة قل بالله امينا

فقال لي يا اصمعي امح هذا فركبت ظهره ومحوته بعد ان أثقلته فقال أثقلتني وقطعت ظهري فقلت لقد بقيت الطاء فقال هي شر حروف البيت وكان الكاتب لها ابا نواس و بعد البيت

فأنت عندي بلا شك بقيتهم * منذ احتلمت وقد جاوزت تسعينا

توفي سنة ٢٠٩

« ابن هانئ »

ابو الحسن محمد بن هانئ الازدي الاندلسي الشاعر المشهور كان متهماً بمذهب الفلاسفة مشتهراً بحب الخمر أضافه شخص ببرقة فأقام عنده في المجلس الانس أيام فيقال انهم عربدوا عليه فقتلوه سنة ٣٦٢

« صاعد »

الربعي اللغوي البغدادي أبو العلاء صاحب كتاب الفصوص كان محسناً في السؤال حاذقاً في استخراج الاموال غير انه كان يتهم بالكذب في نقله فلهذا رفض الناس كتابه ولما ظهر للمنصور كذبه في النقل وعدم تثبته رمى كتاب الفصوص في النهر فقال فيه بعض شعراء عصره

قد غاص في البحر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص

فلما سمعه صاعد انشد

Digitized by Google

عاد الى عنصره انمـا * تخرج من قعر البحور الفصوص

توفي سنة ٤١٧ بصقلية

«ابن النحاس»

بهاء الدين محمد بن ابراهيم بن محمد الامام العلامة كان من أذكياء بنى آدم وله خبرة بالمنطق واقليدس مشهور بالدين والصدق مع اطراء التكلف والتجمل وصغر العمامة فيه ظرف النحاة وانبساطهم وكان يتحدث في تعليمه وخطابه بلغة عامة الحلسيين ولا يتقعر فى عبارته وأظنه لم يتزوج . توفي سنة ٦١٨

« أبو الحسن »

على بن صاعد الصدفى المنجم المعروف بابن يونس المصري المشهور صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس فى اربع مجلدات كبار كان ابن يونس المذكور أبله مغفلا يعتم على طرطور طويل ويجعل رداءه فوق العمامة وكان طويلا واذا ركب ضحك الناس منه لشهرته وسوء حاله ورثاثة لباسه وكان له مع هـذه الهيئة اصابة بليغة غريبـة في النجامة لايشاركه فيها غيره وكان احد الشهود ومتفنناً فى علوم كثيرة دخل مرة على الحاكم العبيدى صاحب مصر ومداسه في يده فقبل الارض وجلس والمداس الى جانبه والحاكم يراها وهو بالقرب منه ولمـا انصرف قبـل الارض ولبسها وانصرف . توفى سنة ٣٩٩

« التاج المراكشي »

تاج الدين محمد بن ابراهيم بن يوسف المراكشى حصل علوماً عـديدة اكثرها بالسماع لانه كان ضعيف البصر مقاربًا للعمى كان ذكياً عجولا محتقراً للناس كثـير الوقيعة فيهم ولهذا عمل عليه قاضى القضاة جـلال الدين القزويني حتي أخرجه من مصر الى دمشق مرسماً عليه. توفى فجأة سنة ٧٥٢

« العلم الاصفوني »

عـلم الدين احمد بن محمد بن عبد العليم المعروف بالاصفونى كان رجلا

Digitized by Google

فاضلا مشاركا في علوم متعددة مشاركة جيدة لكنه كان شرس الاخلاق مائلا الى الحسد لاتدوم له صحبة مع احد لا سيما من يري اقبال الناس عليه من اهل العلم. توفي سنة ٧٤٩

« الفخر الفارسى »

الفيرزابادى نزيل مصر الشافعي الصوفى المحقق المحدث له مصنفات كثيرة منها كتاب مطية النقل وعطية العقل والاصول والكلام وغير ذلك كان فاضلا بارعاً فصيحاً بليغاً متكلماً ذا معاملات ورياضات ومقامات الا انه كان بذئ اللسان كثير الوقيعة فى الناس لمن عرف ومن لم يعرف كثير الجراءة لا يفكر فيما يقول وعنده دعابة فى غالب الوقت كذا قاله عمر بن الحاجب وابن بعطة فيما نقله عنهما عماد الدين ابن كثير في طبقاته . توفي سنة ٦٢٢

« الشيخ خضر الكردى »

شيخ الملك الظاهر كاشف السلطان فى أشياء كثيرة أصاب فيها وكان حظياً عنده وله المكانة الرفيعة لديه ينزل السلطان اليه فى كل اسبوع مرة او مرتين وبنى له جامعاً شهد عليه عند السلطان بالزنا واللواط وشرب الخمر وكان السلطان قد قدمت له هدية من صاحب اليمن من جملتها كر نفيس فأعطاه السلطان للشيخ خضر فدفعه لامرأة وزنى بها وأحضروها وأحضروا الكر بين يدى السلطان .توفى سنة ٦٧١

«ابن الخشاب»

أبو محمد عبد الله بن احمد المعروف بابن الخشاب البغدادى العالم المشهور فى الادب والنحو والتفسير والحديث والنسب والفرائض والحساب له فى العلوم اليد الطولى كان فيه(١) بذاذة وقلة اكتراث بالمأكل والملابس زاد الحافظ الذهبى ناقلا له عن ابن النجار وجمال الدين القفطي انه كان بخيلا وسخا قذراً تبقي عمامته على رأسه حتى تتقطع مما يلى رأسه من الوسخ ويرمي عليها العصافير ذرقها فيتركه على حاله ولم يتزوج

---

(١) البذاءة سوء الحال وبذاالهيئة وبذهارتها اه من القاموس

Digitized by Google

قط ولا تسرى وكان يستقى بجرة مكسورة ويلعب بالشطرنج حيثما وجده ويقف على المشعبذ واصحاب النرود ويستعير الكتاب فلا يعيده متعللا بضياعه بين كتبه وكان مزاحاً — وساق ابن النجار عنه من ذلك حكايات فمنها انه قرا عليه بعض المعلمين قول العجاج

اطرباً وأنت قنسرى ٭ وانما يأتى الصبا الصبي

فجعله الصبي بالياء فيهما فقال له هذا عندك في المكتب فاستحى — ومنها انه سأله بعض تلامذته فقال القفا يمد أو يقصر فقال يمد ثم يقصر — ومنها انه سأل بعض تلامذته ما بك فقال فؤادي يوجعني فقال لو لم تهمزه ماوجعك . توفى سنة ٥٦٧

« ابن برى »

ابو محمد عبد الله ابن أبي الوحش بن برى المقدسى الامام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية كان علامة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره وله على كتاب الصحاح للجوهري حواش فائقة استدرك فيها عليه مواضع كان عارفاً بكتاب سيبويه وكانت فيه غفلة ولا يتكلف في كلامه ولا يتقيد بالاعراب بل يسترسل فى حديثه كيفما اتفق قال يوماً لبعض تلاميذه اشتر لى هندبا بعروقو فقال له التلميذ هندبا بعروقه فعز عليه كلامه وقال لا تأخذه الا بعروقو وان لم يكن بعروقو فلا آكله ومن غفلته انه كان يدخل الحطب والبيض جميعا فى كمه وعليه الثياب الفاخرة وربما جاء الى البيت فلم يجده مفتوحا فيرمى بالبيض من الطاق الى داخل ويضع العنب بين الحطب فيتفجر وينقط على رجليه فيقول مطر والسماء صاحية . وقريب من حكاية رمي البيض ما نقل عن أبي على الشلوبين انه وقع من يده كراس فى الماء وبقى معه آخر فجره به من الماء فتلفا جميعا . توفي سنة ٥٨٢

« الباجي »

علاء الدين على بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالباجي الامام فى الاصلين والمنطق الفاضل فيما عداها من أذكياء الناس قريحته لا تكاد تنقطع الا انه كان قليل

Digitized by Google

المطالعة جداً ولا يكاد احد يراه ناظراً فى كتاب وكذلك نقل عن محمد بن زياد أبي عبد الله بن الاعرابي صاحب اللغة انه كان يحضر مجلسه زهاء مائة نفس كل يسأله أو يقرأ عليه وهو يجيب من غير كتاب قال ابو العباس لزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط توفى ابن الاعرابى سنة ٢٢١ وكان الباجى المذكور يجلس فى حوانيت الشهود وناب فى الحكم بالشارع ثم ترك ذلك كله وأعرض عن التكلف في حاله كله توفي سنة ٧١٤

«الحافظ المزى»

بكسر الميم ابو الحجاج جمال الدين يوسف الحلبى المعروف بالمزي انتهت اليه الرحلة من اقطار الارض كان اماماً فى اللغة والتصريف صنف تهذيب الكمال في أسماء الرجال وكتاب الاطراف ودرس بدار الحديث كان منقبضاً عن الناس طارحاً للتكلف فقيراً. توفى سنة ٧٤٢

« أبو جعفر »

احمد بن اسماعيل بن يونس المرادى النحاس المصرى النحوى كان من الفضلاء وله التصانيف المفيدة منها اعراب القرآن والناسخ والمنسوخ وتفسير ابيات سيبويه بما لم يسبق الى مثله وفسر عشرة دواوين واملاها وله كتاب طبقات الشعراء وله شرح الحماسة وله غير ذلك وكان فيه خساسة وتقتير على نفسه واذا وهب عمامة قطعها ثلاث عمائم بخلا وشحاً وكان يلي شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على اهل معرفته ومع هذا كان للناس رغبة كثيرة في الاخذ عنه. توفى بمصر سنة ٣٣٨ وكان سبب موته انه جلس على درج المقياس على شاطئ النيل واخذ يقطع العروض من الشعر فقال بعض العوام هذا يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الاسعار فدفعه برجله في النيل فلم يوقف له على خبر والنحاس نسبة الى الصفر

« مروان ابن ابى حفصه »

الشاعر المشهور المشكور كان يمدح الخلفاء والبرامكة ومعن بن زائدة

Digitized by Google

وكان يحصل له من الاموال شئ كثير جداً وكان مع ذلك من أبخل الناس لا يكاد يأكل من اللحم من بخله ولا يشعل في بيته سراجًا ولا يلبس من الثياب الاالكرابيس والفرو الغليظ خرج يومًا الى المهدى فقالت امرأة من اهله ان أطلق لك الخليفة شيئًا فاجعل لى منه شيئاً فقال ان اعطانى مائة الف درهم فلك درهم فأعطاه ستين الف درهم فأعطاها اربعة دوانيق . توفى سنة ١٨٢

محمد بن داود

ابن على ابو بكر الفقيه ابن الفقيه الطاهرى بن الطاهرى كان عالماً بارعاً أديباً شاعراً فقيهاً ماهراً قال ابن كثير قال ابن الجوزى فى المنتظم وقد ابتلى بحب صبي اسمه محمد بن جامع ويقال محمد بن زخرف ويعشقه ولم يزل ذلك دأبه فيه مع العفاف حتي كان سبب وفاته وقيل عنه انه كان يبيح العشق بشرط العفاف وحكى هو عن نفسه انه لم يزل يتعشق منذ كان فى الكتاب وانه صنف كتاب الزهرة فى ذلك وكان يتناظر هو وأبو العباس بن شريح فقال له ابن شريح يوماً أنت بكتاب الزهرة أمهر منك بهذا فقال له أتعيرنى بكتاب الزهرة وانت لا تحسن تتم قراءته وهو كتاب جمعناه هزلا فاجمع أنت مثله جداً. توفي سنة ٢٩٧

الحسن بن سفيان

ابن عامر ابو العباس الشيبانى النسوى محدث خراسان والذى كانت تضرب آباط الابل اليه في معرفة الحديث والفقه. رحل الى الآفاق وتفقه على أبي ثور وأخذ الادب من اصحاب النضر بن شميل اتفق له انه كان هو وجماعة من اصحابه بمصر في رحلتهم لطلب الحديث فضاقت عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة ايام لا يأكلون فيها شيئاً ولا يجدون ما يبيعونه للقوت واضطرهم الحال الى تجشم السؤال وأنفت نفوسهم من ذلك والحاجة تضطرهم فاقترعوا فيما بينهم أيهم يقوم بهذا الامر فوقعت القرعة على الحسن بن سفيان فقام عنهم واختلى فى زاوية المسجد وصلى ودعا فما انصرف من الصلاة حتي دخل شاب حسن الهيئة فقال الامير بن طولون يعتذر اليكم وهذه مائة

Digitized by Google

دينار لكل واحد منكم فقلنا وما الحامل فقال انه أحب ان يختلي فجاءه فارس بيده رمح في الهواء وقال قم فأدرك الحسن واصحابه فانهم في المسجد الفلاني جياعاً . توفي سنة ٣٠٣

بشر بن غياث

ابو عبد الرحمن المرسى المتكلم شيخ المعتزلة واليه تنسب الطائفة المرسية راج عند المأمون وحظي عنده . كان لا يحسن النحو وكان يلحن لحناً فاحشاً كما قاله ابن كثير. توفي في ذي الحجة سنة ٢١٨ وصلى عليه عبيد الشونيزي المحدث فليم في ذلك فقال ألا تسمعون كيف دعوت له في صلاتي قلت اللهم ان عبدك هذا كان ينكر عذاب القبر اللهم فأذقه عذاب القبر وكان ينكر شفاعة نبيك فلا تجعله من اهلها وكان ينكر رؤيتك في الدار الآخرة فاحجب وجهك الكريم عنه وهذا معنى ما قاله بعض السلف من كذب بكرامة لم ينلها قاله ابن كثير

واصل بن عطاء المعتزلي

ابو حذيفة المعروف بالغزال لملازمته الغزالين احد الائمة البلغاء المتكلمين وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً ولكونه قبيح اللثغة في الراء كان يخلص كلامه منها ولا يفطن لذلك احد لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه والى ذلك اشار الشاعر بقوله

وجعلت وصلي الراء لم تنطق به ✲ وقطعتني حتى كأنك واصل

كان طويل العنق فنظر اليه عمر بن عبيد فقال من قبل ان يكلمه لا يصلح هذا ما دامت عليه هذه العنق . توفي سنة ١٣١

ابو حاتم الرازى

محمد بن ادريس بن المنذر ابو حاتم الحنظلى الرازى احد الحفاظ الاثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل وهو قرين ابي زرعة الرازي تغمدهما الله برحمته سمع الكثير وطاف الاقطار والامصار وروى عن خلق من الكبار « وحدث عنه الربيع بن سليمان ويونس بن عبد الاعلي وهما اكبر منه . قال لابنه عبد الرحمن يا بني مشيت

على قدمي فى طاب الحديث اكثر من الف فرسخ وذكر أنه لم يكن له شئ ينفق منه فى بعض الاحيان وانه مكث ثلاثاً لا يأكل شيئاً حتى استقرض من بعض اصحابه نصف دينار. توفي سنة ٢٧٧

« سيبويه »

ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصرى الحجة في النحو والعلم فيه امام النحاة شرح النحاة كتابه فانغمروا في لجج بحره واستخرجوا من جواهره حاصله ولم يبلغوا الى قعره وزعم ثعلب انه لم ينفرد بتصنيفه وقدساعده جماعة فى تصنيفه كانوانحواً من اربعين نفساً هو احدهم وهو اصول الخليل بن احمد ونكته فادعاه سيبويه لنفسه هكذا نقله ابن كثير عن ثعلب ونقله فى مرآة الزمان عن ابي عبد الله المرزبانى وتعقبه وقال هذا وهم من المرزبانى لاجماعهم على ان سيبويه هو الذى جمع اوزان العرب وحصرها وقرر اصول الكتاب وفصوله ورتب ابوابه وقال ابن كثير بعد نقله ذلك عن ثعلب وقد استبعده السيرافى فى طبقات النحاة ولما قدم سيبويه بغداد وناظر الكسائي واصحابه فلم يظهر عليهم سأل عمن يرغب من الملوك فى النحو فقيل طلحة بن طاهر فشخص الى خراسان فلما انتهى الى ساوه مرض مرض الموت فتمثل

يؤمل دنيا لتبقى له * فمات المؤمل قبل الامل

حثيثاً يروّي اصول الفسيل * فعاش الفسيل ومات الرجل

توفي وعمره ثنتان وثلاثون سنة سنة ١٨٠ والفسيل والفسيلة الودىّ وهوصغار النخل والجمع الفسلان قاله الجوهرى

« شريك »

ابن عبد الله بن أبي شريك ابو عبد الله القاضى النخعى الكافى سمع ابا اسحاق السبيعى وغير واحد اكرهه المنصور على القضاء كان مشكوراً فى حكمه وامضائه اياد على الاكابر . ذكر الخطيب بسنده ان عمر بن الهيماج قال كنت صاحب شريك

Digitized by Google

فأتيته يوماً فخرج اليّ في فرو ليس تحته قميص وعليه كساء فقلت له لقد اصبحت عن مجلس الحكم فقال غسلت أمس ثيابي فلم تجف وانا منتظر جفافها اجلس قال فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير اذن مولاه وكانت الخيزران قد وجهت رجلا نصرانياً وكتبت الى موسى بن عيسى لا يعصي له امراً فظلم رجلا فتعلق ذلك الرجل بشريك فاقتص له منه بيده. ثم عاد يذاكر عمر في العبد تزوج كأن لم يفعل شيئاً وقد ساق الحكاية بطولها فى مرآة الزمان ناقلا لها عن الخطيب . قال في مرآة الزمان وقد روى عن ابن عون ان شريكا كان يشرب النبيذ المثلث على رأى اهل العراق و بذلك عابوه . توفى سنة ١٧٧

ابن يونس

موسى بن محمد بن منعة المعروف بابن يونس الموصلى الشافعي احد المتبحرين فى العلوم المتنوعة قيل انه كان يتقن اربعة عشر علماً. كان يقرأ عليه الحنفيون كتبهم وكان يقرأ عليه اهل الكتاب التوراة والانجيل فيقرون انهم لم يسمعوا بمثل تفسيره لها وكان الشيخ تقى الدين بن الصلاح يبالغ فى الثناء عليه فقيل له يوماً من شيخه فقال هذا الرجل خلقه الله عالماً لا يقال على من اشتغل فانه اكبر من هذا قال ابن خلكان وكان يتهم فى دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه . توفى سنة ٦٣٩

وانشد العماد المعرى فى ابن يونس

اجدك ان قد جاد بعد التعبس غزال بوصل لى واصبح مؤنسى
وعاطيته صهباء من فيه مزجها كرقة شعرى او كدين ابن يونس

قال الموفق عبد اللطيف وكان مستغرق الوقت والعقل فى حب الكيمياء حتى صار يستخف بكل ما عداها

أبو بكر النيسابورى

عبد الله بن محمد بن زياد النيسابورى الحافظ الفقيه الشافعى العلامة المعروف بابى بكر بن زياد قال يوسف القواس سمعت ابا بكر النيسابورى يقول أتعرف من اقام

Digitized by Google

اربعين سنة لم ينم الليل ويتقوت كل يوم بخمس حبات ثم قال انا هو .توفى سنة ٣٢٢

محمد شمس الدين

ابو عبد الله بن الامام العلامة عفيف الدين التلمسانى الشاعر بن الشاعر تعانى الكتابة وولي عمالة الخزانة كان فيه عشرة ولعب وخلاعة كما قاله الغزى فى مختصر تاريخ الاسلام — قال فى الذيل وكان شمس الدين محمد المذكور قد اضافه اولاد المشطوب وطلبوا منه ان يبيت عندهم فقال لهم أعلموا والدي بمبيتي عندكم حتى لا يتشوش خاطره هو والوالده فبعثوا الى والده الشيخ عفيف الدين ولدهم العماد اسماعيل وهو يومئذ من احسن الفتيان صورة لاعلام الشيخ عفيف الدين بمبيت ولده عندهم فتكلم عفيف الدين بديها هذين البيتين و بعث بهما صحبة العماد اسماعيل

بعثتموا لي رسولا في رسالته   حلو المراشف والاعطاف والهيف
وقدتما ويسير ذاك انكما   أوقدتما النار فى بادي الضنى دنف

فرد عليه ولده شمس الدين بديها وكتب على ظهر الرقعة

مولاي كيف اثنى عنك الرسول ولم   تكن لوردة خديه بمقتطف
جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة   فكيف ردّت بلاثقب الى الصدف

لما قدم السجاعي دمشق خاف منه شمس الدين لكونه كاتب الخزانة خوفاً عظيما انقطع منه قلبه فمات شاباً سنة ٦٨٨

ابن حزم

ابو محمد على الظاهرى الامام العلامة الحافظ المجتهد كان كثير الوقوع فى العلماء فنفرت عنه القلوب وتألب عليه الفقهاء واتفقوا على بغضه وتضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو منه فأقصته الملوك وشردته عن بلادها حتى انتهى الى بادية فلاة فتوفى بها سنة ٤٥٦

ابو الحسن

علي بن بوعت كان شاعرا مجيدا الا انه كان قليل الحظ من الدنيا لم يزل رقيق

Digitized by Google

الحال ضعيف القدرة الى ان توفي وهو على حاله من الضرورة وشدة الفاقة بمصر سنة ٤١٦

ابو حاتم السجستانى

قال التبغاشي وغيره كان افضل اهل زمانه علمًا وورعًا و بلغ من فضله انه كان يتصدق كل يوم بدينار ويختم القرآن فى كل اسبوع وكان من اظرف اهل زمانه واطيبهم خلوة واحسنهم مفاكهة الا انه كان مولعاً بالغلمان يذهب فيهم مذهب الاستمتاع بالنظر لافضاء الوطر وذكر ان المبرد ابا العباس كان يحضر حلقته يقرأ عليه وكان المبرد من اجمل اهل زمانه فقال فيه ابوحاتم

وقف الجمال بخده ... فسما به حذو الامام
حركاته وسكونه ... تحيا بهـا مهج الانام
فاذا خلوت بمثله ... وعزمت فيه على اغترام
لم أعد افعال العفا ... ف وذاك اوكد للغرام
نفسي فداؤك يا ابا ال ... عباس حل بك اعتصام
فارحم اخاك فانه ... نزرالكرى بادى السقام
وأنله ما دون الحرا ... م فليس يطمع فى الحرام

وقرأت من خط الشيخ شهاب الدين السجستاني « ابوحاتم السجستاني سهل بن محمد ابن عثمان السجستاني ثم البصرى النحوى المقرى صاحب المصنفات اخذ عن ابى عبيدة وابى زيد الانصارى والاصمعي وغيرهم وحمل الناس القرآن والحديث والعربية وكان جماعاً للكسب وله اليد الطولى فى اللغة والشعر والعروض والمعمى ولم يكن حاذقاً في النحو وله اعراب القرآن وكتاب ما يلحن فيه العامة والمقصور والممدود وكتاب القسى والنبال والسهام وكتاب الهجاء وكتاب الشتاء والصيف وكتاب النحل والعسل وكان ابو العباس المبرد يلازم حلقته وهوغلام وسيم فى نهاية من الجمال فعمل فيه ابو حاتم وذكر الابيات المذكورة توفى سنة ٢٥٠

Digitized by Google

ابن الجبان

الاصفهاني محمد بن علي بن عمر بن الجبان الاصفهانى ابو منصور احد حساب الري وعلمائها الاعيان جيد المعرفة باللغة ومن تصانيفه كتاب أبنية الافعال وكتاب الشامل فى اللغة وهو كتاب كبير وشرح الفصيح وهو حسن قال ياقوت وجدت خطه على كتاب الشامل له وقد كتبه في سنة ٤١٦ وذكره يحيي بن منده فقال بينه وبين الصاحب ابن عباد مكاتبات وعاق غلاما من الديلم يقال له الـتركاني فاتفق للغلام انه عزم على الحج فلم يجد ابن الجبان بدا من موافقته ومرافقته فلما بلغا الميقات وأحرما وأخذا في التلبية قال ابن الجبان لبيك اللهم لبيك والتركانى ساقنى اليك وكان هجيراه

يانسيم الروض فى السحر　　وشبيه الشمس والقمر
ان من اسهرت ليلته　　لقرير العين بالسهر

ثم ابتلى بفراقه فكتب اليه

ياوحشتى لفراقكم　　اترى يدوم على هذا
الموت والاجل المتا　　ح وكل معضلة ولا ذا

نقلت هذه الترجمة من خط الشيخ نور الدين الابياري

السهيلى

عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد ابو القاسم وابو زيد وابو الحسن الخثعمى السهيلى الاندلسي المالقي النحوى الحافظ. ناظر على بن الحسن بن الطراوة فى كتاب سيبويه وسمع منه كثيراً من كتب اللغة ذكر انه استخرج الروض الانف من نيف وعشرين ومائة ديوان وله كتاب التعريف والاعلام بما ابهم فى القرآن وكتاب شرح آية الوصاية وشرح الجمل ولم يتمه واستدعي الى مراكش ليسمع بها وبها توفى قال ابن خلكان وكان يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف حتى نمى خبره الى صاحب مراكش فطلبه وأحسن اليه واقام بها نحو ثلاثة اعوام ثم توفى سنة ٥٨١

Digitized by Google

ابن دحية الكلبي

العلامة ابو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن محمد بن الجميل المعروف بابن دحية الكلبي كان يكتب لنفسه ذو النسبتين بين دحية والحسين وانه سبط ابي السام الحسيني الفاطمي. كان له التصانيف الفائقة والرحلة الواسعة والدراية الحسنة بالنحو واللغة والحديث متناً واسناداً وروى عن جماعة وروى عنه جماعة طول الحافظ الذهبي روايته ومن روى هو عنه واطال ترجمته الى ان قال قال ابن واصل وكان ابو الخطاب مع فرط معرفته بالحديث متهما بالمجازفة في النقل وبلغ ذلك الملك الكامل وقد بنى له دار الحديث بالقاهرة فأمره ان يعلق شيئاً على احاديث الشهاب فعلق كتاباً تكلم فيه على احاديثه واسناده فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد حين قد ضاع مني فعلق لي مثله ففعل فجاء في الثاني بمناقضة الاول فعلم السلطان صحة ما نقل عنه وعزله من دار الحديث قال ابن نقطه كان يدعى اشياء لا حقيقة لها — ذكر لي ابو القاسم بن عبد السلام وهو ثقة قال نزل عندنا ابن دحية فكان يقول انا احفظ صحيح مسلم والترمذي فخلطنا له احاديث من الترمذي باحاديث موضوعة وامتحناه بها فلم يعرف منها شيئاً قال ابن خلكان وصنع للمظفر صاحب اربل قصيدة ادعى أنها له فظهرت في ديوان الاسعد بن مماتي قال الذهبي وكذلك نسبه شيء لا حقيقة له قرأت بخط بن مدى كان ابوه تاجراً يعرف بالكابي بين الفاء والباء وهو اسم موضع بدانية وكان ابو الخطاب يكتب اولا الكابي معاً اشارة الى النسب والبلد توفي سنة ٦٣٣

المسعودي

شارح المقامات محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود ابو سعيد وابو عبد الله ابن ابي السعادات المسعودي الخراساني روى عن جماعة وروى عنه جماعة وكان المحدثون يلينونه كما قال الذهبي وقال ابن خليل الادمي لم يكن في نقله بثقة ولا مأمون توفي سنة ٥٨٤

Digitized by Google

الشاطبي

القاسم بن فيره بن خلف الرعيني الاندلسي الشاطبي المقرى احد الاعلام كان اماما علامة نبيلا واسع المحفوظ كثير الفنون بارعاً فى القراآت وعللها حافظاً للحديث استاذا فى العربية وقصيدتاه في القراآت والرسم ما يدل على تبحره — قال الذهبي وصبر على فقر شديد ثم قدم القاهرة فطلبه القاضى الفاضل للاقراء بمدرسته فأجاب بعد شروط اشترطها — قال السخاوى أقطع بأنه كان مكاشفاً وانه سأل الله تعالى كفاف حاله ما كان احد يعلم اى شيء هو — توفى سنة ٥٩٥

ابن طارق

احمد بن طارق بن سنان ابو الرضي الكركي الاصل البغدادى المولد التاجر المحدث سمع من ابي نصر موهوب بن الجواليقي وابي الفضل بن الارموى واحمد بن طاهر المهسى وجماعة غيرهم طول روايته وذكر من روى عنه الذهبي ثم قال قال ابن النجار الا انه كان غاليًا فى التشيع شحيحا مقتراً على نفسه يشترى من لقم المكدين ويتبع المحدثين ليأكل معهم ولا يشعل في بيته ضوأ وخلف تجارة تساوى ثلاثة آلاف دينار مات فى سنة ٥٩٢ وبقى فى بيته اياما لا يدرى به واكلت الفارة اذنيه وانفه

القاضى الفاضل

ابو على بن القاضى الاشرف ابى الحسين اللخمى العسقلانى البيسانى مسودات رسائله لا تقصر عن مائة مجلد قال الموفق عبد اللطيف كان قليل النحو لكن له دربة قوية تعرض له قلة اللحن وكان متقللا فى مطعمه ومنكحه وملبسه لباسه البياض لا يبلغ جميع ما عليه دينارين وكان فيه سوء خلق يكتمه ولا يظهره — توفى سنة ٥٩٦

ابن بيان

ذو الرياستين محمد بن محمد ذى الرياستين بن ابى الطاهر الابيارى المصرى ابو الفضل سمع من خلق وكتب الكثير بخطه وتولى ديوان النظر فى الدولة المصرية وتقلب في الخدم فى الايام الصلاحية وكان القاضي الفاضل ممن يغشى بابه ويمتدحه

Digitized by Google

ويفتخر بالوصول اليه فلما جاءت الدولة الصلاحية قال القاضى الفاضل هذا رجل كبير القدر يصلح ان يجرى عليه ما يكفيه ويجلس فى بيته ففعل به ذلك ثم انه توجه الى اليمن ووزر لسيف الاسلام ثم عاد وعليه ديون ثقيلة وأدى أمره الى ان جاس في والجامع الازهر وكان ينتقص القاضى الفاضل لا يراه بالعين الاولى والفاضل يقصر فى حقه فيقصر الناس معه مراعاة له وكان بعض من له عليه دين اعجمياً جاهلا فصعد الى سطح الجامع وسفه عليه وقبض على لحيته ففر والقى نفسه من سطح الجامع فتهشم وحمل الى داره فبقى اياما ثم مات سنة٥٩٦

ابن بصيلة

عبد الله بن خلف بن رافع الحافظ ابو محمد بن بصيلة المكى الاصل القاهري كان حافظا محصلا عالما بالتواريخ والوفيات وجمع مجاميع مفيدة وشرع فى تاريخ مصر وعجز عن اكماله لضيق ذات يده — توفى سنة ٥٩٨

شميم

على بن الحسن بن عنبر الاديب ابو الحسن النحوى المعروف بشميم الشاعر الحلى قدم بغداد وتأدب بها على ابى محمد بن الخشاب وغيره وحفظ كثيرا من اشعار العرب واحكم اللغة والعربية وقال الشعر الجيد الا ان حمقه أخره — قال الذهبى قرات بخط محمد ابن عبد الجليل الموماني قال بعض العلماء وردت الي آمد سنة ٥٩٤ فرأيت أهلها مطبقين على وصف هذا الشيخ فقصدته ودخلت عليه فوجدته شيخا كبيرا نحيف الجسم وبين يديه حمدان مملوء كتباً من تصانيفه فسلمت عليه ثم قلت انما جئت لأقتبس من علومك شيئا فقال أى علم تحب قلت الادب قال ان تصانيفي في الادب كثيرة وذلك ان الاوائل جمعوا أقوال غيرهم وبوبوها وأما أنا فكل ما عندى من نتائج فكرى فانى قد عملت كتاب الحماسة وابو تمام جمع اشعار العرب فى حماسته وانا فعلت حماسة من شعري ثم سب ابا تمام وقال رأيت الناس مجمعين على استحسان خمريات أبي نواس فعملت كتاب الخمريات من شعري ورأيتهم مجمعين على خطب

Digitized by Google

ابن نباتة فعملت خطبا وجعل يزرى بالمتقدمين و يصف نفسه ويجهل الاوائل ويقول ذاك الكلب قال كذا قلت فانشدنى شيئا من شعرك فأنشدني من الخمريات له فاستحسنت ذلك فغضب وقال ويلك ما عندك غير الاستحسان فقلت فما أصنع قال تصنع هكذا ثم قام يرقص و يصفق الى ان تعب ثم جلس يقول ما أصنع ببهائم ثم شطح في الكلام وقال ليس فى الوجود الا خالقان واحد في السماء وواحد في الارض فالذى فى السماء هو الله تعالى والذى في الارض انا ثم التفت الىّ وقال هذا لا يحتمله العامة لكونهم لا يفهمونه انا لا اقدر علي خلق شيء الا خلق الكلام فقلت يا مولانا انا محدث وان لم يكن في المحدث جراءة مات بغيظه وأحب ان اسألك عن شيء فتبسم وقال ما اراك تسأل الا عن معضلة هات فقلت لم سميت شميا فشمنى وقال اعلم أنني بقيت مدة لا اتغوط ثم يجيء كالبندقة من الطين فكنت آخذه وأقول لمن أنبسط اليه شمه فانه لا رائحة له فلقبت بذلك أرضيت ياابن الفاعلة — قال ابن النجار كان اديباً مبرزا فى علم اللغة والنحو لكنه كان احمق قليل الدين رقعا يستهزئ بالناس ولا يعتقد ان في الدنيا مثله ولا يكون أبدا —وحكى ابن العديم بسنده انه كان لا يأكل الا التراب فكان رجيعه يجئ يابسا لا ريح له فيجعله في جنبه فمن دخل عليه اشمه اياه و يقول قد تجوهرت — توفى سنة ٦٠١ وله عدة كتب كثيرة يطول ذكرها

الجزولى

عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى العلامة ابو موسى الجزولى اليزدكتنى المراكشى النحوى حج ولزم العلامة عبد الله بن بري وأخذ العربية عنه جماعة وكان علامة لا يشق غباره فى النحو مع جودة التفهيم وحسن العبارة وأتي فى مقدمته بالعجائب حتى ان الشخص يعرف المسئلة من النحو معرفة جيدة واذا رآها فى الجزولية يدور رأسه فيها واسم هذه المقدمة القانون وكان ينكر أنها له تورعا لانها نتائج بحوثه على ابن برى و بحوث رفقائه و يللبخت جده رجل بربري وجزولة بطن من البربر قال الذهبي وقرأت بخط محمد بن عبد الجليل الموقاني ان الجزولى قاسى بمدة مقامه بمصر كثيرا من

Digitized by Google

الفقر ولم يدخل مدرسة وكان يخرج الى الضياع يوئم بقوم فيحصل ما ينفقه في غاية الصبر ورجع الى المغرب فقيرا مدقعا فلما وصل الى المرية او نحوها رهن كتاب ابن السراج الذى قرأه علي ابن برى وعليه خطه فأنهى المرتهن امره الى الشيخ ابي العباس المغربي احد الزهاد بالمغرب وكان يصاحب بني عبد المؤمن فأنهى ابو العباس ذلك الى السلطان فأمر باحضاره وقدمه واحسن اليه انتهى — وصنف كتابا فى شرح أصول ابن السراج واخذ عنه النحو ابو على الشلوبين ويحيى بن معطي — توفى سنة ٦٠٧

التاج الكندي

زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن العلامة تاج الدين ابو اليمن الكندي البغدادى المقرى النحوى اللغوى اعلى أهل الارض اسنادا فى القرآآت — قال ابن النجار كان اعلم اهل زمانه بالنحو اظنه يحفظ كتاب سيبويه ما دخلت عليه قط الا وهو في يده يطالع فيه وهو فى مجلد واحد بخط رفيع والشيخ يقرأه بلا كلفة وقد بلغ التسعين — قال القفطي كان بحلب يبتاع الخليع من الملبوس ويتجر به الى بلد الروم ثم ترقت به الحال وكان لينا في الرواية معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه اذا نوظر جبه بالقبيح ولم يكن موفق العلم رأيت له اشياء باردة — قال واشتهر عنه انه لم يكن صحيح العقيدة قال الموفق عبد اللطيف كان معجبا بنفسه موذيا لجليسه — توفى سنة ٦١٢

ياقوت

ابن عبد الله شهاب الدين الرومى الحموى البغدادى الامام النحوى اللغوى الاخبارى صنف كتاب معجم البلدان وكتاب معجم الادباء وارشاد الالباء الى معرفة الادباء فى اربع مجلدات وأخبار الشعراء المتأخرين ومعجم الشعراء وكتاب المشترك وضعاً المختلف صقعاً وكتاب المبدا والمآل في التاريخ وكتاب المقتضب فى النسب اتفق له مرة أنه تنقص علياً رضى الله عنه فثار عليه الناس وكادوا يقتلونه فهرب الى حلب ثم الى الموصل واربل ودخل خراسان واستوطن مرو يتجر ثم دخل خوارزم فصادفه خروج التتار فانهزم بنفسه وقاسى شدائد وتوصل الى الموصل وهو فقير داثر — قال الذهبي قال جمال

Digitized by Google

لدين القفطى في تاريخ النحاة له انه كتب اليه رسالة من الموصل شرحا لما تم على خراسان ومنها كان المملوك لما فارق مولاه اراد استعتاب الدهر الجامع واستدرار حلب الزمان الجامح اغترارا بان الحركة بركة والاغتراب داعية الاكتساب فامتطى غارب الأمل الى الغربة وركب ركوب التطواف مع كل صحبة فلم يرث له دهره الخؤن ولا رق له زمانه المفتون

ان الليالى والايام لو سئلت عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا

وهيهات مع حرفة الادب بلوغ وطر أو ادراك أرب ومع عبوس الحظ ابتسام الدهر الكظ ولم ازل مع الدهر فى تفنيد وعتاب حتي رضيت من الغنيمة بالاياب وهي طويلة — توفى سنة ٦٢٦

ابن معطى

يحيى بن عبد النور الشيخ زين الدين ابو الحسين الزواوي المغربي النحوي الحنفي صنف فى الادب والنحو والعروض وحمل الناس عنه وكان اماما مبرزا فى علم اللسان شاعرا محسنا وكان احد الشهود بدمشق وليس له من طرق الكسب ما يقوم بكفايته كما قال الحافظ الذهبي فحضر مع العلماء عند الملك الكامل وكان له طرف من النحو فسألهم فقال زيد ذهب به هل يجوز فى زيد النصب فقالوا لا فقال ابن معطي يجوز النصب على ان يكون المرتفع بذهب المصدر الذى دل عليه ذهب وهو الذهاب وعلى هذا فموضع الجار والمجرور الذي هو به النصب فيجئ من باب زيد مررت به اذ يجوز فى زيد النصب فكذلك ههنا فاستحسن السلطان جوابه وامره بالسفر معه الى مصر فسافر وقرر له معلوما قال الذهبي فلم تطل مدة حياته فتوفى سنة ٦٢٨

ابو حامد

الاسفراينى احمد بن محمد بن احمد الاسفراينى الشيخ ابو حامد بن ابي طاهر شيخ طريقة العراق بل امام المذهب على الاطلاق شيخ الاسلام والمسلمين قاطبة ورحلة الطلاب طبق الشيخ ابو حامد الارض بالاصحاب وجمع مجلسه ثلثمائة متفقه

Digitized by Google

واتفق الموافق والمخالف على تفضيله حتى قال ابو الحسين القدوري هو عندى أفقه او انظر من الشافعي وافتي وهو ابن سبع عشرة سنة وقام يفتي الى ثمانين سنة انتهت اليه رئاسة الدين والدنيا حتى انه قال للخليفة انك لست بقادر على عزلى من ولايتى التى أولانى الله تعالى اياها وانا اقدر ان اكتب الىخراسان بكلمتين او ثلاثة اعزلك عن خلافتك وارسل الى مصر فاشترى امالى الشافعىبمائة دينار — قالالسبكي فى الطبقات عن سليم الرازى ان الشيخ ابا حامد كان يحرس فى درب وكان يطالع فى زيت الحرس ويأكل من اجرة الحرس — توفى فى شوال سنة٤٥٦

ابن عنين

محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسين بن عنين الاديب الرئيس شرف الدين ابو المحاسن الانصاري الكوفى الدمشقى الشاعر المشهور سمع من الحافظ ابى القاسم ابن عساكر كان غزير المادة مطلعا على اشعارالعرب واشتغل على القطب النيسابورى والفخر الرازي وجال فى البلاد ومدح الملوك والوزراء وهجا الصدور والكبراء أقامه الملك المعظم مقام نفسه في ديوانه فأحسن السياسة الا انه فى الاخير ظهر منه سوء اعتقاد وطعن فى السلف واستهتار بالشريعة وكثر عسفه وظلمه وترك الصلاة وسب الانبياء صلوات الله عليهم ولم يزل يستورد الخمر الى ما قبل وفاته بقليل — توفى سنة ٦٣٠

ابن حمويه

اليزدى على بن احمد بن الحسين بن احمد بن الحسين حمويه الامام ابو الحسن اليزدى الشافعى المقرى المحدث نزيل بغداد حدث عن خلق ذكرهم الحافظ الذهبي وذكر من روى عنه قال وقرأت بخط احمد بن شافع أن مصنفاته زادت على خمسين مصنفاً قال ابو سعيد السمعانى فقيه فاضل سخي النفس بما يملك كان له عمامة وقميص بينه وبين أخيه اذا خرج ذلك قعد هذا واذا خرج هذا قعد الآخر هكذا ترجمه الذهبي وطول فى ترجمته فذكر مشيخته وكراماته الا انه قال زاهد — توفى سنة ٥٥١

Digitized by Google

نفطويه

ابراهيم بن عرفة ابو عبد الله النحوى المعروف أخذ العربية عن المبرد وثعلب ومحمد بن الجهم وخلط نحو الكوفة بنحو البصرة وتفقه على مذهب داود بن على الظاهرى ومن تصانيفه كتاب التاريخ.غريب القرآن.المقنع في النحو.المصادر .الوزراء. وغير ذلك وكان مع كونه من اعيان العلماء غير مكترث باصلاح نفسه وكان يفرط به الصنان فلا يعرّه وحضر يوما مجلس وزير المقتدر حامد بن العباس فتأذى هو وجلساؤه من صنانه فطلب الوزير مرتكا فبدأ بنفسه واداره علي الجماعة فتمرتكوا وفطنوا مراده فقال نفطويه لا حاجة لى به فراجعه فأبي فاحتد حامد وقال عاض كذا من امه انما تمرتكنامن اجلك فانا تأذينا بصنانك قم لا أقام الله لك وزناً اخرجوه وابعدوه ببغداد — توفى سنة ٣٢٣ ولقب نفطويه لرمامته وأذيته تشبيهاً بالنفط

امام الائمة ابن خزيمة

محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الائمة ابو بكر السلمى النيسابورى المجتهد المطلق البحر العجاج روى عن خلائق وروى عنه الائمة البخارى ومسلم ويحيى بن محمد بن صاعد وغيرهم — قال الحاكم سمعت ابا عمرو بن اسماعيل يقول كنت فى مجلس ابن خزيمة فاستمد مدة فناولته القلم بيساري اذ كانت يمينى قد اسودت من الكتابة فلم يأخذ القلم وأمسك فقال بعض اصحابه لو ناولت الشيخ بيمينك فقد امتنع ان يأخذ من يسارك فأخذت القلم بيمينى وناولته اياه فأخذه مني وقد اطال الحاكم فى تاريخ نيسابور ترجمته بما لا مزيد على حسنه — قال السبكي في الطبقات قال ابو احمد الدارمي كان له قميص يلبسه وقميص عند الخياط فاذا فرغ الذى يلبسه وهبه وغدوا الي الخياط وجاؤا بالقميص الآخر وقيل له يوماً لو حلقت شعرك في الحمام فقال لم يثبت عندى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حماما قط ولاحلق شعره انما تأخذ شعرى جارية بالمقراض — توفى سنة ٣١١

Digitized by Google

ابو عمر

محمد بن عبد الواحد الزاهد المعروف بغلام ثعلب أحد أئمة اللغة المشاهير المكثرين صحب ابا العباس ثعلبا فعرف به وله تصانيف كثيرة وكان لسعة روايته وحفظه يكذبه ادباء زمانه في اكثر نقل اللغة و يقولون لو طار طائر يقول ابو عمر حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي ويذكر في معنى ذلك شيئاً وكان أغلب تصانيفه من حفظه حتى انه املي في اللغة ثلاثين الف ورقة فلهذا الاكثار نسب الى الكذب قال الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخه وكان اشتغاله بالعلوم قد منعه من اكتساب الرزق فلم يزل مضيقاً عليه — توفي سنة ٣٤٥

ابو الوقت السجزى

عبد الاول بن عيسى بن شعيب بن ابراهيم بن اسحاق ابو الوقت السجزى الاصل الهروى الصوفي مسند العصر ورحلة الدنيا روى عن خلائق وروى عنه امم لا يحصون حكي عنه والده انه اخذه ماشيا من هراة الى بوشبخ ليسمعه الحديث وكان ابوه ايضاً ماشياً فكان اذا أعيا حمله على كتفه وعمره اذ ذاك دون عشر سنين قال وكنا نلتقي علي افواه الطرق فلاحين فيقولون ياشيخ عيسى ادفع الينا هذا الطفل نركبه واياك فيقول معاذ الله ان يركب في طلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلحسن نية الوالد صارت الوفود ترحل اليّ من الامصار — توفي سنة ٥٥٣

ابن نباتة السعدى

ابو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدى اديب فضله تام وروض علمه زاهر اصفى عليه حرمانه ولم يسعفه زمانه ورد على ابي الفضل بن العميد وامتدحه بقصيدته التى اولها

برح اشتياق وادكار ولهيب انفاس حرار

ومدامع عبراتها ترفض عن نوم مطار

لله قلبي ما يجن من الهموم وما يواري

وكبرت عن وصل الصغا ر وما سلوت عن الكبار

ومنها

لم يبق لى عيش يلـ ـذ سوى معانقة العقار

واذا استهل فتى العميـ ـد تضاحكت ديم القطار

حر صفت اخــلاقه صفو السبيك من النضار

فتأخرت صلته فشفع هذه القصيدة بأخرى وأتبعها برقعة فــلم يزدها ابن العميد غير الاهمال فتوصل الى أن دخل عليه ومجلسه محتفل بالاعيان فأشار بيــده اليه وقال أيها الرئيس انى لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظاراً لصلتك ووالله ما بي الحرمان ولكن شماتة قوم نصحوني فاغتششتهم وصدقوني فاتهمتهم فبأى وجه ألقاهم فان كان للنجاح علامة فأين هى وما هى ان الذى تحسدهم عــلى ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا مثلك فزاحم بمنكبيك أعظمهم سناء وأنورهم شعاعاً فحار ابن العميد وشدهِ واطرق ساعة ثم قال هــذا وقت يضيق عن الاطالة منك فى الاستزادة وعن الاطالة منا فى المعذرة واذا ترامينا مادفعنا اليــه اســتأنفنا ما نتحامد عليه فقال ابن نباتة هــذه نفثة مصــدور والغنيّ اذا مطل لئيم فاستشاط ابن العميد وقال والله ما استوجبت هذا العتب من احد من خلق الله ولست ولى نعمتي فأحتملك ولا صنيعتى فاغضى عنك وان بعض ماأفرته فى مسامعى تنقض منه مرة الحليم ويبدد شمل الصبر — هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحى — فقال ابن نباتة لما جلست فى صدر ايوانك بأبهتك وقلت لايخاطبنى أحد الا بالرياســة دعوتني بلسان الحال وان لم تدعني بلسان المقال فثار ابن العميد مغضباً ودخل حجرته وتعوص المجلس وسمع ابن نباتة ذاهباً وهو يقول والله ان سف التراب والمشى علي الجمر أهون من هذا فلعن الله الأدب ان كان بائعه مهينا له ومشتريه مماكساً فيه فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمسه ليعتذر اليه فكأنما غاص بين سمع الارض وبصرها فكان حسرة فى قلب ابن العميد الى ان مات اه ملخصاً من ابن خلكان

Digitized by Google

الزبيدى

محمد بن يحيى بن علي بن مسلم القرشى الزبيدى الواعظ أبو عبد الله كان له معرفة بالنحو والادب قال الذهبي قال احمد بن صالح بن شافع كان له فى علم الاصول وعلم العربية حظ وافر وصنف كتبا في فنون العلم تزيد على مائة تصنيف قال الحافظ الذهبى وكان صبوراً على الفقر متعففاً حنفي المذهب قال ابو الفرج ابن الجوزى حدثنى لوزير ابن هبيرة قال جلست مع الزبيدى من بكرة الى قريب الظهر وهو يلوك شيئاً فى فيه فسألته فقال لم يكن لى شئ فأخذت نواة أتعلل بها قال ابن السمعانى كان فينا عجيباً يخضب بالحناء ويركب حماراً مخضوبا ويعظ ويجبه بالحق — توفى سنة ٥٥٥

ابو النجيب السهروردى

عبد القاهر بن عبد الله بن محمد الشيخ ابو النجيب السهروردى الصوفى الواعظ الفقيه الشافعي قال الذهبي الزاهد حفظ كتاب الوسيط فى التفسير الواحدى وسمع كتب الحديث المشهورة وتفقه على اسعد الميمنى وتأدب على الفصيحى وكتب عنه ابو سعد السمعانى — قال ابن النجار انبأنا يحيى بن القاسم التكريتى انبأ نا ابو النجيب قال كنت ابقي اليوم واليومين لا استطعم بزاد وكنت انزل الى دجلة وأتقلب في الماء حتى يسكن جوعى حتى دعتنى الحاجة الى ان اتخذت قربة وكنت استقي بها الماء لاقوام فلما تعذر ذلك فى الشتاء خرجت الى بعض الاسواق فوجدت رجلا بين يديه طبرزين وعنده جماعة يدقون فقلت هل لك ان تستأجرنى فقال أرنى يديك فأريته فقال هذه يد لا تصلح الا للقلم ثم ناولنى قرطاسا فيه ذهب فقلت ما آخذ الا اجرة عملى وكان رجلا يقظا فقال اصعد وقال لغلامه ناوله تلك المدقة فناولنى فدققت معهم فلما عملت ساعة قال تعال فجئت اليه فناولنى الذهب وقال هذه اجرتك فاخذته وانصرفت ثم وقع فى قلبي الاشتغال فاشتغلت ثم قال ابن النجار ثم وعظ على اصحابه بخربة على دجلة يحضره الرجل والرجلان الى ان اشتهر اسمه وصار له القبول عند الملوك وزارته السلاطين وبنى تلك الخربة رباطا وبنى الى جانبها مدرسة ثم ولى التدريس بالنظامية وعزل عنها بعد سنتين

Digitized by Google

توفي سنة ٥٤٥

الميداني

احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم ابو الفضل الميداني صاحب الامثال تلميذ ابي الحسن الواحدي واشتمل كتابه في الامثال على ستة آلاف مثل ولما وقف عليه الزمخشري حسده فزاد في لفظة الميداني نوناً قبل الميم فصار النميداني وهو بالفارسية الذي لا يعرف شيئاً فعمد الى تصنيف الزمخشري وعمل الميم نوناً فصارت الزنخشري وهو بالفارسية بائع زوجته قال محمد بن المعالي في كتابه ضالة الاديب من الصحاح والتهذيب سمعت اكابر اصحاب الميداني يقولون لو كان للوفاء والشهامة والفضل صورة لكان الميداني صورتها ومن نظمه رحمه الله تعالى

شـفة لمـاها زاد في آلامي ... في رشف ريقتها شفاء سـقامي

قـد ضمنا جنح الدجى وللثمنا ... صوت كقطك اروس الاقلام

توفي سنة ٥٣٩

ابو العلاء الهمذاني

الحسن بن أحمد بن الحسن بن احمد الحافظ أبو العـلاء الهمذاني العطار المقرئ الحنبلي المحدث شيخ مدينة همذان اربي على أهل زمانه في كثرة السماعات وتحصيل الاصول و برع على حفاظ عصره في حفظ ما يتعلق بالحديث من الانساب والتواريخ والاسماء والكني والقصص والسير — قال الحافظ عبد القادر الرهاوي شيخنا الامام ابو العلاء أشهر من ان يعرف بل تعذر وجود مثله في أعصار كثيرة سمعت ان من جملة محفوظاته كتاب الجمهرة رآني يوماً وعلى رأسي قلنسوة مكشوفة فقال لا تلبسها مكشوفة فان اول من أظهر لبس القلانس مكشوفة ابو مسلم الخراساني ثم شرع في ذكر ابي مسلم فذكر احواله من اولها الى آخرها وجاءته مرة فتوى في امر عثمان فأخـذها وكتب فيها من حفظه ونحن جلوس درجاً طويلا ذكر فيها وفاته وسـنه ومولده وأولاده وما قيل فيه الي غـير ذلك وكان من أبناء التجار وورث مالا فأنفقه في طلب العـلم حتي

Digitized by Google

سافر الى بغداد واصبهان مرات كثيرة ماشياً وكان يحمل كتبه على ظهره وسمعته يقول كنت أبيت ببغداد فى المساجد وآكل خبزاً أدهن وسمعت شيخنا أبا الفضل الاديب الهمذانى يقول رأيت الحافظ أبا العلاء فى مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم على رجليه لان السراج كان عالياً ثم نشر الله ذكره فى الآفاق وعظم شأنه عند الملوك والعوام حتى انه كان يمر فى همذان فلا يبقى أحد يراه الا قام ودعا له حتى الصبيان واليهود — توفى سنة ٥٦٩

ابن مكتوم

صاحب الدر اللاقيط تلميذ ابى حيان احمد بن عبد القادر بن احمد بن مكتوم القيسى الحنفى تاج الدين الامام النحوى المحدث المؤرخ صاحب التصانيف المفيدة فمنها تاريخ النحويين وكتاب الحيل وكتاب الدر اللاقيط الذى انتقاه من البحر المحيط لابي حيان ومنها شرح تصريف ابن الحاجب واختصار تاريخ القفطى وشرح فصيح ثعلب وله مجاميع حسنة بخطه ورأيت بخط العلامة نور الدين الابيارى اشياء حسنة يذكر أنه نقلها من خطه قال ابن مكتوم ومن خطه نقلت اذكر مرة وقد حمل الحسد على العلم بعض من ابتلاه الله بالجهل ممن كان يجالسنى من الشهود على ان تألب عليّ واعانه على ذلك نويس من اشكاله فاجتمع عنده نحو الخمسة منهم وكتب هو بخطه رسما نسبني فيه الى الوقوع فيما يعلم الله براءتي منه وقدمه اليهم ليشهدوا فيه عليّ زورا بما تضمنه فأراد كل منهم ان يتقدمه غيره الى ذلك وجبنوا وألقى الله الرعب فى قلوبهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة فتفرقوا من فورهم خاملين وصاروا عن قليل بعد الصحبة الاكيدة متعادين يذكر كل منهم عن الآخر ما اذا سمعه احزنه وغمه ولا يرقب فى شتمه واغتيابه الا ولا ذمه فالحمد لله الذى كفاني شرهم وجعل محل كيدهم نحرهم وحتى بلغني ذلك من بعضهم ومن آخرين سواهم فلم اعتب أحداً منهم على مافعله اذ داء الحسد كما علم لا دواء له فقال

اذا حل في قلب فليس يحول　　سوى وجع الحساد داء فانه

وقال محمد بن عيسى بن حمدان القرطبي

Digitized by Google

كن من اخ فى فؤاده دغل اخوف من كاسح يجاهده
برء السقام الخفي اعسر من برء سقام بدت شواهده

اه ما أردت نقله من خطه وجدت بخطه مجموعاً ومنه نقلت ما كتبت هنا وهو مكتوب فى ظهور الحجج والوثائق التى تجتمع عنـــد الشهود بحيث انه صار مقسوماً صفحتين صفحتين بين كل ظاهرين باطنان فيهما الوثيقة وهذا اما عن فقر عظيم اوعن شح عظيم وأياً ماكان فهو مستحق للذكر فى هذا الفصل

ابن خالويه

الحسين بن أحمد بن حمدان بن خالويه الهمدانى اللغوى المقرى النحوى ابو عبد الله احد العلماء المشهورين والادباء المصنفين ومن تصانيفه كتاب الاشتقاق وكتاب الجمـل في النحو وكتاب القراآت وكتاب اعراب ثلاثين سورة من القرآن وكتاب المقصور والممدود وشرح شعر ابى فراس الحمدانى وغير ذلك — قرأت بخط العلامة ابن مكتوم انه كان يلقب بذى النونين لانه كان يطولها في خطه وهما نون الحسين ونون ابن قال وقد رأيتهما طويلتين فى آخر كتاب الجمهرة بخطه وقد طولها جداً كما ذكر عنه ووجد على نسخة من اصلاح المنطق بخط أبي الحسن على بن عبد الله بن احمد البزار ما مثاله لما فرغت من هذا الجزء كان ابو سعيد العطاردى حاضرا فقال على لساني

قرأت ما فيـه على الحسين قرأة صدق لم تشب بمين
مستفهم الشكل مرتين فجاء كالمسك عـلى لجين
أو كعذار فوق عارضين حتى اذا ما تم لى باون
* شرفني الاســناد بالنونين *

قال ابن مكتوم كما نقلته من خطه وكان ابن خالويه على امامتـه في اللغة ضعيفاً فى النحو وعلله ضعيفاً في التصريف وله في ذلك مع ابى عـلى الفارسى وتلميذه أبي الفتح بن جنى حكايات معروفة ويحكى ان ابا الطيب المتنبي لما انشد سيف الدولة بن حمدان قوله * وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه *

Digitized by Google

قال له ابن خالويه انما يقال شجاه لا اشجاه توهمه فعلا ماضياً فقال له المتنبي اسكت فما وصل الامر اليك وجرى بينه و بين الفارسى كلام فقال ابن خالويه تتكلم في كتاب سيبويه فقال له الفارسى لا بل تتكلم في الفصيح ولابي علي الفارسي فى تغليطه كتاب نقض الهادور قلت وانت اذا وقفت على ضعفه في العربية وقفت على سر الحكاية المشهورة عنه وانها ليست من هضم النفس فى شئ وهى انه قال له رجل أشتهي ان اتعلم من العربية ما اقيم به لساني فقال انا منذ خمسين سنة أتعلم النحو ما تعلمت ما أقيم به لسانى — توفي سنة ٣٧٠

ابن الجصاص

المتمول الصدر الرئيس ابو عبد الله الحسين بن عبد الله الجصاص البغدادى الجوهري التاجر السفار وقال ابن طولون لا يباع لنا شئ الا على يد ابن الجصاص صادره المقتدر فى سنة ٣٠٢ فأخذ له من الذهب والجوهر ماقوم باربعة آلاف دينار وقال ابن الجوزى في المنتظم اخذوا له مامقداره ستة عشر الف الف دينار عينا وورقاً وخيلا وقماشاً ويحكي عنه بله وتغفل. مر به صديق له فقال كيف انت فقال ابن الجصاص الدنيا كلها محمومة وكان قد حم ونظر مرة فى المرآة فقال لصاحبه تري لحيتي قد طالت فقال المرآة فى يدك قال الشاهد يرى مالا يرى الغائب ودخل يوماً على الوزير ابن الفرات فقال عندنا كلاب يحرموننا نتام فقال الوزير لعلهم جراء فقال بل كل واحد قدي وقدك وفرغ من الاكل فقال الحمد لله الذى لا يخلف باعظم منه وأراد ان يقبل يوماً راس الوزير فقال ان فيه دهنا فقال أقبله ولو ان فيه خر أو وصف يوماً مصحفاً قديماً فقال كسروىّ توفى سنة ٣١٥

الاديب ابو بكر بن بقى

ترجم له صاحب قلائد العقيان فقال نبيل النثر والنظام قليل الارتباط والانتظام ضنأ عليه حرمانه وما صفا له زمانه فصار قعيد صهوات وقاطع فلوات مع توهم لا يطفئه باماني ومن نظمه الرقيق المعاني

Digitized by Google

عاطيته والليل يسحب ذيله   صهباء كالمسك العتيق لناشق
حتى اذا مالت به سنة الكرى   زحزحته شيئاً وكان معانقي
باعدته عن أضلع تشتاقه   كي لا ينام على وساد خافق

وله من قصيدة

ولكن ما جدى صبا غير لاقح   يسد طريق المزن عن ارضي الفل
أخلاى والآداب تجمع بيننا   وبعض طباع لست اقضى على كل
ذوى أملي عند اهتزاز عصوبة   وارخصني الدهر الذى كان بى يعلى

ومنها

وامدحهم ما حسبى الله كاذباً   فيجزوننى بالمنع شكلا على شكل

أبو الحسن

على بن احمد بن نوبخت كان أديباً مجيداً الا انه كان قليل الحظ من الدنيا لم يزل رقيق الحال ضعيف المقدرة حتى توفي بمصر فى شعبان سنة ٤١٦ وهو على حاله من الضرورة وشدة الفاقة فكفنه ابو محمد بن حيران متولى كتب السجلات بمصر

الصولى

ابو بكر بن محمد بن يحيى بن عبد الله المعروف بالصولى احد الادباء الفضلاء المشهورين روى عن ابى داود السجستانى والمبرد وغيرهم وروى عنه الدار قطنى والمرزباني وله التآليف المشهورة وكان اوحد وقته فى لعب الشطرنج و به يضرب المثل فيه خرج من بغداد لاضاقة لحقته فتوفي سنة ٣٣٥

ابن ظفر

ابو عبد الله محمد الصقلي له التصانيف المتعددة منها سلوات المطاع وخير البشر وأنباء نجباء الابناء والينبوع فى التفسير وشرح مقامات الحريرى والحاشية على درة الغواص ذكره العماد فى الخريدة ولم يزل يكابد الفقر حتى مات قيل انه زوج ابنته بحماه من غير كفء للضرورة فرحل بها الزوج عن حماه و باعها فى بعض البلاد توفى سنة ٥٧٥

Digitized by Google

ابن السكيت

ابو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت الامام اللغوى النحوي كان اول الامر يؤدب اولاد العامة ببغداد بدرب القنطرة ثم ادب ولد بن طاهر والمتوكل وجعفر قال الحسين بن عبد المجيب سمعت يعقوب بن السكيت في مجاس ابى بكر بن شبة يقول

ومن الناس من يحبك حباً ظاهر الحب ليس بالتقصير
فاذا ما سألته نصف فلس لحق الحب باللطيف الخبير

قيل ان المتوكل قتله وذلك ان المتوكل امره بشتم رجل من قريش فلم يفعل فأمر القرشي ان ينال منه ففعل فأجابه يعقوب فلما أجابه قال له المتوكل امرتك ان تفعل فلم تفعل فلما شتمك فعلت فأمر بضربه فحمل من عنده صريعاً مقتولا ووجه المتوكل الى بنى يعقوب من الغد عشرة آلاف درهم قاله الابيارى في نزهة الالباء

الاديب ابو جعفر

ابن المثني ترجم له صاحب قلائد العقيان فقال رافع راية القريض وصاحب آية التصريح والتعريض اقام شرائعه واظهر روائعه وجعل عصيه طائعه وكان اليف غلمان وحليف كفر لا ايمان مانطق متشرعاً ولا رتق متورعاً ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا وربما تنسك مجونا وفتكا وتمسك باسم التقى وقد هتك هتكا لا يبالى كيف ذهب ولا بما تمذهب وقد اثبت له مايرتشفه ريقا ويلحو الاوان منه شروقا فمن ذلك قوله

كيف لايزداد قلبي من جوي الشوق خبالا
واذا قلت علىّ بهر الناس جمالا
هو كالغصن وكالبد ر قواماً واعتدالا
ان من رام سلوى عنه قد رام محالا
لست اسلوعن هواه كان رشداً او ضلالا

Digitized by Google

ولما اشتهر عند ناصر الدولة ما تقرر وتردد على مسمعه انهتاكه وتكرر أخرجه ونفاه وطمس رسم فسوقه وعفاه

« الامام ابو سهل الصعلوكى »

محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون الحنفى نسبا من بني حنيفة العجلى الامام ابو سهل الصعلوكي شيخ عصره وامام الدنيا فى الفقه والتفسير والادب واللغة والنحو والشعر والكلام والتصوف وغير ذلك من أصناف العلوم – وعن الصاحب ابي القاسم بن عباد لم تر خراسان مثله ولا رأى هو مثل نفسه لقي ابا بكر بن خزيمة وابا العباس الماسرخسي الثقفى وغيرهم ومن الصوفية الرئيس الشبلى وابا على الثقفى وغيرهم وحكي عنه انه قال ما مرت بى جمعة الاولى على الشبلى وقفة او سؤال وانه قال دخل الشبلى على ابى اسحاق المروزي فرآني عنده فقال هذا المجنون من اصحابك لا بل من اصحابنا — وعن الشيخ ابي عبد الرحمن السلمي انه قال قلت للاستاذ ابي سهل فى كلام جري بيننا لم. فقال لى اما علمت انه من قال لاستاذه لم لم يفلح ابداً — قال السبكي في الطبقات قال الاستاذ ابو القاسم القشيرى سمعت ابا عبد الرحمن السلمى يقول وهب الاستاذ ابو سهل جبته من انسان فى الشتاء وكان يلبس جبة النساء حين يخرج الى التدريس اذ لم يكن له جبة اخرى فيقدم الوفد المعروفون من فارس وفيهم من كل نوع امام من الفقهاء والمتكلمين والنحويين فأرسل اليه صاحب الجيش ابو الحسن وأمره ان يركب لاستقبالهم فلبس دراعة فوق تلك الجبة التى للنساء وركب فقال صاحب الجيش انه مستخف بي امام البلد يركب في جبة النساء ثم ناظرهم فغلبهم اجمعين فى كل فن — توفي في ذي القعدة سنة ٣٦٩ وصلى عليه ابنه ابو الطيب ودفن في المجلس الذى كان يدرس فيه

« الغزى »

ابو اسحاق ابراهيم بن يحيي بن عثمان بن محمد الكلبي الغزى الشاعر المشهور ذكره الحافظ بن عساكر فى تاريخه وقال انه دخل دمشق ثم بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة ومدح ورثى ثم رحل الى خراسان وانتشر شعره هناك وأثنى عليه

Digitized by Google

اه وذكره العماد الكاتب في الخريدة واثنى عليه وقال انه جاب البلاد وتغرب وا كثر التنقل والحركات وتغلغل فى اقطار خراسان وكرمان ولقي ناصر الدين بن مكرم بن العلاء وزير كرمان ومدحه بقصيدته البائية التى يقول فيها

حملنا من الايام ما لا نطيقه   كما حمل العظم الكسير العصائبا

ومنها في قصر الليل

وليل رجونا ان يدب عذاره   فما اختط حتي صار بالفجر شعائبا

ومن شعره

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة   باب الدواعى والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى   منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب ان نراه كاسدا   و يخان فيه مع الكساد و يسرق

ومن شعره

وخز الاسنة والخضوع لناقص   امران فى ذوق النهى مران
والرأي ان تختار فيما دونه ال   مران وخز أسنة المران

ومن شعره

من آلة الدست ما عند الوزير سوى   تحريك لحيته في حال ايماء
فهو الوزير ولا أزر يشدّ به   مثل العروض له بحر بلا ماء

وله

وجف الناس حتى لو بكينا   تعذر ما تبل به الجفون
فما تندى لممدوح بنان   ولا يندي لمهجوّ جبين

ولد بغزة وتوفي وقد جاوز التسعين ودفن ببلخ سنة ٥٣٤

ومن نظم الغزى

قالوا بعدت ولم تقرب فقلت لهم   بعدى عن الناس في هذا الزمان حجا
اذا خروجك لم يخرجك عن كرب   حسدت من كان جليس البيت ماخرجا
كم عالم لم يلج بالقرع باب غنى   وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

Digitized by Google

قعدت في البيت اذ ضيعت منتظرا   من رحمة الله بعد الشدة الفرجا

قال المصنف رحمه الله ﴿ تنبيه ﴾ قال كاتبه ومصنفه احمد بن على الدلجى عافاه الله من الفلاكة مهما وجدت فى ترجمة عالم او شاعرانهطاف البلاد وجال وتنقل فاحكم عليه ما لم يكن محدثًا بانه في غاية الفلاكة وهذا امر يصححه عندي الذوق والوجدان ولا أشك فيه وانا اقطع بأن التنقل من لوازم الفلاكة وما خرج احد من بلد ويمكنه الاقامة فيها والله اعلم

« الفارابي »

محمد ابو نصر بن محمد بن اوزلغ بن طرخان من مدينة فاراب من بلاد الترك كان اماماً فاضلا وفيلسوفًا كاملا برع فى الفلسفة واتقنها وأظهر محاسنها وتفنن في فن الموسيقى واخترع فيه مالم يسبق اليه وشرح كتب الاوائل كان في اول الامر قاضيًا ببلاده فأودع عنده رجل من التجار جملة من كتب ارسطاطاليس فنظر فيها فصادفت منه قبولا فترك القضاء واكب عليها بجملته وتجرد وسافر الى بغداد واقام بها وقرأ بها المنطق على يوحنا بن حبلان وقرأ النحو على ابي بكر بن السراج ثم سافر الى مصر ثم رجع الى دمشق وأقام بها الى ان مات — قال ابو الحسن الآمدى كان الفارابي متقنعًا باليسير من الرزق وكان فى اول امره ناطوراً ببستان بدمشق وهو فى مثل هذه الحالة ملازم للاشتغال ليله ونهاره وكان فى اكثر لياليه يستضئ على المطالعة بقنديل الحارس ولم يزل كذلك حتى ظهر فضله وكثرت تلامذته واجتمع به الامير سيف الدولة ابو الحسن على بن عبد الله الثعلبي فاكرمه وأوسع عليه فلم يقبل منه سوى اربع دراهم فضة في اليوم يصرفها فى الضرورى من عيشه ومن دعائه اللهم ألبسنى حلل البهاء وكرامات الانبياء وسعادة الاغنياء وعلوم الحكماء وخشوع الاتقياء ومن شعره

بزجاجتين قطعت عمرى   وعليهما عولت امرى
فزجاجة ملئت بحبر   وزجاجة ملئت بخمري
فبذى ادوّن حكمتى   وبذى ازيل هموم صدري

Digitized by Google

وكان يرى الانفراد على شرب الخمر ولايحب المنادمة عليها — توفى رحمه الله في شهور سنه ٣٣٤ نقلت ذلك كله من عيون الانباء فى طبقات الاطباء مما اختاره الحسن ابن احمد بن زفر الاربلى الشافعي من تاريخ ابن اصيبعة

« الهروى »

صاحب الغريبين ابو عبيد احمد بن محمد بن محمد بن عبيد العبدي الهروي القاشانى من كبار العلماء اخذ عن ابى منصور الازهرى اللغوى وكتابه المذكور فسر فيه غريب القرآن وغريب الحديث النبوى وسار فى الآفاق قال ابن خلكان وقيل انه كان يحب البذلة ويتناول فى الخلوة ويعاشر اهل الادب فى مجالس اللذة والطرب عفا الله عنه وقد أشار الباحزرى فى ترجمة بعض ادباء خراسان الى شيء من ذلك اه توفى سنة ٤٠١ وضبط القاشانى بالقاف والشين المنقوطة

« ابن فارس اللغوى »

ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد الرازي اللغوى كان اماما فى علوم شتى خصوصا اللغة فانه اتقنها والف كتابه المجمل فى اللغة وهو على اختصاره جمع اشياء كثيرة وله رسائل أنيقة ومسائل فى اللغة يعايي بها الفقهاء ومنه اقتبس الحريرى ذلك الاسلوب في مقامته التى وضع فيها مائة مسئلة وعنه اخذ البديع الهمذاني ومن نظمه

اذا كنت في حاجة مرسلا   وانت بهـا كلف مغرم
فأرسل حكيماً ولا توصـه   وذاك الحكيم هو الدرهم

ولـه

سقى همذان الغيث لست بسائل   سوى ذا وفى الاحشاء نار تضرم
ومالى لا أصفى الدعاء لبـلدة   افدت بها بستان ما كنت اعلم
نسيت الذى احسنته غير اننى   مدين وما فى جوف بيتى درهم

ولـه

وقالوا كيف حالك قلت خير   تقضى حاجة وتفوت حاج

Digitized by Google

اذا ازدحمت هموم الصدر قلنا عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمى هرتي وأنيس نفسى دفاتر لى ومعشق فى السراج

توفى سنة ٣٩٠

جحظة

ابو الحسين احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف بجحظة البرمكي كان فاضلا صاحب فنون واخبار ونجوم ونوادر ومنادمة واشعار ومن شعره

فقلت لها بخلت عليّ يقظى فجودى في المنام لمستهام
فقالت لى وصرت تنام ايضاً وتطمع ان ازورك في المنام

وله

اصبحت بين معاشر هجروا الندى وتقبلوا الاخلاق من اسلافهم
قوم احاول نيلهم فكأنما حاولت نتف الشعر من آنافهم
هات اسقنيها بالكبير وغنى ذهب الذين يعاش في اكنافهم

وله

وقائلة لى كيف حالك بعدنا افى ثوب يسر انت ام ثوب معسر
فقلت لها لا تسأليني فانني اروح واغدو فى حرام مقتر

توفى سنة ٣٢٦

ابن الخياط

الشاعر المفطور صاحب الديوان المشهور ابوعبد الله احمد بن محمد الثعابي المعروف بابن الخياط طاف البلاد وامتدح الناس ودخل بلاد العجم دخل مرة الى حلب وهو رقيق الحال لا يقدر على شئ فكتب الى ابن حبوس الشاعر المشهور

لم يبق عندى ما يباع بحبة وكفاك مني منظرى عن مخبرى
الا بقية ماء وجه صنتها من ان تباع وأين اين المشتري

وقصيدته البائية كفاه بها تعريفاً بفضله وهي التي اولها. خذا من صبا نجد امانا لقلبه.

توفى سنة ٥١٧

Digitized by Google

الحافظ ابو الفضل

محمد بن طاهر المقدسى ذكره الامام العلامة الحافظ عبد الكريم بن السمعانى فى ذيله على تاريخ بغداد وقال في أثناء ترجمته كان بحراً فى الحديث وقال ايضاً في أثناء الترجمة رداً على الطاعنين فيه وفضل محمد بن طاهر ومعرفته بعلم الحديث وتصانيفه وتبحره لا ينكر ومن أنكر من مشايخنا عليه فانما انكر سيرته ولعله تاب — وتقل عن ابى الحسن بن ابى طالب الكرخى الفقيه انه قال عنه ما كان على وجه الارض له نظير ثم نقل عنه انه صنف كتاباً فى جواز النظر الى المرد وانه قال رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها فقيل له تصلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح ونقل ايضاً عنه حكاية خرج منها انه كان فى غاية الفقر وملخصها ان الحال اعوزته وهو يكتب الحديث ولم يبق معه غير درهم وهو محتاج الى كاغد والى خبز فردده بين الامرين يوماً وثانيه فلما كان اليوم الثالث قال لم يبق الا الخبز فاني ان اشتريت به كاغداً لا أقدر على النسخ لاجل الجوع فوضعه فى فيه وخرج ليشترى به فاتفق انه ابتلعه فأخذه الضحك فلقيه ابو طاهر الصائغ فسأله عن سبب ضحكه فكتمه اياه فألح عليه فامتنع فحلف عليه بالطلاق ليخبرنه الخبر فأخبره بالحال فحمله الى البيت وتسبب له فى دراهم كثيرة اه ملخصاً

ابو العلاء محمد بن محمد بن صالح بن الهبارية

كان اماماً فى علوم الادب بحراً فى النظم والنثر سلس الشعر مع قوة المعني وصحة المبنى ومن نظمه يمدح امين الدولة بن التلميذ وكان نصرانياً وكان محمد بن الهبارية شريفاً عباسياً

يا بني التلميذ لو وافيتكم	لم تكن نفسى بأهلى شغفه
انما طلقت كرمان بكم	انكم لى عوض ما أشرفه
برئيس الحكماء المرتجى	انه لى جنة مخترقه
شمس مجد لا تراها أبداً	عن سموات العلى منكسفه

Digitized by Google

جل ان يدرك وصف مجده   انه اكثر من كل صفه
لو تمكنت لكانت جملتي   في زوايا داره معتكفه
فيه تفتخر الدنيا التي   اصبحت من غيره مستنكفه
انما احبو بني التلميذ بالـ   ـمدح اذ كلهم ذو معرفه
فابن يحيى منهم محيي الندا   زاد في الجود على من خلفه
حقق الكنية من والده   كرماً فيه وطبعاً ألفه
وهم من صاعد عن سادة   بأبي مجدهم ما أنطفه
لا تقسهم بالورى كلهم   فتقس لب السرى بالجعدفه
فابن ابراهيم لاهوت العلى   من دعاه بشراً ما أنصفه
يا رئيس الحكماء استجلها   من بنات الفكر بكراً مترفه
انني انفدت نجلي قاصداً   اشتكي دهراً قليل النصفه

قلت وقوله فابن يحيي منهم يحيي الندا الخ أراد به ابو الفرج يحيي بن التلميذ وهو يحيي بن صاعد بن يحيي بن التلميذ الملقب معتمد الملك وله فيه مدائح غيرها فمنها قوله

يحيي بن صاعد بن يحيي لم يزل   للمكرمات الى حيالي خالبا
ما زال يعر بني علاه ولم ازل   بعلاه ما بين البرية خاطبا

ومنها

لا تحوجن اخاك لا بل عبدك ا   لقن بن عبدك ان يروم اجانبا
فلأنت اولى بي لما عودتني   عمن غدا لي في الاصول مناسبا
ثقة الخلافة سيد الحكماء معـ   ـتمد الملوك الفيلسوف الكاتبا
مازح وطايب ما استطعت فما الفتى   ممن يكون ممازحاً ومطايبا
وفداك من نوب الزمان وصرفه   قوم يزيدون الزمان معايبا

وسبب ذلك أنه أتاه الى اصفهان فحصل له مالا جزيلا من كبارها

Digitized by Google

ابن المنير

ابو الحسين احمــد بن المنير الطرابلسي الملقب مهذب الدين عين الزمان الشاعر المشهور مهر في اللغة والادب وقال الشعر فأجاد قدم دمشق وسكنها وكان كثير الهجاء بذى اللسان ولما كثر منه ذلك سجنه نورى بن اتابك صاحب دمشق وعزم على قطع لسانه فشفع فيه ونفى وله من جملة قصيدة

واذا الكريم رأى الخمول نزيله في مـنزل فالرأى أن يتحولا
كالبدر لمـا ان تضاءل جد في طلب الكمال فحازه متنقلا

ومنهـا

لله علمى بالزمان وأهـله ذنب الفضيلة عندهم أن تكملا
طبعوا على لؤم الطباع فخيرهم ان قلت قال وان سكت تقولا

توفى في جمادي الآخرة سنة ٥٤٨

النفيس

ابو العباس احمد بن ابي القاسم المنعوت بالنفيس كان من العلماء والادباء وله ديوان شعر جاد فيه — ذكره العماد في الخريدة فقال فقيه مالكى المذهب له يد في علوم الاوائل والادب ومن شعره

يسر بالعيد اقوام لهم سعة من الثراء وأما المقترون فلا
هل سرنى وثيابي فيه قوم سبا امراقنى وعلى رأسى به ابن جلا

— توفى سنة ٦٠٣ بقوص بعد ان جاب البلاد واستجدى الناس بشعره

ابو الصلت

امية بن عبد العزيز الاندلسى كان اديباً ماهراً فى علوم الاوائل ذكره العماد فى الخريدة واثنى عليه ومن نظمه

وقائلة ما بال مثلك خاملا أأنت ضعيف الرأى ام أنت عاجز
فقلت لها ذنبي الى القوم انني لمـا لم يحوزوه من الفضل حائز

Digitized by Google

توفى سنة ٥٣٨

مبرمان

النحوى شارح كتاب سيبويه وان كان لم يتمه هو ابو بكر بن محمد على العسكرى أخذ عن المبرد وتصدر بالأهواز — قال الذهبي كان وضيع النفس يأخذ من الطلبة و يطلب حمال قفص فيحمله الى داره من غير عجز وربما انبسط فبال على الحمال و يتنقل بالتمر فيحذف بنواه الناس ـ توفى سنة ٣٢٧ ولقبه المبرد مبرمان لكثرة سؤاله له ومن مصنفاته كتاب علل النحو وكتاب التلقين وكتاب شرح شواهد سيبويه وكتاب شرح سيبويه وكان اذا ركب فى طبلية الحمال و بال عليه اعتذر له بقوله احسب انك حملت رأس غنم

ابو الحسن الربعي

علي بن عيسى بن الفرج بن صالح ابو الحسن الربعي النحوى الزيدى أحد أئمة النحو كان دقيق النظر في النحو جيد الفهم والقياس لازم ابا على الفارسى عشرين سنة فقال له ابو على ما بقيت تحتاج الىّ ولو سرت من الشرق الي الغرب لم تجد أنحى منك ومن تصانيفه شرح الايضاح للفارسي وكتاب شرح مختصر الجرمى وكتاب البديع في النحو وكتاب المبنى على فعال وكتاب التنبيه على خطا ابن جني فى تفسير شرح المتنبي وكتاب شرح سيبويه وكان يرمى بالجنون مر يوماً بسكران ملقى على قارعة الطريق فحل سراويله وجلس على أنفه وجعل يضرط وينشد

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

ونازعه يوماً شخص فى مسئلة فعمد الى شرحه لكتاب سيبويه فوضعه في اجانة وصب عليه الماء وغسله وجعل يلطم الحيطان و يقول جزاء من يجعل اولاد البغالين نحاة وسأل من تلامذته ان يركبوا معه الى كلواذ فظنوا حاجة عرضت فركبوا معه وعرضوا عليه الركوب فأبى فلما صار بحذائهم اوقفهم على سلم واخذ كساء وعصا وما زال يعدو على كلب هناك وهو يهرب منه تارة ويثب عليه اخرى حتي اعياه ذلك فعاونوه عليه فامسكه وعضه عضاً شديداً وقال هذا عضني منذ ايام فاردت اخالف فيه قول الشاعر

Digitized by Google

شاتمني عبـد بني مسمع فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبـه لاحتقاريـ له ومن يعض الكلب ان عضا

توفي سنة ٤٣٠

القـالى

ابو الحسن على بن احمد بن على القالى كانت له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد وكان كلفا بها فدعته الحاجة الى بيعها فباعها فاشتراها الشريف المرتضى فوجد فيها أبياتًا بخط بائعها ابى الحسن القالى المذكور

انست بها عشرين حولا وبعتها فقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظـنى اننى سأبيعها ولو خلدتني فى السجون ديونى
ولكن لضعف وافتقـار وصبية صغار عليهـم تستهل جفـوني
فقلت ولم املك سوابق عـبرة مقالة مكويـ الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا ام مالك ودائع من رب بهن ضنين

البيهقى

احمد بن الحسين بن على بن عبد الله بن موسى البيهقى الخسروجردي الامام ابو بكر وخسروجرد بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون الراء وفى آخره دال هو الامام الجليل الحافظ الفقيه الاصولى القائم بنصرة مذهب الشافعى صاحب التصنيفات له كتاب السنن الكبير وكتاب المبسوط فى نصوص الشافعى وكتاب دلائل النبوة وكتاب شعب الايمان وكتاب معرفة السنن والآثار — قال تقي الدين السبكي معناه معرفة الشافعى بالسنن والآثار وغير ذلك قال تاج الدين السبكي فى الطبقات كان على سيرة العلماء قانعا من الدنيا باليسير متجملا فى زهده وورعه — توفى في نيسابور فى جمادى الاولى سنة ٤٥٨

« أبو سعيد الاصطخرى »

الحسن بن احمد بن يزيد بن عيسى الامام الجليل ابو سعيد الاصطخرى القاضي

Digitized by Google

قال الخطيب احد الائمة المذكورين من شيوخ الفقهاء الشافعيين كان ورعاً زاهداً متقللا قال الطبرى وحكي عن الداركي انه قال ما كان ابو اسحاق المروزى يفتى بحضرة الاصطخرى قال ابو اسحاق المروزى سئل يوماً ابو سعيد عن المتوفى عنها زوجها اذا كانت حاملا هل تجب لها النفقة فقال نعم فقيل ليس هذا من مذهب الشافعي فلم يصدق فأراه كتابه فلم يرجع وقال ان لم يكن مذهبه والا فهو مذهب على وابن عباس قال ابو اسحاق لحضر يوماً مجلس النظر مع ابي العباس بن شريح فتناظرا فجري بينهما كلام فقال له ابو العباس انت سئلت عن مسئلة فأخطأت فيها وانت رجل كثرة اكل الباقلاء قد ذهبت بدماغك فقال له ابو سعيد وانت كثرة اكل الخل والمري قد ذهب بدينك — قال الطبرى وكان من الورع والزهد بمكان لم يصله سواه يقال انه كان قميصه وعمامته وسراويله وطيلسانه من شقة واحدة وكانت فيه حدة وله تصانيف كثيرة فمنها كتاب أدب القضاء ليس لاحد مثله ومن مفردات مسائله قوله انه ينتقض الوضوء بمس الامرد — توفى ببغداد فى ثاني الجمادين سنة ٣٢٨ نقلته من طبقات السبكي

السيد ركن الدين

الحسن بن محمد بن شرفشاه العلوي الحسينى الاسترابادى تلميذ النصير الطوسى ابو الفضائل له عدة مصنفات منها شرح اصول ابن الحاجب وشرح مقدمته فى النحو وشرح الحاوى شرحين وكان له ادرارات وجوامك كل يوم ستون درهماً كان يعيد دروس النصير الطوسى في الحكمة قال الشيخ شهاب الحسباني ومن خطه نقلت وكان فى دينه رقة — توفى سنة ٧١٨ بالموصل

ابو هفان

عبد الله بن احمد بن حرب بن خالد ابو هفان النحوى اللغوى روي عن الاصمعي وصنف كتباً منها كتاب صناعة الشعر كبير وكتاب اخبار الشعراء قرأت بخط الحسبانى انه كان مقتراً عليه ضيق الحال وان دعبلا الخزاعى اضافه وسقاه نبيذاً حلواً ووصى الجوارى ان لا يدلوه على الخلاء ثم تركه ونام فقال لبعض الجوارى اين الخلاء فقالت لها الاخرى

Digitized by Google

ما يقول سيدى فقالت يقول غنى

خلا من آل عاتكة الديار فمثوى اهلها منهم قفار

فغنت هذه وصرخت هذه وشربوا اقداحاً فقال احسنتم غير انكم لم تأتوا على مافى نفسي فلما اجهده الامر قال لعل الجارية بغدادية لا تعرف الخلاء فقال لها اين المستراح ففعلوا كفعلهم الاول فقال لعلهن حجازيات اين الحش ففعلوا كذلك ثم قال لعلهن كوفيات اين الكنيف فأعادوا ذلك فحل سراويله وذرق فى وجوههن فانتبه دعبل وامر له بثياب وهي حكاية طويلة قال سعيد بن حميد لابى هفان لان ضرطت عليك ضرطة لأبلغنك الى فيد فقال له ابو هفان أسعدني بأخرى تبلغني الى مكة فانى ما حججت بعد — مات سنة ٢٥٥

(الرياشي)

العباس بن الفرج الرياشي مولاهم قال المبرد سمعت المازنى يقول قرأ الرياشي عليّ كتاب سيبويه فاستفدت منه أكثر مما استفاد مني يعني انه أفاده لغته وشعره وافاده هو النحو قال المبرد وكان الرياشي والله أحمق ومن حمقه انه اذا كان صائماً لا يبلع ريقه

(ابن بابشاذ)

النحوى البصرى العلامة طاهر بن احمد بن بابشاذ ابو الحسن كان يأكل يوماً مع بعض أصحابه طعاماً فجاء قط فرمي اليه بشيء فأخذه وذهب به وعاد سريعاً ثم فعل ذلك مرة بعد أخري فعلم ان له سبباً فاتبعوه فاذا بقط آخر أعمي فى سطح فقال الشيخ هذا حيوان بهيم قد ساق الله له رزقه أفلا يرزقنى وأنا عبده فترك علائقه الدنيوية ولزم غرفة في جامع عمرو بن العاص وأقبل على العلم وجمع تعليقه فى النحو قريباً من خمسة عشر مجلداً وأصحابه كابن برّي وغيره ينقلون منها ويسمونه تعليقة الغرفة وكان له معلوم وراتب على قراءته للكتب التى يكتبونها عن السلطان واصلاحها تعرض عليه قبل أن تحمل الي الجهة التى عينت لها — سقط من سطح جامع عمرو بن العاص فمات من وقته سنة ٤٦٩

Digitized by Google

عبد الرحمن

ابن محمد بن عبيد الله بضم العين مصغر ابن ابي سعيد كمال الدين ابو البركات الانبارى النحوي صاحب التصانيف المفيدة منها هداية الذاهب فى معرفة المذاهب وبداية الهداية فى الاصول والداعى الى الاسلام في الكلام والنور اللائح فى اعتقاد السلف الصالح وفى الادبيات ما يزيد على خمسين مصنفاً انتهت الرحلة اليه بالعراق من سائر الاقطار — قال الموفق عبد اللطيف لم نر فى العباد والمنقطعين اقوى طريقة ولا اصدق منه فى اسلوبه جدّ محض لا يعتريه تصنع ولا يعرف السرور ولا احوال العالم كان له من ابيه دار يسكنها ودار وحانوت مقدار اجرتها نصف دينار فى الشهر يقنع به ويشترى منه ورقا ولا يوقد عليه ضوأ وتحته حصير قصب وعليه ثوب وعمامة قطن يلبسهما عند المضى الى الجمعة ويلبس فى بيته ثوباً خلقاً ولا يخرج منه الايوم الجمعة وسير اليه المستضيء خمسمائة دينار فردها فقال له اجعلها لولدك فقال ان كنت خلقته ارزقه — توفى ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة ٤٧٧ ودفن في تربة الشيخ ابى اسحاق الشيرازي

الواحدى

على بن احمد بن محمد ابو الحسن الواحدى كان مفسراً نحوياً لغوياً اصولياً انفق فى صباه مالا على تحصيل العلم وكان من أولاد التجار وذكر فى مقدمة تفسيره الذى سماه البسيط أشياخه ومن قرأ عليه قيل للغزالى لما صنف كتبه ما عملت شيئاً أخذت الفقه من امام الحرمين من نهايته وأسماء الكتب من الواحدى وكان الغزالى يقول من أراد أن يسمع التفسير كأنه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعليه بتفسير الواحدى وله كتاب نفي التحريف عن القرآن الشريف وغيره وكان عديم النظير الا انه كان يبسط لسانه في العلماء — توفي سنة ٤٦٨

(ابن برهان)

عبد الواحد بن على بن عمر بن اسحاق بن ابراهيم أبو القاسم بن برهان النحوي الاسدى العكبرى صاحب العربية والنحو والتاريخ وأيام العرب قرأ على عبد السلام

Digitized by Google

البصري وأبي الحسن التميمي كان فيه شراسة على من يقرأ عليه وكان الطلبة يمشون حوله يميناً وشمالا وهو يلقي عليهم المسائل وتكبر عـلى أولاد الرؤساء وكان يتعصب لمذهب أبي حنيفة وكان يحب الباذنجان و يقول فى تفضيله الناس يأكلونه ثمـانية أشهر فى العام وهم أصحاء ولو أكلوا الرمان أربعة أشهر فلجوا . قرأت بخط الشيخ شهاب الدين الحسباني انه كان علي امامته وديانته يحب مشاهدة المليح و يقبل أولاد الامراء والاتراك وأرباب النعم بمحضر من آبائهم ولا ينكرون عليـه ذلك لعلمهم بدينه وورعه — توفى سنة ٤٤٦ قال ولم يكن يلبس سراويل ولا على رأسه غطاء

(الحريرى)

صاحب المقامات القاسم بن على بن محمد بن عثمان أبو محمـد البصرى الحرامى الحريرى أحد الأئمة فى النظم والنثر وعمل بعد الحريرى مقامات كثيرة . مقامات ابن الصقيل . مقامات أبى العباس يحيي النصرانى المعروفة بالمسيحية . مقامات أبى الهيجاء شهنيروز . شرح المقامات ابن ظفر شرحين كبير وصغير والمطرزى والشريشى وغير واحد قيل وكانت مسوداتها نحو حمل جمل سمع الحريرى من أبي تمام محمد بن الحسن بن موسى المقري وأبي القاسم بن الفضل المقصانى الاديب وقرأ النحو على أبي الحسن بن فضال المجاشعي شيخ امام الحرمين فى العربية وتفقه على الشيخ أبي اسحاق الشيرازى كان الحريري غنياً له ثمانية عشر الف نخلة كل نخلة في سنة بدينار وقيل انه كان قذراً فى نفسه وشكله ولبسه قصيراً ذميا بخيلا مولعاً بنتف ذقنه وحكي بعض اهل الادب ان الحريرى لمـا قـدم بغداد وكان الناس يهتفون بفضائله و يتطلعون الى لقائه فحضر اليـه ابن حكينا المعروف بالبرغوث الشاعر فلم يجده على ما كان في ظنه فنظم أبياتا

شيخ لنـا من ربيعة الفرس ينتف عثنونه من الهـوس
أنطقـه الله بالمشان وقد ألجمـه فى العراق بالخرس

وقيل ان الحريري حضر مجلساً فذكروا فيه قول بعض الادباء ان لم يكن لنا طمع في دركٍ درّك فاعفنا من شركٍ شرّك استحسنها الحاضرون فعمل الحريرى فى الحال

Digitized by Google

ان لم تدننا من مبارك مباركٍ فأعدنا عن معارك معاركٍ و بلغه ان صاحباً له يسمي أبا زيد المطهر بن سلام البصري الذى عمل المقامات على لسانه شرب مسكراً فكتب اليه ابا زيد اعلم ان من شرب الطلا تدنس فافهم سر قولى المهذب ومن قبل سميت المطهر والفتى يصدق بالافعال تسمية الاب فلا تحسبها كي ما تكون مطهراً والا فغير ذلك الاسم واشرب

ابو العباس

احمد بن الحسين النحوى الموصلى المعروف بابن الخباز كان من علماء النحو وفرسانه اديباً لطيف الروح عذب العبارة حسن النظر كثير الاطلاع والحفظ قال ابن هشام مصنف المغنى فيما وجدته بخطه وكأنه كان غير منصف من اهل زمانه وقد وقفت له على عدة تآليف يشكو فيها حاله فمن ذلك قوله فى خطبة كتابه الذى سماه الفريدة فى شرح القصيدة وهى قصيدة ابي عثمان سعيد بن المناس الشهير بابن الدهان فان اصبت فمن فضل الله الرحيم وان اخطأت فمن الشيطان الرجيم ومن علم حقيقة حالى عذرنى اذا قصرت بان عندى من الهموم ما يزع الجنان عن حفظه ويكف اللسان عن لفظه ولو ان ما بي بالجبال لهدها وبالنار اطفأها وبالماء لم يجر وبالناس لم يحيوا وبالدهر لم يكن وبالشمس لم تطلع وبالنجم لم يسر وانا اسأل الله العظيم ان يكفيني شر شكواى وان لا يزيدني على بلواى فانى كلما اردت خفض العيش صار مرفوعاً وعاد بالحزن سبب المسرة مقطوعاً والله المستعان في كل حال ومنه المبدأ واليه المآل نقلت ذلك كله من خط العلامة جمال الدين بن هشام مصنف المغنى وقال المصنف رحمه الله نقلت من خط الشيخ نور الدين الابيارى الصعاليك من العرب عروة بن الورد العبسى وتأبط شرا الفهمي والشنفرى الازدي أزد شنوءة وعمرو بن معدى كرب الزبيدي والاسعر بن مالك الاودى وعمرو بن برّاق الهمداني وشراحيل بن الاشهب الجعفى وابو خراش الهذلى وعمرو ذو الكلب الهذلى ونقلت من خطه ايضاً قال الذهبي كان في الاشعر دعابة ومزح كثير وكان يقنع باليسير وكان له بعض قرية من وقف جدّهم الامير جلال بن أبي بردة ويقال انه بقي الى سنة ٣٣٠

الفصل الحادى عشر

فى مباحث تتعلق بالفصل قبله ومن المباحث النكبات الحاصلة للاعيان لا يحملنك قلة من عددنا في الفصل قبله من العلماء الذين تقلصت عنهم الدنيا على توهم انبساط الدنيا على غالب العلماء أو معظمهم واعتقاد تمتعهم بها فان لانحصارهم في العدد المذكور فى الفصل قبله أسباباً منها انا لم نذكر من العلماء الا من زويت عنه الدنيا ولم يترجم بزهد وشدة تقشف وردّ للدنيا واعراض عنها وسقط بذلك طائفة كثيرة مثل الشيخ

(محيي الدين النواوى)

يحيي بن شرف بن مرى مع انه كان لا يأكل الا أكلة بعد عشاء الاخيرة ولا يشرب الا شربة واحدة عند السحر ولا يشرب الماء المبرد ولا يأكل من فاكهة دمشق معللا ذلك بان الاوقاف والاملاك للمحاجير فيها كثيرة والتصرف لهم لا يجوز الا علي وجه الغبطة والمعاملة فيها على وجه المساقاة وفيها خلاف والناس لا يفعلونها الا على جزء من الف جزء للمالك وكان لا يدخل الحمام ولم يتزوج ولم يشرب الفقاع ومأكله كعك يابس وتين حوران يأتيه به ابوه وملبسه الثياب المرقعة توفى سنة ٦٧٦

ومثل السهروردى

صاحب عوارف المعارف امام وقته لسانا وحالا وعلماً وعملا مع انه عمي فى آخر عمره واقعد ومات ولم يخلف كفناً — توفى سنة ٦٣٢

والحسن بن العباس الرسخى

الاصفهانى مع انه كان يسمع عليه الحديث وهو فى رثاثة من الملبس والمفرش بحيث لا يساوى طائلا كما ذكره ابن كثير فى طبقاته — توفى سنة ٥٦١

ومثل ابراهيم بن اسحاق

ابن بشير ابو اسحاق الحوى احد الائمة فى الفقه والحديث وغير ذلك امام مصنف عالم يقاس بالامام احمد شيخ الدارقطنى كان يقول الرجل الذى يدخل غمه على نفسه

Digitized by Google

ولا يدخله على عياله وقد كان بي شقيقة منذ خمس واربعين سنة ما اخبرت بها احدا قط ولي عشر سنين ابصر بفرد عين ما اخبرت به احداً أنفق على نفسه وعياله فى بعض الرمضانات درهما واربعة دوانيق ونصفا وبعث اليه المعتضد بعشرة آلاف درهم فابي ان يقبلها فرجع الرسول يقول له قال لك امير المؤمنين فرقها على جيرانك فقال هــذا شئ لا نجمعه ولا نفرقه اما أن يتركنا واما أن نتحول من بلده — توفى لتسع بقين من ذي الحجة سنة ٢٨٤ وكغيرهم من العلماء والاولياء

ومنها انا لم نذكر أيضاً من لم ينص على فقره صريحًا او بلازم واضح وكثيراً مايقول المترجمون كان متقالا ويقتصرون عليه فلا أذكره مع الظن بانه من المستحقين للذكر فى الفصل قبله فمن ذلك (ابن الانبارى) عبد الرحمن بن محمد بن الانبارى صاحب أسرار العربية والمصنفات التى تزيد على مائة تصنيف فانهم قالوا في ترجمته انقطع للعبادة والعلم صابراً على خشن العيش والتقلل منه — توفي سنة ٣٧٧ - ومنه (عزيزي بن عبد الملك الشافعي المعروف بشيدله) صاحب مصارع العشاق فانهم قالوا في ترجمته كان زاهداً متقللا من الدنيا — توفي سـنة ٤٩٤ — ومنه (المبارك) بن محمد ابن عبد الله السوادى الواسـطى نزيل نيسابور أحد اركان الفقهاء المكثرين الحافظين للمذهب القوى المناظرة قالوا في ترجمته كان متجملا قانعاً باليسير ومع ذلك ما ذكرته وغـيرهم ممن لم يتضح لى فقره الا بلازم ضعيف أو عبارة مجمجمة وسقط بذلك طائفة كبيرة — ومنها انا لم نذكر كل من شد أطرافاً من العلم كيف ما كان وقعدت عنه الدنيا بل انما ذكرنا الاعيان وسقط لذلك طائفة كبيرة — ومنها انى لم أذكر الا من صرح بفقره او بلازم فقره الجلى أما من لم يصرح بفقره ولا بغناه ولا يسند اليه تولية منصب ولا تدريس بل ترجموه بالعلم وسيبوه فلم أذكره وفيه بحث لانه لا يلزم من عدم ذكر الفقر عدم الفقر ولا يقال هو معارض بمثله لانه لا يلزم من عدم ذكر الغنى عدم الغنى لانا نقول لكن الترجيح معنا لما ان المؤرخين بصدد ذكر كمالات المترجم حتى انهم يذكرون تداريس لا يعبأ بها فى بعض التراجم فلو كان لذكر لتوفر الداعية على نقله فلما لم يذكر علم انه لم يقع وسقط بذلك طائفة كثيرة مثل (ابن الحاجب) ابى

Digitized by Google

عمرو عثمان المالكي المتوفي سـنة ٦٤٦ ومثل (ابن عصفور) على بن مؤمن بن محمد العلامة الاشبيلى المتوفى سنة ٦٦٤ ومثل ابى محمد عبدالله (ابن الخشاب) وغيرهم من العلماء الائمة ومثل (الزمخشرى) ومن نظمه

خليليّ هل تجدى عليّ فضائلى ... اذا انا لم ارفع على كل جاهـل
من الغبن ذو نقص ينال منازلا ... اخو الفضل محقوق بتلك المنازل
كفى حزناً ان يرغم العلم والحجا ... بضد زياد طيشه غـير عاقل
ومن لى بحق بعد ما وقرت على ... اراذلهـا الدنيا حقوق الاماثل
كذا الدهر كم شوهاء فى الحلى جيدها ... وكم جيد حسناء المقلد عاطل
ومـا شجانى ان غر مناقبي ... يغنى بهـا الركبان بين القوافل
وطارت الى اقصى البلاد قصائدى ... وسارت مسير النيرات رسائلي
وكم من أمال لى وكم من مصنف ... اصاب بهـا ذهني محز المفاصل
غنى من الآداب لكننى اذا ... نظرت فما في الكف غير الانامل
فيـا ليتنى اصبحت مستغنياً ولم ... اكن فى خوارزم رئيس الافاضل
ويا ليتنى مرض صديقى ومسخط ... عدوّي وأني فى فهاهة باقـل
فلست بفضـلي بالغاً ولو انني ... كقس اياد او كسحبان وائل
وما حق مثلى ان يكون مضيقاً ... وقد عظمت عند الوزير وسائلى
فلا تجعلونى مثل همزة واصل ... فيسقطنى حذف ولا راء واصل
فكل امرئ امثاله عدد الحصا ... وهات نظيرى في جميع المحافل
فوقع الى هذا الزمان فانه ... غلامك يجعلني كبعض الاراذل

(ومنها) انا لم نذكر من ترجم بفقر ثم بغنى زائد تغليباً لجانب الغنى المتأخر وسقط بذلك ايضاً طائفة (ومنها) ان الكتب والزمان لم يساعدا على استيفاء هذا المقام واعطائه حقه فلعل مالم نره اكثر مما وقفنا عليه (ومنها) انا لم نذكر الا ما وقفنا عليه فى كتاب معتمد وضع للتراجم اما الكتب الادبية ففيها اشياء كثيرة لم اذكرها (منها) ما في العقد لابن عبد ربه وشرح الزيدونية لابن نباتة ان ابا الاسود الدؤلى النحوى

Digitized by Google

وسهل بن هارون الملقب بزر جمهر الاسلام والكندي الامام فى العلوم العقلية الملقب بفيلسوف العرب كانوا في غاية البخل وفى عـدم ذكر ابي الاسود الدولى معني آخر هو جلالته وصيانته عن نسبة البخل اليه (ومنها) انى لم اذكر فى الفصل قبله فى النكبات العارضة للاعيان فقلما خلا عالم او نبيل من نكبة وانا اذكر هنا طرفاً لائقاً بمقصودى من ذوى النكبات

« مالك بن انس »

ابن ابي عامر بن الحرث بن غيمان بالغين المعجمة ابو عبد الله الامام المدنى احد أئمة الاسلام سعى به الى جعفر بن سليمان بن على بن عم ابي جعفر المنصور فدعا به وجرّده وضربه سبعين سوطاً ومدت يداه حتى انخلع كتفاه وسبب ضربه انهم سألوه عن مبايعة محمد بن عبـد الله بن حسن وقالوا له ان فى اعناقنا مبايعة ابي جعفر فقال انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين فأسرع الناس الى محمد فسعى به فضرب لذلك ثم لم يزل بعده في علو ورفعة كأنما كانت تلك السياط حليا تحلى بها — توفى سنة ١٧٤

أبو حنيفة

النعمان بن ثابت الفقيه الكوفي احد الائمة المتبوعين كان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين فأراده لقضاء الكوفة ايام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فأبى فضربه مائة سـوط وعشرة اسواط كل يوم عشرة أسواط وبقي عـلى الامتناع وسجنه فتوفى بالسجن في احد القولين سنة ١٥٠ ببغداد

الامام احمد بن حنبل

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزى ثم البغدادى استحوذ عـلى المأمون جماعة من المعتزلة وقوّلوه بخلق القرآن فعنّ له بطرسوس ان يكتب الى نائب بغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب يأمره ان يدعو الناس الى القول بخلق القرآن فكان ذلك اول الفتنة وكان ذلك آخر عمر المأمون قبل موته بشهور سنة ٢١٨ فلما وصل الكتاب استدعي جماعة من العلماء فامتنعوا فهـددهم بالضرب وقطع الارزاق

Digitized by Google

فاجاب اكثرهم مكرهين واستمر على الامتناع احمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجيدسابوري فحملا على بعير متعادلين مقيدين الى الخليفة عن امره بذلك ثم جاء الصريخ بموت المأمون في الثلث الاخير ثم جاء الخبر بان المعتصم قد ولى الخلافة وان الامر شديد فرد الى بغداد فى سفينة مع بعض الاسارى ومات محمد بن نوح فى الطريق وأودع الامام احمد السجن ببغداد نحواً من ثمانية وعشرين شهراً ثم احضره المعتصم في قيوده واجلسه فجلس ودعاه الى القول بخلق القرآن فامتنع وقال فما قال ذلك ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة ان لا اله الا الله وأنا اشهد ان لا اله الا الله وان القرآن علم الله ومن علم ان علم الله مخلوق فقد كفر اعطونى شيئاً من كتاب الله او سنة رسوله حتى أقول به وناظره احمد بن ابي داود وغيره وانكروا الآثار التي أوردها وقالوا للمعتصم هذا أكفرك وا كفرنا وقال له اسحاق بن ابراهيم نائب بغداد يا امير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة ان تخلى سبيله ويغلب خليفتين فعند ذلك حمى واشتد غضبه فأخذ وجيء بالعقابيين والسياط وضرب به ضرباً مبرحاً شديدا حتى أغمى عليه وغاب عقله وامر باطلاقه الى اهله فنقل وهو لا يشعر ولما شفي من الضرب بقي مدة وابهاماه يؤذيهما البرد وكان الضرب فى الخامس والعشرين من رمضان سنة ٢٢١ وتوفى سنة ٢٤١

البويطى

يوسف بن يحيي البويطي صاحب الامام الشافعي كان الشافعي يسئل عن الشئ فيحيل عليه فاذا اجاب قال هو كما اجاب وقال عنه الشافعي هو لسانى حمل الى بغداد فى ايام الواثق بالله من مصر وفى عنقه غل وفى رجليه قيد وبين الغل والقيد سلسلة حديد فيها طوق وزنتها اربعون رطلا وارادوه على القول بخلق القرآن فامتنع ومات بالسجن في قيوده سنة ٢٣١

البخارى

ابو عبد الله محمد بن اسماعيل أراد منه خالد بن احمد الذهلي ان يأتيه فى بيته

Digitized by Google

يسمع اولاده فأبي وقال «فى بيته يؤتى الحكم» فاتفق ان جاءه كتاب من محمد بن يحيى الذهلى من نيسابور بأن البخارى يقول بأن لفظه بالقرآن مخلوق وكان قد وقع بين محمد ابن يحيى الذهلى وبين البخارى فى ذلك كلام وصنف البخارى في ذلك كتابه خلق افعال العباد فأراد الأمير ان يصرف الناس عن السماع من البخارى فلم يقبلوا فأمر عند ذلك بنفيه من البلاد فخرج منها ودعا على خالد بن احمد فلم يمض شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادى على خالد بن احمد على اتان وزال ملكه وسجن ببغداد حتى مات فبرح البخارى الى بلد يقال لها خرتنك — فمات سنة ٣٥٦ نقلته بلفظه من تاريخ ابن كثير

« النسائى »

احمد بن على بن شعيب النسائي صاحب السنن امام عصره والمقدم على اضرابه رحل الآفاق وأخذ عن الحذاق وكان ينسب الى شئ من التشيع قالوا دخل دمشق فسأله أهلها ان يحدثهم بشئ من فضائل معاوية فقال ما يكفى معاوية ان يذهب رأساً برأس حتى يروى له فضائل فجعلوا يطعنون فيه حتى اخرج من الجامع فسار الى مكة فمر بالرملة فسئل عن فضائل معاوية فامسك عنه فضربوه في الجامع فقال اخرجونى الى مكة فأخرجوه وهو عليل — فتوفى بمكة مقتولا شهيداً سنة ٣٠٣

« ابو عمرو »

عيسى الثقفى النحوى شيخ سيبويه صاحب كتاب الجامع الذي قيل ان سيبويه اخذه وزاد عليه ما استفاده من الخليل ونسبه اليه اودعه شخص وديعة فنمى الخبر الى يوسف بن عمر امير العراقين فكتب الى نائبه بالبصرة يأمره ان يحمل اليه عيسى بن عمرو مقيداً فدعا به ودعا حدادا وامره بتقييده فلماقيده قال له لا بأس عليك انما ارادك لتعليم ولده قال فما بال القيد اذاً فلما وصل اليه سأله فانكر فأمر بضربه فضرب بالسياط توفى سنة ١٤٩ كان كثير الاستعمال للغريب والتقعر في كلامه وهو القائل افرنقعوا عني قال يوماً لابي عمرو بن العلاء انا افصح من معد بن عدنان فاستنشده ابو عمرو بيتاً فيه

Digitized by Google

بدا بمعنى ظهر وقال له كيف تسنده الى جماعة الاناث اتقول بدين او بدان فقال بدين فقال اخطأت ولو قال بدان لاخطأ ايضا وانما أراد ابو عمرو تغليطه وانما الصواب بدون من بدا يبدو اذا ظهر وبدأ يبدأ اذا شرع في الشيء معنى آخر ذكرت هذا استطرادا لاشتماله على فائدة

محمد بن الزيات

ابو جعفر بن عبد الملك وزير المعتصم ثم ابنه هارون الواثق ثم لما مات الواثق أشار هو بتولية ولده واشار القاضي احمد بتولية اخيه المتوكل وتم امر المتوكل فحقد ذلك عليه مضموماً الى حقده عليه القديم لانه كان يغاظ عليه في حياة الواثق تقرباً اليه وكان ابن الزيات قد صنع تنوراً من حديد في ايام وزارته وله مسامير محددة الى داخله يعذب فيه الناس وكان يقول اذا استرحم الرحمة خور في الطبيعة فلما اعتقله المتوكل ادخله التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد ومات في التنور فوجد قد كتب في التنور بفحمة

من له عهد بنو ... ر يرشد الصب اليه
سهرت عيني ونامت ... عين من هنت عليه
رحم الله رحيما ... دات عيني عليه

— توفى سنة ٢٣٣

ابن الدهان

ناصح الدين ابو محمد سعيد المعروف بابن الدهان النحوى البغدادى شارح كتاب الايضاح والتكملة وكتاب اللمع لابن جنى وكان يفضل على ابى محمد الجواليقي وابن الخشاب وابن الشجرى المعاصرين له انتقل الى الموصل قاصدا جناب الوزير جمال الدين الاصفهانى المعروف بالجواد وكانت كتبه ببغداد واستولي الغرق فى تلك السنة على البلد فغرقت كتبه وكان خلف داره مدبغة ففاضت بالغرق الي بيته فتلفت كتبه بهذا السبب زيادة على تلف الغرق فارسل من احضرها له وكان قد افنى عمره فيها

Digitized by Google

فاشاروا عليه ان يطيبها بالبخور و يصلح ما امكنه فيها فبخرها باللاذن ولازمها بالبخور الى ان بخرها باكثر من ثلاثين رطلا لاذناً فطلع ذلك الى راسه وعينيه فاحدث له العمى — توفي سنة ٥٦٩

ابن عطاء

ابو العباس احمد بن محمد بن عطاء احد أئمة الصوفية حدث عن يوسف بن موسى القطان والمفضل وغيرهما كانت له ختمة يتلوها ١٧ سنة يتدبرها مات ولم يكملها احضر في امر الحلاج وقد كتب الحلاج اعتقاده فسأله الوزير حامد بن العباس عما قاله الحلاج فقال من لا يقول بهذا فهو بلا اعتقاد فقال له الوزير ويحك تصوب مثل هذا الاعتقاد فقال مالك ولهذا عليك بما نصبت له من اخذ اموال الناس وظلمهم مالك والكلام مع هوءلاء السادة فامر الوزير بضرب شدقيه ونزع خفيه وان يضرب بهما راسه فما زال يفعل به كذلك حتى سال الدم من منخريه وامر بسجنه فقيل له ايها الوزير ان العامة تتشوش بهذا فحمل الى منزله قال ابن عطاء اللهم اقتله اخبث قتلة واقطع يديه ورجليه فمات ابن عطاء بعد سبعة ايام سنة ٣٠٩ وقتل الحلاج قبله بعد ان ضرب نحوا من الف سوط وقطعت يداه ورجلاه ثم احرقت جثته بالنار ونصبت يداه ورجلاه ورأسه أياماً على الجسر وكان ذلك لست بقين من ذي الحجة سنة ٣٠٩ ثم مات الوزير مثل ما دعا عليه ابن عطاء مقطوع اليدين والرجلين مقتولا

« ابن شنبود »

المقري محمد بن احمد بن ايوب بن الصلت ابو الحسين المقرى المعروف بابن شنبود روى عن ابي مسلم وبشر بن موسى وخلف وكان يختار حروفاً انكرها أهل زمانه عليه وصنف ابو بكر بن الانبارى محمد بن القاسم الحافظ الذى كان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة كتاباً في الرد عليه كان ابو بكر المذكور من اعلم الناس بالنحو والادب وكان لا يأكل الا البقالى ولا يشرب ماء الا قريب العصر مراعاة لحفظه عقد لابن شنبود مجلس فى دار الوزير ابي على محمد بن مقلة وادعي عليه بالحروف التى كان يقروءها

Digitized by Google

فأقر بالبعض فضرب به الوزير ابو علي بالدرة على رأسه واستتيب فدعا على ابن مقلة فلم يفلح بعد ذلك — وتوفي سنة ٣٢٨

« ابن مقلة »

الوزير أحد المشاهير الكتاب محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله ابوعلي المعروف بابن مقلة الوزير كان له بستان كبير جداً وعليه جميعه شبكة من ابريسم وفيه من الطيور والقماري والهزار والطواويس شيء كثير وفيه من الغزلان وبقر الوحش وحميره والنعام والأيل شيء كثير ايضاً وولي الوزارة لثلاثة من الخلفاء المقتدر والقاهر والراضي وبنى له داراً فجمع عند بنائها خلق كثير من المنجمين فاتفقوا على ان تبنى في الوقت الفلاني فأسس جدرانها بين العشاءين كما اشاروا فما لبث بعد استتمامها الا يسيراً وقد انشد فيه بعض الشعراء

قل لابن مقـلة لا تكن عجلا ... واصبر فانك في أضغاث احلام
تبني بانقاض دور الناس مجتهداً ... داراً ستنقض أيضاً بعـد ايام
ما زلت تختار سعداً تطلبن لها ... فلم يوف بها من نحس بهرام
ان القران وبطليموس ما اجتمعا ... في حال نقض ولا في حال ابرام

ثم عزل عن وزارته واحرقت داره وانقلعت اشجاره وقطعت يده ثم قطع لسانه واغرم الف الف دينار ثم سجن وحده مع الكبر والضعف والضرورة وكان يستقي الماء بنفسه من بير عميق يدلي الحبل بيده اليسرى ويمسكه بفيه وقاسى جهداً جهيدا حتى مات في الحبس سنة ٣٢٨ ومن نظمه وهو يبكي على يده

اذا ما مات بعضك فابك بعضاً ... فان البعض من بعض قريب

والنكبات كثيرة لا تحصى وفيما ذكرناه مقنع فان الكتاب كله أنموذج ومسودة في بابه والله تعالى اعلم

﴿ الفصل الثاني عشر في اشعار المفلوكين ﴾

(ومن في معناهم من مقاصد شتى وبيان ان الحامل عليها انما هو الفلاكة)

Digitized by Google

اعلم ان الفلاكة اذا استولت على شخص وسلبته القدرة على الافعال انتقل الى الاسترواح والتنفس بالاقوال وذلك لما ان في الكلام راحة وفرجاً وتنقيصاً من ألم الباطن ولذلك قلما يطيق كتمان الاسرار الا الواحد الفذ وكذلك ايضاً قلما يطيق الانسان استدامة أقوال تخالف ما في باطنه بل لا بد له من فلتات مطابقة لما في باطنه لما ان النفس بطبعها تطمح الى طلب الراحة والاستلذاذ بحسب المقدور واذا اتضح ان في الاقوال تنفساً وراحة ولذة وتنقيصاً من آلام الباطن وضحت الحكمة فى انتصاب المفلوكين خطباء وشعراء وحكماء فمرة يسلون انفسهم بترجيح الكمالات النفسانية على الكمالات المالية بالادلة الخطابية والتشبيهات الشعرية ومرة يذكرون عوارضهم اللازمة بمقتضى الفلاكة ويصوغون عنها اعذاراً وحكمة وتشبيهات رائقة وكلمات فائقة تنقيصاً من قبح صورتها وليشغلوا الناس بما أوردوه فيها من محاسن الكلام عن الفكرة فى صورتها الشنيعة — ومرة يسابقون الى ذكر نقائصهم ويجعلونها رقة أدبية أو نكتة شعرية او كلمة هزلية قبل ان يذكرها غيرهم عنهم ليصرفوا الناس عن الاشتغال بها لان النفوس تكره المعاد ولذلك قيل فى الامثال أقبح من معاد وليكون ذلك اخف على نفوسهم لما ان الشخص لا يتأنف من نفسه ما يتأنفه من غيره ولا يثقل عليه كلامه ككلام غيره — حكي ان الاخفش الصغير كان يحفظ الاهاجي التي هجاه بها ابن الرومي ويوردها في جملة ما يورده والحكمة فيه ما ذكرته لا ما ذكره ابن خلكان في تاريخه من انه كان يقول انوّه بذكرى بها فان ذلك ان قاله الاخفش فقوله غطاء على المعنى الحقيقي ولذلك أيضاً يذكرون الاسفار ويغرون بها مرة وينهون عنها اخري فالاغراء لما قدمته فى الفصل الرابع والنهى يكون حيرة ودهشاً ولذلك ايضاً يغرون بتطلب المجد والثروة تارة ويأمرون بالقناعة اخرى قلقاً واضطراباً ويذمون الايام ويتضجرون ويتململون ويستعتبون ويشعرون وهم لا يشعرون ويتفتنون وهم يفتنون ويحسبون انهم يحسنون صنعاً الا انهم هم الخاسرون ويتلطفون وهم يستثقلون ويتعذرون ولكن لا يعذرون أم تسألهم خرجا فهم من مغرم مثقلون فانا لله وانا اليه راجعون والاغنياء عن ذلك كله بمعزل

Digitized by Google

وعن العناء فيه بألف منزل قد أغناهم الفعل عن القول والفضل عن الفضول والاعذار عن الاعتذار والاحسان عن صوغ اللسان وأنا أورد ان شاء الله تعالى أحاسن ما يحضرني من أشعار المفلوكين ومن في معناهم في هذه المقاصد كلها وانما قلت أو من في معناهم دفعاً لسؤال مقدر توجيه ان المذكور في هذا الفصل من الشعر منه ما هو من كلام الاماثل والعظماء والنبلاء فالجواب انه وان صدر عن عظيم او نبيل فانما ذكر بلسان المفلوكين وشرحا لحالهم ونيابة عنهم ورحمة عليهم او عند عارض فلاكة حقيقية عرضت للوجيه العظيم صيرته في حكم المفلوك بحسب تلك الحالة او عند عارض فلاكة حالية بحكم الوارد على القلة فان الوارد كما هو مقرر في كتب الصوفية اذا ورد على القلب وشايعته النفس بالاستحسان والاستحلاء ولم يمانعه اكسب حالا واذا علمت الاحوال المقتضية للاشعار الآتية والحامل عليها فها كها غير ناس ولا غافل عما قررته في مقدمة الفصل العاشر فانه محتاج اليها في هذا الفصل فمن ذلك قول القائل

الى الله اشكو جور دنيا كم التى ... تغر الفتى حتي يوارى برمسه
فتكسبه ان اقبلت حسن غيره ... وتسلبه ان ادبرت حسن نفسه

ومنه

ما تطعمت لذة العيش حتي ... صرت للبيت والكتاب جليسا
اي شيء أعز عندي من العلم ... فما ابتغى سواه انيسا
انما الذل في مخالطة النا ... س فدعهم وعش عزيزاً رئيسا

ومنه

تلحى على البخل الشحيح بماله ... افلا تكون بماء وجهك أبخلا
أكرم يديك عن السؤال فانما ... قدر الحياة اقل من ان تسألا
ولقد اضم الىّ فضل قناعتى ... وأبيت مشتملا بها متزملا
وأرى العدوّ على الخصاصة شارة ... تصف الغنى فيخالنى متموّلا
واذا امرؤ افنى الليالى حيرة ... واما نياً افنيتهن توكلا

Digitized by Google

ومنه

عجبت سعاد من ارتياحي للعلا ... في العدم وهو يفلّ غرب الجامح
لا يغشني الاقتار عاراً انني ... رحب الذراع بكل خطب فادح
ولربما نهض المقل بعبئه ... وحبا به المثرون حبو الرازح
مثل السماكين انتفاعك منهما ... بالاعزل المدحوض فوق الرامح
ولئن خفيت عن الورى وفضائلي ... كمد الحسود ونار غيظ الكاشح
فالنار في اشجارها مخبوءة ... حتى يتاح لها يمين القادح

ومنه

أهوى الخمول لكي أظل مرفّهاً ... مما يعانيه بنو الازمان
ان الرياح اذا عصفن لواقحا ... تولى الاذية شامخ الاغصان

ومنه

المرء يحظى ثم يعلو ذكره ... حتى يزين بالذى لم يفعل
وتري الشقي اذا تكامل عيبه ... يرمي و يبخل بالذى لم يعمل

ومنه

شغلنا بكسب العلم عن مكسب الغني ... كما شغلوا عن مكسب العلم بالوفر
وصار لهم حظ من الجهل والغنى ... وصار لنا حظ من العلم والفقر

ومنه

لا تحقرن أديباً راق رونقه ... عن الفصاحة اما راح في شمل
فالسكر العسلى الحلو من قصب ... والنرجس البابلى الغض من بصل

ومنه

ينجد بى تارة ويتهم بى ... ضر زمان بأهله جافى
حتي كأنى قذاة مقلته ... أو خبث فوق كاسه طافي

ومنه

وقالوا توصل بالخضوع الى الغني ... وما علموا ان الخضوع هو الفقر
و بيني و بين المال شتان حرّما ... عليّ الغنى نفسى الأ بيةوالدهر
اذا قيل هذا اليسر أبصرت دونه ... مواقف خير من وقوفي بها العسر

ومنه

ولا تعدنّ رزقًا ما ظفرت به ... الا اذا دار بين الحلق والحنك

ومنه

لا يؤ يسنك من مجد تباعده ... فان للمجد تدريجاً وترتيبا
ان القناة التى أبصرت رفعتها ... تنمو وتحدث أنبو بًا فأنبو با

ومنه

والحر من حذر الهوا ... ن يحاذر الامر الجسيما
والعاجز المأيوف أقـ ... ـعد ما يكون اذا أقيما

ومنه

المرء يجمع والزمان يفرق ... و يظل يرقع والخطوب تمزق
ولئن يعادى عاقلا خير له ... من أن يكون له صديق أحمق
وان امرؤ لسعته أفعي مرة ... تركته حين يجر حبل يفرق
لا ألفينك ثاويًا فى غربة ... ان الغريب بكل نبل يرشق
ما الناس الا عاملان فعامل ... قد مات من عطش وآخر يغرق
والناس في طلب المعاش وانما ... بالجد يرزق منهم من يرزق
لو يرزقون على وزان عقولهم ... الفيت اكثر من تري يتصدق
لو سار الف مدجج فى حاجة ... لم يقضها الا الذى يترفق

هذه الابيات لصالح بن عبد القدوس وقوله يتصدق هو ببناء المجهول حتي يصح

Digitized by Google

المعنى المراد وهو ان الغالب على الناس قلة العقل والخفة وأصله يتصدق عليه فحذف عليه ولو قرئ ببناء المعلوم لا نعكس المعني وكان معناه ان العقلاء هم الاكثر وليس بصحيح لا دراية ولا رواية وهذا الرجل اتهمه المهدى بالزندقة فأمر بحمله اليه فلما خاطبه اعجب بغزارة علمه وأدبه وحسن ثباته فأمر باطلاقه فلما ولى ردّه وقال ألست القائل

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يواري في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله كذي الضنى عاد الى نكسه

فقال بلى وانت لا تترك اخلاقك فأمر به فقتل سنة ١٦٧ فانظر الى الفلاكة قال حكمة فكانت سبباً في قتله ومثله قول عمارة اليمني الملقب نجم الدين الشاعر

هذا ابن تومرت قدكانت بدايته كما يقول الورى لحماً على وضم
وكان اول هذا الدين من رجل سعي الى ان دعوه سيد الامم

أراد اظهار معنى بديع مبتكر فكان سبباً فى قتله فى أحد الاقوال في سنة ٥٦٩ — وكنت هممت ان اضع فصلا في الكلمات التى كانت سبباًللحوق ضرر عظيم لاصحابها كهاتين الحكايتين واسميها بالفلاكة اللفظية لتكون الفلاكة ثلاثة أنواع مالية ومعنوية ولفظية ثم بدا لي فى ذلك وخشيت ان يصير الكتاب ادبياً لا علمياً ولنرجع الى مقصود الفصل ومنه

ليس الخمول بعار على امرئ ذى جلال
فليلة القدر تخفى وتلك خير الليالى

ومنه

يا هذه ان رحت في شمل فما في ذاك عار
هذى المدام هى الحيا ة قميصها خرق وقار

ومنه

وليس قبح المكان مما يزرى به منصبى ودينى
فالشمس علوية ومع ذا تغرب في حمأة وطين

Digitized by Google

ومنه

احتل لحقدك فالليب بلطفه يستل ثاره
امضى الحديد أرقه والماء يثقب في الحجاره
والهجو بيت منه لا يطفي طويل المدح ناره
يخفي الكثير من الحلاوة في القليل من المراره

ومنه

ولا غرو أن يبلى الشريف بناقص فمن ذنب التنين تنكسف الشمس

ومنه

واني واعدادي لدهري محمدا كملتمس اطفاء نار بنافخ

ومنه

فان تكن الدنيا أنالتك ثروة فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء عنك خلائقا من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر

ومنه

حيائي حافظ لي ماء وجهي ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أني سمحت ببذل وجهي لكنت الى الغني سهل طريقي

ومنه

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها فكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت عليه يوماً بما لا يشتهي وثبوا

ومنه

قالت وقد انتضت سيوف اللحظ والدر ممازح لذاك اللفظ
ذا حظك ما انقصك قلت لها لو شئت لما كنت قليل الحظ

ومنه

من منصفي من معشر كثروا عليّ وكبروا

Digitized by Google

صادقتهم وأرى الخرو ج من الصداقة يعسر
كالخط يسهل فى الطرو س ومحـوه يتعـذر
ومـتى أردت كشطته لكن ذاك يؤثر

ومنـه

اذافات الفتى شيئان أضحي بعيداً من ممـازجة القلوب
جمال الوجه او مال عظيم يز ين في حضور او مغيب
فكثر المال يشفع فى المثاوى وحسن الوجه يشفع فى الذنوب

ومنه

ان الغني الذى ترضى معيشته لامن يظل على مافات مكتئبا
لا تحقرن من الأيام محتقراً كل امرئ سوف يجزى بالذي كسبا
قد يحقر المرء ما يهوى فيتركه حتى يكون الي تور يطـه سببا
ان العدوّ وان ابدي مكاشرة اذا رأى منـك يوماً فرصـة وثبا
اذا وترت امرأ فاحـذر مغبته من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

ومنـه

أتعبت نفسك بين ذلة كادح طلب الحياة و بين حرص مؤمل
ونثرت دهرك لا خلاعة ماجن حصلت فيـه ولا وقار مبجـل
وأضعت حظ النفس فى الدنيا وفى ال اخرى ورحت عن الجميع بمعزل

ومنـه

اهل المناصب فى الدنيا ورفعتها اهـل الفضائل محقورون بينهم
قد انزلونا لأ نا غـير جنسهم منازل الوحش فى الاهمال عندهم
فليتنا لو قـدرنا ان نعـرّفهم مقـدارهم عنـدنا اولو دروهم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى وعندنا المتعبان العلم والعدم

ومنه

اذا كان غير الله في عدة الفتي	أتته الرزايا من وجوه الفوائد

ومنه

اذا لم يكن عون من الله للفتى	فاكثر ما يجني عليه اجتهاده

ومنه

اذا شئت ان تحيا سعيداً فلا تكن	على حالة الا رضيت بدونها
ومن يطلب الغالى من العيش لم يزل	حزيناً على الدنيا رهين غبونها

ومنه

اني رأيت الدهر في حكمه	يمنح حظ العاقل الجاهلا
وما أراني نائلا ثروة	كأنه يحسبني عاقلا

ومنه

اذا وجد الشيخ من نفسه	نشاطاً فذلك موت خفى
ألست ترى ان ضوء السراج	له لهب قبل ان ينطفى

ومنه

انفض يديك من الانام فكلهم	شحاً يحل وانت عجزا تعقد

ومنه

انفض يديك من الزمان وخيره	واحذر بنيه تفز بقلة ضيره
ولقد صفوت فما وجدت مصافيا	في الله أصحبه ولا في غيره

ومنه

وأخ لى تكدرت	بعد صفو مشار به
صاحبى حين لا يرى	في الوري من يصاحبه
واذا ما حظى به	صد وازور جانبه

Digitized by Google

ومنـه

اذا لم يكن صدر المجالس سيداً فلا خير فيمن صدّرته المجالس
وكم قائل مالي رأيتـك راجـلا فقلت له من أجل أنك فارس

ومنـه

وأخ ان رام مني حاجة كان بالانجاح منى واثقا
واذا ما رمت منه حاجة كان بالرد بصيراً حاذقا
يعمل الحيلة فى الرد لها قبل ان افرغ منها ناطقا

ومنـه

اذا ما مدحت الباخلين فانما تذكرهم ما في سواهم من الفضل
وتهـدى لهم غمّا كثيراً وحسرة فان منعوا منك النوال فبالعـدل

ومنـه

واذا المسافر آب مثلى مفلساً صفر اليدين من الذى رجاه
وخلامن الشيء الذى يهديه لا إخوان عنـد لقائهم اياه
لم يفرحوا بقـدومه وتثقلوا بوروده وتكـرهوا لقيـاه
واذا أتاهم قادمـاً بهـدية كان السرور بقـدر ما أهداه

ومنـه

لوكنت أجهل ما علمت لسرنى جهلى كما قد ساءني ما أعـلم
فالصعو يرتع في الرياض وانما حبس الهـزار لأنه يتكلم

ومنـه

ان قدّم الصاحب ذا ثروة وعاق ذا فقر وافلاس
فالله لم يدع الي بيتـه الا المياسير من الناس

ومنـه

لا يدرك المجد من لا يركب الخطرا ولا ينال العـلا من قدم الحذرا

Digitized by Google

ومن أراد العــلا صفواً بلا كدر قضى ولم يقض من ادراكه وطرا
وأحزم الناس من لو مات من ظمأ لا يقرب الورد حتى يعرف الصدرا

ومنــه

وقائــلة ما بال مثلك خامــلا أأنت ضعيف الرأى ام انت عاجز
فقلت لها ذنبي الى القــوم انني لمـالم يحـوزوه من المجـد حائز
وما فاتني شيء سوي الحظ وحده واما المعالى فهى عنــدي غرائز

ومنــه

من اخمــل النفس احياها وروحها ولم يبت طــاويا فيهــا على ضجر
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوى العالى من الشجر

ومنــه

ألا موت يباع فأشــتريه فهذا العيش مالا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتى يخلصنى من الموت الكريه
اذا أبصرت قبراً من بعيد وددت لو أُنى فــيما يليــه

ومنــه

ولو انى استزدتك فوق ما بى من البــلوى لأعوزك المزيد
ولو عرضت على الموتي حياة بعيش مثــل عيشى لم يريدوا

ومنــه

قالوا أقمت وما رزقت وانما بالسير يكتسب اللبيب ويرزق
فأجبتهــم ما كل ســير نافعاً الحظ ينفـع لا الرحيــل المقلق
كم سفرة نفعت واخرى مثلها ضرت ويكتدح الحريص ويخفق
كالبدر يكتسب الكمال بسيره وبه اذا حــرم السعــادة يمحق

ومنه

سافر اذا حاولت قدرا سار الهلال فصار بدرا

Digitized by Google

والماء يكسب ما جرى　　طيباً ويخبث ما استقرا
وبنقـلة الدرر النفيـ　　ـسة بدلت بالبحر نحرا

ومنـه

قوض ركابك عن ارض تهان بها　　وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الأوطان منقصة　　فالمندل الرطب في اوطانه حطب

ومنـه

اذا ما نبت بالحر دار يودّها　　ولم يرتحل عنها فليس بذي حزم
وهبه بها صبا ألم يدر أنه　　سيزعجه عنها الحمام على رغم
ولم يكن الدنيا تضيق على فتى　　يرى الموت خيراً من مقام على هضم

ومنـه

وقالوا اضطرب في الارض فالرزق واسع　　فقلت ولكن موضع الرزق ضيق
اذا لم يكن فى الأرض حر يعيننى　　ولم يك لى كسب فمن اين ارزق

ومنـه

قالوا اغترب عن بلاد كنت تألفها　　ان ضاق رزق تجد فى الأرض مقترحا
قلت انظروا الريق فى الأفواه مختزنا　　عذباً فان بان عنها صار مطرحا

ومنـه

عوّد ركابك كل يوم منزلا　　وتنقلن كي لا تمل وتضجرا
فالماء يعذب ما جرى وتلاطمت　　امواجه فاذا أقام تغيرا

ومنـه

اذا أنا لم اجد رزقاً حلالا　　ولم آكل حراماً مت جوعا

ومنـه

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى　　حبسي واى مهند لا يغمد

Digitized by Google

ومنه

لم ينصبوا بالشاد ناج صبيحة ال اثنين مسبوقا ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم شرفاً وملء صدورهم تبجيلا
ما ضره ان بزعنه لباسه فالسيف اهول ما يرى مسلولا

ومنه

لا ينبغي للضيف ان كان ذا حزم وتدبير وطبع لطيف
ان يتعدى أبداً طوره ولا يرى الا بحكم المضيف
فالأمر للانسان فى بيته ان شاء ان ينصف اوان يحيف
وانما ينقض أحكامه عليه ذو جهل وعقل سخيف

ومنه

اذا شئت ان تستقرض المال منفقًا على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها عليك وارفاقًا الى زمن اليسر
فان قبلت كنت الغني وان ابت فكل منوع بعدها واسع العذر

ومنه

اذا مالم تكن ملكا مطاعًا فكن عبداً لمالكه مطيعا
وان لم تملك الدنيا جميعاً كما تختار فاتركها جميعا
هما سببان من ملك ونسك ينيلان الفتي الشرف الرفيعا
ومن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين عاش بها وضيعا

ومنه

يا أيها العالم لا تشتكى فالحذق محسوب من الرزق
العلم لا يسلبه اهله والمال مسلوب من الخلق

ومنه

المال اشرف ما اقتنيت فلا تكن سمحاً به وتأن فى تفصيله

Digitized by Google

ما صنف الناس العلوم بأسرها　　الا ليحتالوا على تفضيله

ومنـه

احمد الله كم اجوّد فى الدهـ　　ـر مقالا وما يفيـد المقال
كلى فى الانام سحر ولكن　　انا والسحر باطـل بطال

ومنـه

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله　　وليس لهم حتى النشور نشور
وأرواحهم فى وحشة من جسومهم　　وأجسادهم قبـل القبـور قبور

ومنـه

من ظن ان الغنى بالمال يجمعه　　فاعـلم بأن غناه فقـره أبدا
فاستغن بالعلم والتقوى وكن رجلا　　لا ترتجى غير رزاق الورى أحدا

ومنـه

تصفو الحياة لجاهل او غافل　　عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط فى الحقائق نفسه　　ويسومها طلب المحال فتطمع

ومنـه

انى تركت لذى الورى دنياهم　　وظللت انتظر الممات وارقب
وقطعت عن نفسى المطامع ليس لى　　ولد يموت ولا عقار يخرب

ومنـه

يقولون لى فيك انقباص وانما　　رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهم هان عندهم　　ومن اكرمته عزة النفس اكرما
وما كل برق لاح لى يستفزني　　ولا كل من لاقيت ارضاه منعما
واني اذا ما فاتنى الامر لم ابت　　اقلب طرفي اثره متنـدما
ولكنه ان جاء عفواً قبلته　　وان مال لم اتبعه لولا وربما

Digitized by Google

وأقبض خطوى عن امور كثيرة　　اذا لم انلها وافر العرض مكرما
واكرم نفسي ان أضاحك عابساً　　وان أتلقى بالمديح مذمما
ولو ان أهل العلم صانوه صانهم　　ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أذالوه فهان ودنسوا　　محياه بالاطماع حتى تجهما
أأشقي به غرساً وأجنيه ذلة　　اذن فاتباع الجهل قد كان احزما

ومنه

لا يحطن رتبتي سوء حالى　　آية الحسن في الجفون السقام
انا كالنار اطفأ القطر منها　　ولها بعد نفخة اغتلام

ومنه

أصبحت مثل السيف ابلى غمده　　طول اعتلاق نجاده بالمنكب
ان يعتليه صدا فكم من صفحة　　مصقولة للماء تحت الطحلب

ومنه

وأنت السيف ان تعدم حليا　　فلن تعدم فرندك والغرار
ورب مطوّق بالتبر يكبو　　بصاحبه وللرهج اعتبار

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿في وصايا يستضاء بها فى ظلمات الفلاكة وبهذا الفصل نختم الكتاب ان شاء الله تعالى﴾

اعلم يا أخي في الوفا وأخوة المصطفى خصوصاً المفلوك مثلى ان فى الكمالات النفسانية لذة تزيد على اللذات الجسمانية فلا تستصغرن نعمة الله فيها متى زويت عنك الدنيا واستحضر قوله صلى الله عليه وسلم «ان الله يعطى الدنيا لمن يحبه ولمن لا يحبه ولا يعطى الدين الا لمن يحبه وان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وانما ورثوا العلم فمن أخذ منه فقد اخذ بحظ وافر» وانظر كيف يكون استجلاء لطائف العلوم شاغلا عن الاكل والوقاع أفتراه يكون دونها لذة وهو شاغل عنها وعليك من العلوم بالكتاب والسنة والتمتع بما

فيهما من النكات واللطائف واستمد منهما برد اليقين وثلج الصدور ولا تقنع بالعلوم العقلية فانها ملساء مزلة الاقدام واصحابها يضطربون فيها اضطراب الارشية ـ هذا الامام فخر الدين على جلالته وامامته يصحح فى بعض كتب ما يضعفه فى الآخر وابلغ من ذلك ان ابن الراوندي سامحه الله صنف رسائل في خلق الاعمال وفى قدم العالم وغيرهما ثم صنف هو نفسه رسائل في رد ذلك كما ذكره صاحب الفهرست ولا تجمع لنفسك بين قبح الظاهر وهو الفقر وقبح الباطن وهو الجهل وسع الناس باخلاقك ومعارفك ان لم تسعهم بمالك ومعروفك واجتنب الاساءة اليهم ان عجزت عن الاحسان لهم وخذهم بالرجاء لانه ايسر ولا تأخذهم بالخوف وان كانوا به اطوع لأنه أخطر وارض بميسورهم وعظم حقيرهم فلا يحصل للنفوس مقصودها الا خالقها فلا تطلب المقصود الا منه واجعل باطنك وحده لله وكن شديد الاستهانة بأمور الدنيا ضرا ونفعاً عطاء ومنعاً حصولا وفواتاً سلامة وآفاتاً وانظر الاصلح لنفسك من ذلك قبل وقوعه وبعده فتوخه واجتهد فيه ولا تكن وكلا بل متحركا كيساً ورقع خرق عجزك وفلا كتك بحيلتك ومصابرتك والتعرض لتنفيسات الدهر والوثوب عند الفرصة ولا تيأس من روح الله قال صلى الله عليه وسلم «ان لله فى أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها» قال تعالى «انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون» قال الشاعر

والعاجزان الغالبان معاقب   لا ينتهى ومعاتب لا يخجل

(وقال)

ثب على الفرصة في موضعها   فهي لا تبقي ولا تستكسب

واقطع بان ذرة من حظ خير من قنطار عقل وان جزءاً واحداً من المال خير من أجزاء كثيرة من الكمالات النفسانية ولله در من سمى المال كمال الكمالات وتحقق ان المعاصى كالسموم يضر قليلها وكثيرها مع الاستخفاف بها ومع تعظيم ارتكابها وجليها وخفيها فلا تغتر بالتستر والحيلة فان لله عيوناً من الملكوت ناظرة اليك وان للطاعات عبقاً وشذا تفوح على أهلها وان كتموها والمعاصى نتناً وذفراً تفوح على أهلها وان أخفوها واذا نزعت عن الغواية فليكن لله ذلك النزع لا للناس وخذ الناس الى

Digitized by Google

أغراضك بمصالحهم تحقيقاً أو توهماً فان النفوس تنخدع بالباطل كما تنخدع بالحق ولا تأخذهم بغرضك المحض فقلما يساعفونك به الا عوضاً عما سلفتهم من غرض لهم سابق وكن تواباً رجاعاً أواباً الى الله عظيم الالتجاء اليه والاستعانة بقوته و باهر قدرته متملقاً له خاضعاً لجلاله وكن كثير الدعاء والالغاظ باسمائه تعالى وله الحمد فان الدعاء نسبته الي استجلاب المطالب كنسبة الفكر الى استدعاء المطلوب العلمي قال صلى الله عليه وسلم «ألظوا بيا ذا الجلال والاكرام» قال تعالي « قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم» واياك اياك من التعويل على واحد بخصوصه من البشر والقاء الشراشر عليه فان من ألقى شراشره على غير الله وكله وما اختاره لنفسه وأنهاك أنهاك عن التوقيف على بواطنك وخفاياك وآمرك آمرك بسد طريق العلم بذلك جهدك وتكثيف حجابه ما أمكن وكن مع الناس بلسانك وظاهرك من كمالاتهم الدنيوية التي يعتقدونها كمالا فان الدنيا قد صارت مخارق بلا حقائق وثم أمور لا يمكن التصريح بها ولا تتم بالتلقين وأنا أسأل الله أن يوفقك لها و يوقفك على حقيقتها

(هذا) آخر ما تيسر لى كتابته في هذا الغرض مما سهل مما حضر وفي النفس من معاودته و بسط القول فيه فان هذا الكتاب انما وضعته مسودة وانموذجاً و برنامجاً في هذا المطلوب وفتحاً لباب عسى أن يلج فيه من حركه الله لذلك ولم أدخر فيه مما حضرني الا ما خفت على الكتاب من كساده به لغموضه وكونه من الحكمة الضرورية أو من مشكلات غيرها من العلوم فيعسر فهمه أو ينتقده من لا يقف على حقيقة معناه أو لكونه تاريخاً محضاً فيصير الكتاب به أدبياً لا علمياً ولم تتسع المادة بمجانس لما أوردته ازيد مما ذكرته لاني زحمت به بالخالخلة ولزت به لزّاً بين عوائق النفسانية وشواغلى البدنية مع قلة الكتب وعدمها وما احق هذا المقام بقول القائل

ولست بأول ذي همة دعته لما ليس بالنائل

يشمر للجّ عن ساقه و يغمره الموج فى الساحل

وانا أستغفر الله تعالى واتوب اليه مما لعله فيه مما هو من قبيل الشقشقة والطنطنة او من قبيل التمويه والسفسطة او من حكم لم يصادف الحق او قول لعله لم يوافق

Digitized by Google

مرضاته سبحانه وله الحمد أو من نية لعلها لم تخلص لله أو مقصد مزج بغير ارشاد شرعى أو من تعليل الامور بالمقاصد الدنية الدنيوية وأستقيله العثرة فى ذلك كله وأستوهبه المعذرة وأستمنحه المغفرة وأبرأ اليه من ذلك كله لا اله الا هو ولا غافر سواه

﴿ اللهم ﴾ يا رحمن يا رحيم يا واسع يا عظيم ياذا الفضل العميم والمنّ الجسيم يا معطياً قبل السؤال وعالماً بالحال اسألك بأسمائك كلها وصفاتك اجمعها و بكل ما اذا دعيت به اجبت ان تكشف عنا ضر الفلاكة والاهمال والحرمان وان تصرفنا عن مواقع الشر والخذلان وان تحفظ ألسنتنا وقلوبنا من الشيطان وان تكلأنا بالتوفيق وتؤيدنا بالتكلان يا رحيم يا رحمن لا حول ولا قوة الا بك يا علىّ يا عظيم (اللهم) اني اشكو اليك ضعف حيلتي وقلة قوتى وهوانى على الناس رب المستضعفين وربي الى من تكلنى ان لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى لكن رحمتك أوسع لي (اللهم) اقبل معاذيرى وتجاوز عن تقصيري ولا تتركنى حقيرا ولا تسلط علىّ تغييراً واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً (اللهم) قدرفعت يدىّ اليك فلا تردهما صفراً (اللهم) ضع فيهما من خيرك و بركتك

ما أنت بالسبب الضعيف وانما نجح الامور بقوة الاسباب

فاليوم حاجتنا اليك وانما يدعى الطبيب لساعة الاوصاب

(اللهم) انقطع الرجاء الا منك وحصل اليأس الا من رحمتك لاتعكس ظناً قد عول على فضلك لا تخيب أملا طال تعلقه بك أعتق عنقاً مدّ اليك من رق غيرك وفك اسيراً لا يملك فكاكه الا أنت (اللهم) ليس على عطائك عائق ولا يعجزك شئ فلك القدرة الكاملة والرحمة الواسعة والحكمة البالغة وكلتا يديك سخاء ولا ينقص فيضك العطاء وتستحي من تخييب آمليك غاية الحياء وعلمك قد أحاط بما فى الارض والسماء وبما فى الظواهر والضمائر من الجلاء والخفاء انظر الينا منك بنظرة رحيمة ربنا مسنا ضر نفوسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين سمع الله نظر الله سبحان الله آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

Digitized by Google